

سلسلة مصريات ٢

تاريخ - فن - حضارة



جاستون ماسبيرو

حكايات شعبية فرعونية

ترجمة

فاطمة عبد الله محمود

مراجعة وتقديم

دكتور محمود ماهر طه

حكايات شعبية فرعونية

● الكتاب: حكايات شعبية فرعونية

LES CONTES POPULAIRES DE
L' EGYPTE ANCIENNE

● الكاتب: جاستون ماسبيرو G.MASPERO

● الكتاب الأصلى صادر باللغة الفرنسية

● الطبعة الأولى ٢٠٠٨

● الغلاف: تصميم جرافيك: د. مدحت متولى

● اللوحة إلى اليمين: سشات إلهة الكتابة ودور الوثائق عند قدماء المصريين.

● طبع فى مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

كورنيش النيل، رملة بولاق، القاهرة. ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠/٢٥٧٧٥٢٢٨

فاكس: ٢٥٧٥٤٢١٣ (٠٠٢٠٢) ص.ب: ٢٣٥ ـ الرقم البريدى: ١١٧٩٤ رمسيس

WWW.egyptianbook.org.eg
E-mail:info@egyptianbook.org.eg

● ماسبيرو، جاستون.

حكايات شعبية فرعونية / جاستون ماسبيرو، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، مراجعة: محمود ماهر طه.ـ

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨.

٢٥٦ ص، ٢٤ سم. (حكايات شعبية)

تدمك ٠ ٢٣٥ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١ـ القصص الشعبية

٢- الأدب المصرى القديم

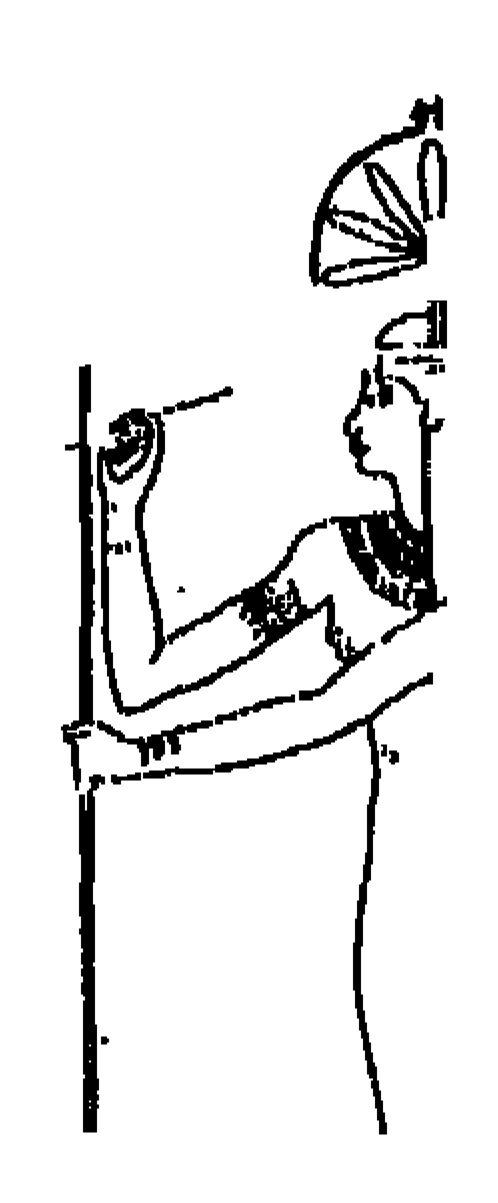
(أ) محمود، فاطمة عبد الله (مترجم)

(ب) طه، محمود ماهر (مراجع)

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٨٠٦/ ٢٠٠٨

I.S.B.N-978-977-420-235-0

ديوى ٣٩٨,٢



جاستون ماسبيرو

حكايات شعبية فرعونية

ترجمة

فاطمة عبد الله محمود

مراجعة وتقديم

دكتور محمود ماهر طه

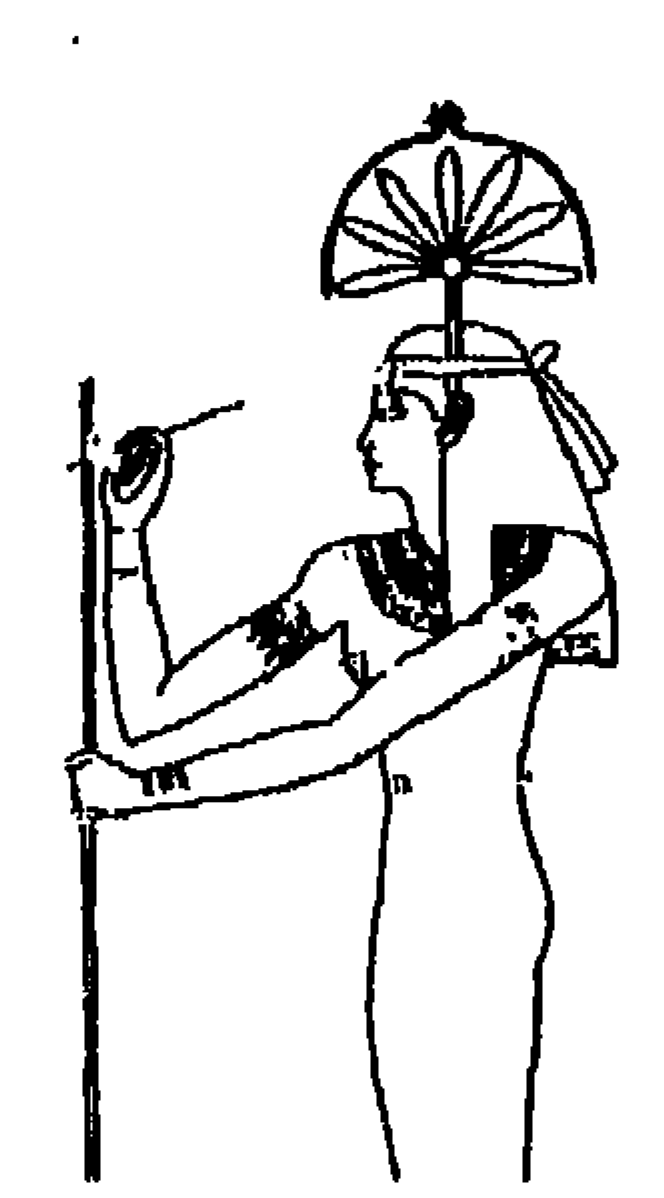


الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٨

مصريات

تاريخ ـ فن ـ حضارة



المحتويات

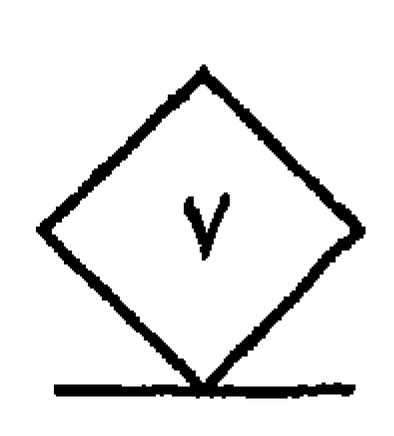
مقدمة المراجع

الأدب المصرى القديم.. أدب أصيل يجمع بين التأمل والسحر، بين طلاقة اللسان والبلاغة.. وبين الفكر السامى والآداب العامة. وبين الفكاهة والجد. إنه انعكاس لروح شعب مرح حَسَن المَعْشَر.. إنسانى وأخلاقى.. عميق التدين.. عاشق للروح.

يؤكد علماء المصريات بأن مصر هى فجر الضمير الإنسانى، ويقرون بأن المصريين كانوا يمتلكون ضميرًا حيًا لم تعرفه الدنيا فى العالم القديم.. وإن ما نعنيه بالضمير هنا هو فكرة المصرى عن الحق والباطل، والخير والشر..

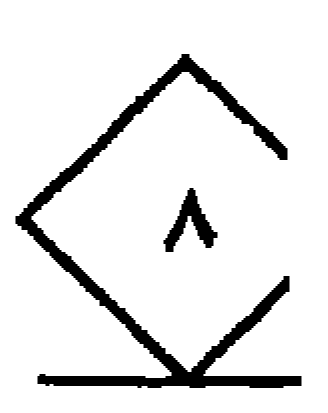
وبوجه عام يتكون الأدب المصرى من أنواع عديدة، أهمها: الأدب القصصى، والأدب الغنائى أو العاطفى، يليه الأدب السياسى، والحِكَم والأمثال والتأملات.

ويؤكد علماء المصريات أسبقية مصر على شعوب العالم فى ابتكار الحكاية الشعبية، وصياغتها صياغة فنية مبتكرة ممتعة، وتحليلها تحليلاً نفسيًا مناسبًا. فقد كانت تُقص على سامعها للتمتع بها والاستفادة من حكمتها.. فلم تكن تفسيرًا لبعض المظاهر الكونية .. أو كانت تشير إلى أمر يختص بإله ما من حيث نشأته أو علاقته بالآلهة الآخرين.



ويرجع تاريخ تدوين الحكايات التى وصلت إلينا إلى ما بعد الدولة القديمة، وخاصة عندما جاءت الأسرة الثانية عشرة وزادت الصلة بين مصر والشعوب المجاورة لها.. فقد حفظت الأيام من ذلك العصر عددًا منها ، هى أروع ما كتبه المصريون فى هذا المجال من الأدب. وقد استمر حب المصريين للحكاية الشعبية إلى آخر عصور الحضارة الفرعونية، بل امتد إلى العصر اليونانى الرومانى. ولا شك أن الأدب القصصى الشعبى قد نبت فى التربة المصرية، لأنه يضرب بأعراقه إلى ما قبل ظهور الكتابة.. وهو العهد الذى يشبه العصر الجاهلى فى اللغة العربية. ولا غرابة أن تنمو الحكايات الشعبية بين قوم تخطوا طور الهمجية وأصبحت لهم مشاعر ووجدان تحتاج إلى تغذية، وهى إن لم تأتهم عن طريق القراءة لا تبعد عليهم عن طريق السمع والرواية. ونحن ندرك تأثير الحكاية الشعبية فى العامة.. وكيف أنها تجذب القلوب والمشاعر. فالإبداع المصرى يضم حكايات شعبية عديدة تشكل أدبًا حقيقيًا يشهد على أقدم حضارة فكرية فى حياة البشر، وعلى الانطلاقة الأولى لوعى الإنسان وعقله. ولقد بقيت الحضارة المصرية القديمة ماثلة فى خيال الإنسان منذ أقدم العصور حتى الآن، فهاهو "هوميروس" يشير فى "الإلياذة" إلى مدينة "طيبة ذات المائة باب" التى ينطلق من كل باب منها مائتا محارب بخيولهم ومركباتهم. كما استوحى فى "الأوديسَّة" قصة الملاح الغريق؛ كذلك امتد أثر فن الحكايات فى مصر القديمة إلى مختلف الكُتَّاب المعاصرين الذين استلهموا من حضارة مصر الكثير من العناصر الموحية فى أعمالهم الأدبية والفكرية.

وثمَّة أواصر وثيقة تربط بين الحكايات الشعبية المصرية مثل قصة سنوهى ، وقصة الملاح الغريق على سبيل المثال وبين قصص عديدة فى الآداب المشهورة اللاحقة، مثل قصة حى بن يقظان، وسندباد، وألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، وروبنسن كروزو، وحكايات لافونتين.. وغيرها. ولعل أوضح هذه الروابط، فضلاً عن مضمون الحكاية نفسها، هو تشابه البنية القصصية الفنية وحضور آلية القصة داخل القصة.. كما هو الحال فى

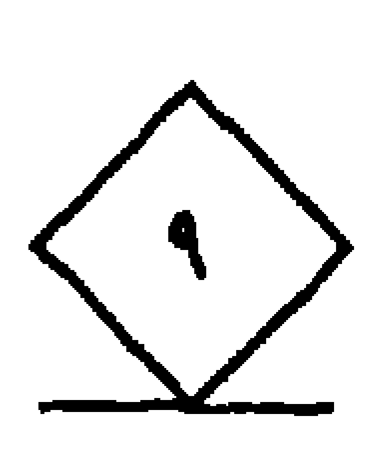


قصة سنوهى التى يعتبرها علماء المصريات أقدم قصة قصيرة فى العالم.

ومن الحكايات الشعبية نعرف أنه كان للمصريين فلسفة سياسية مشابهة الى حد كبير لفكرة العِقْد الاجتماعى التى طورها فلاسفة الغرب فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، فهى تقوم على أن الوظيفة الجوهرية للحكومة التى يرأسها الفرعون هى إقامة العدل. وتظهر تلك الفلسفة بوضوح فى حكاية " الفلاح الفصيح" التى وقعت أحداثها خلال الأسرة العاشرة، وتُعد من روائع القصص الشعبى فى مصر القديمة. وتروى الحكاية رحلة فلاح بسيط من وادى النطرون حمل محصوله على حماره واتجه إلى إهناسيا - عاصمة البلاد حينذاك - ليبيعه. غير أن أحد كبار الموظفين اعترض طريقه، واستولى على حماره ومحصوله، وأوسعه ضربًا. فذهب الفلاح لتقديم شكواه إلى كبير أمناء القصر الملكى.. وتعددت شكاواه المليئة بعبارات الحكمة والشجاعة .. دون جدوى.. إلى أن سمعها الملك؛ حتى أبدى إعجابه الشديد بها، وطلب من كبير أمناء القصر ألا يستجيب سريعًا إلى مظلمة الفلاح حتى يكتب المزيد منها.. فبلغت الشكاوى تسعًا. إلى أن استبد اليأس به وهدد بالانتحار.. وعندئذٍ أمر الملك بأن تُرد للفلاح ثروته ومعاقبة المعتدى عقابًا رادعًا.

وإذا كانت الحكمة هى الخير، والحمق والعنف هو الشر فإن قدماء المصريين هم أول من أرسوا قواعد نظرية تغلب الخير على الشر فى النهاية.. وهذه المعانى الكريمة نراها بوضوح فى معظم الحكايات الشعبية التى جاءت فى هذا الكتاب.

وترجع أهمية هذا الكتاب، إلى أنه يُعد أول نموذج واضح وسليم لترجمة هذه النماذج الأدبية للحكايات الشعبية فى مصر القديمة. ونستطيع القول بأنه قد كُتب فى عصر قريب جدًا من بداية اكتشاف سر الكتابة الهيروغليفية فى القرن التاسع عشر. وذلك إن دل على شيء،

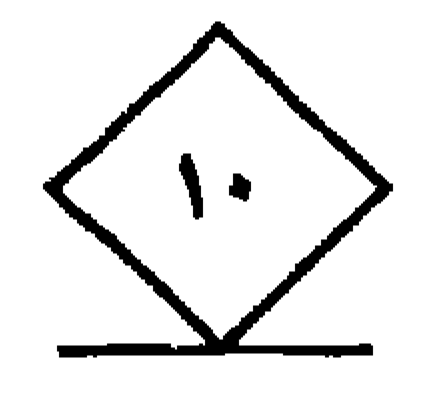


فإنما يدل على عبقرية المترجم جاستون ماسبيرو. وهو اسم ليس بغريب على المصريين فى الوقت الحالى، فهو اسم شائع يُطلق على الشارع الكائن به" مبنى الإذاعة والتليفزيون المصرى " نسبة إليه. ولا يعرف الكثير ما هو أكثر من ذلك.

ولكن من هو جاستون ماسبيرو؟

إن مصر تمارس سحرًا حقيقيًا على الفرنسيين، لكنه سحر يتعلق بمصر الفرعونية فى المقدمة. ويقول المؤرخ الفرنسى الكبير "چان مارى كاريه" : "توجد لوحة كبيرة تحتاج إلى من يرسمها، وتضم هذه اللوحة جميع أولئك الذين ساهموا فى اكتشاف مصر القديمة.. فمن المؤكد أنها لوحة مشحونة بالآفاق الباهرة وتتميز بالأهمية، والحيوية وبالتنوع والثراء، وتتعاقب فيها مآثر الحزم والعزيمة مع مظاهر الفكر المجتهد ودلائل الحساسية وأحلام الخيال الشعرى". لعل من أشهر العلماء الفرنسيين الذين تضمهم هذه اللوحة هو "جاستون ماسبيرو" من أشهر علماء المصريات فى القرن التاسع عشر بعد شمپليون وماربيت.

إنه ابن مهاجرين سياسيين إيطاليين، وقد أظهر منذ وقت مبكر مواهب استثنائية؛ حيث فاز فى المسابقة العامة للأدب وهو فى الثالثة عشرة من عمره، والتحق بدار المعلمين العليا، وقام بدراسة المصريات وحده باطِّلاعه على الآثار المصرية المحفوظة فى مُتحف اللوفر ونقوش المسلة المصرية بميدان الكونكورد . ويُشهد له أنه قام خلال ثمانية أيام بترجمة ممتازة لنص اكتشفه ماربيت؛ مما أثار إعجابه به. فكر علماء "الكوليج دى فرانس " فى أن يشغل ماسبيرو كرسى علم المصريات بها. لكن بما أنه صغير السن قليلاً، فقد قرروا عدم منحه إلا لقب أستاذ مساعد لمدة يومين. وكان ماسبيرو قد نشر أعمالاً بحثية كثيرة من قبل، ويعرف جيدًا اللغة العربية، ولكنه لم يكن قد ذهب إلى مصر حتى ذلك الحين. ولكن الفرصة سنحت له حين مرض "ماربيت" مدير مصلحة الآثار المصرية والتى قام بتأسيسها.

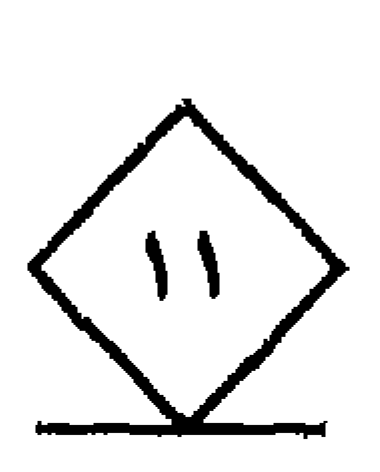


وصل ماسبيرو إلى مصر لأول مرة فى الخامس من يناير عام ١٨٨١ قبل وفاة ماربيت بثلاثة عشر يومًا، فأُتيحت له الفرصة ليتولى منصب مدير مصلحة الآثار المصرية (وكان يبلغ الرابعة والثلاثين من العمر)، وأمين المتحف المصرى للآثار ببولاق (قبل أن يُنقل إلى مقره الحالى)، كما طُلب من ماسپيرو إنشاء معهد فرنسى للآثار فى القاهرة على غرار المدرستين الموجودتين فى روما وأثينا، وكان أيضًا أول مدير لهذا المعهد. ولم يقتصر نشاط المعهد الفرنسى على دراسة آثار مصر الفرعونية؛ ولكن امتد إلى دراسة آثار جميع العصور المصرية حتى العصر الإسلامى. بل كان يقوم بدراسة جميع بلدان منطقة الشرق الأوسط وفى جميع المجالات.

ومنذ وصول ماسپيرو إلى القاهرة كان مهتمًا بشكل واضح بدراسة "متون الأهرام". وقام بالكشف عن هذه المتون منقوشةً على الجدران الداخلية لخمسة أهرام جنوب سقارة. وقام بتحليل هذه النقوش ونشرها. بعد ذلك كرس كل جهوده لأعباء مصلحة الآثار وتخلى عن إدارة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية.

وارتبط نشاط ماسپيرو بشكل واضح بالكشف عن سرقة خبيئة المومياوات الملكية بالدير البحرى. ففى إحدى المقابر المهجورة فى تلك المنطقة عثر على مومياوات الفراعنة العظام ، مثل سقننرع وأحمس وتحتمس الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثانى وغيرهم. ولقد كشفت الشرطة المصرية عن سرقة أهم مقتنيات هؤلاء الملوك ومئات البرديات. ولقد تضافرت جهود ماسپيرو مع العالم المصرى أحمد بك كمال فى نقل هذه المومياوات وما تبقى من آثار منهوبة إلى المتحف المصرى بالقاهرة.

ومن جهود جاستون ماسپيرو أيضًا أنه واصل حفائر ماربيت فى معبدَىْ إدفو وأبيدوس. وأزال الرمال عن أبى الهول بالجيزة، وقام بإعادة ترتيب المتحف المصرى ببولاق ونشر دراسات أثرية عديدة، من أشهرها كتابه هذا الذى بين أيدينا ترجمته حاليًا.

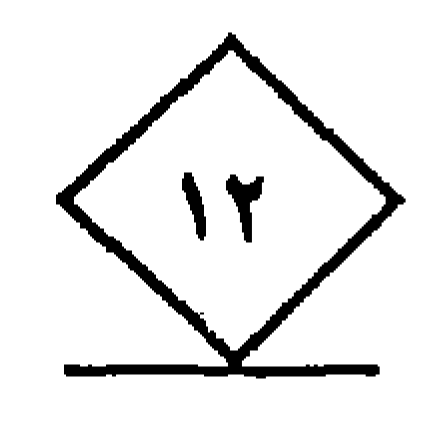


فى ذلك الوقت كانت هناك احتكاكات ومنافسات بين الإنجليز وهم يحتلون مصر حينذاك، وبين الفرنسيين المهيمنين على إدارة الآثار المصرية. فاضطر ماسبيرو إلى الاستقالة عام ١٨٩٢، ولكن ممثل فرنسا فى مصر طالب بإلحاحٍ بعودته؛ وفعلاً قَبِلَ العودة ووصل القاهرة فى عام ١٨٩٩. وفى عهده اكتُشفت خبيئة مهمة بالكرنك بها مئات التماثيل المنتمية لعصور مختلفة.

وقام ماسبيرو بمجهود كبير فى مشروعات الإصلاح وكثرت جولاته التفتيشية على المناطق الأثرية، ووضع برامج جديدة للترميم ونشّط حركة نقل مجموعات الآثار إلى متحف القاهرة الحالى الذى افتُتح عام ١٩٠٢. واقترح بأن يكون كل صرح وكل أثر قديم مِلكًا للدولة. فاختنق تجار الآثار غيظًا واحتج المشترون الأجانب. بعد ذلك أجرى أعمالاً كبيرة لترميم معبد إدفو، ونظف معبد الرمسيوم (المعبد الجنائزى الخاص بالملك رمسيس الثانى) وأزال الرمال عن معبدَىْ "أبو سمبل".

وكانت آخر مهام ماسبيرو هى وضع قانون جديد أكثر تشددًا بشأن الآثار صدر فى عام ١٩١٢. وبمقتضاه أصبح لا يُسمح للأشخاص بالتنقيب. واقتصر التصريح بالتنقيب فقط على البعثات العلمية بعد الموافقة على مشروعها. ولم يصبح من حق الحفّارين الحصول على نصف ما يعثرون عليه، لكنهم يحصلون فقط على القطع التى لها مثيل مكرر بمتحف القاهرة. ولا يُمنح القائم على الحفائر تأشيرة خروج من مصر إلا فى حالة تركه الموقع الأثرى فى حالة مُرْضية.

بعد كل هذا النشاط ، عاد ماسبيرو إلى باريس عام ١٩١٤ مكللاً بالنجاح والفخر، فقد عُيِّن فى منصب المستشار الدائم لأكاديمية الفنون والآداب. أما عن مؤلَّفاته العلمية فهى كثيرة جدًا وتذكر الوثائق الموسوعية بأنه "يحتل المكان الأول بين جيله فى عالم المصريات". وفى ٣٠ من يونيو عام ١٩١٦، تُوفِّى هذا العالم الجليل بعد أن أمضى معظم سنوات حياته فى دراسة آثار مصر والحفاظ على تراثها.

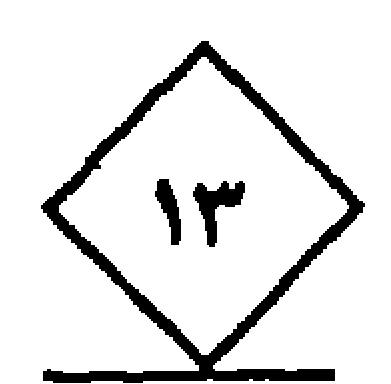


وبالرغم من مجهودات ماسبيرو ونشاطه العلمى الكبير، فإن معظم المصريين لا يعرفون عنه إلا القليل أو على الأقل مجرد اسمه. ولا توجد ترجمة عربية لأى كتاب من كتبه العديدة.

وأرجو أن تكون هذه الترجمة لأشهر كتبه بداية لمعرفة المزيد عن أعماله.

وعلى الله قصد السبيل.

دكتور محمود ماهر طه



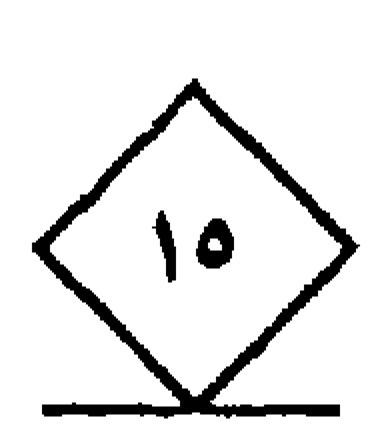
مقدمة المؤلف

لا ريب أن الاكتشاف الذى تم فى عام ١٨٥٢ لنمط من الروايات الوجيزة المصرية، المشابهة لقصص ألف ليلة وليلة، كان بمثابة مفاجأة حقيقية لمعظم علماء أوروبا.

وقد اعتقد البعض، أنه سوف يعثر بالبرديات على بعض التراتيل الموجهة للآلهة، أو أشعار تاريخية، أو كتابات سحرية أو علمية؛ وربما بعض مراسلات الأعمال؛ أى بالأحرى آداب جادة ورسمية ولكن، حكايات؟!!

قطعًا، إن كبار الشخصيات، الذين ترقد مومياواتهم فى متاحفنا، قد اشتهروا بوقارهم الفعلى. ولذا، فلم يجرؤ أحد فى العالم كله على الشك فى أنهم كانوا يقرؤون أو يؤلفون قصصًا وحكايات .. وذلك، طبعًا قبل أن يتحولوا إلى مومياوات !!

ومع ذلك، فقد كانت توجد قصص وحكايات فعلاً فى حوزة أمير، ابن ملك؛ الذى أصبح ملكًا بدوره، إنه "سيتى الثانى"، ابن "مرنبتاح"، حفيد "رمسيس الثانى" !!.. وخلال مرور إحدى السيدات الإنجليزيات بباريس، وهى السيدة "إليزابيث أوربينى"، قدمت إلى السيد "دى روچيه"، بردية كانت قد اشترتها من إيطاليا؛ وكانت ترغب فى معرفة فحواها



ومضمونها. والجدير بالذكر أن معظم ما لدينا من مخطوطات، لا يتضمن سوى مقاطع منسقة إلى حد ما عن "الطقوس الجنازية". أما عن هذا المخطوط المشار إليه، فقد كان، يخفى رواية ما !!

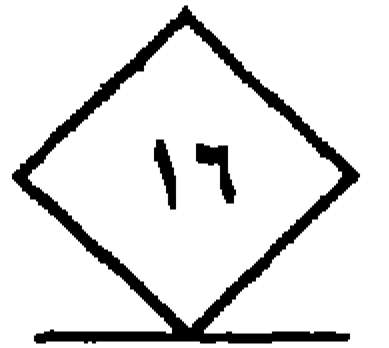
والأمر يتعلق إذًا، بشقيقين. أصغرهما، اتهمته زورًا وبهتانًا زوجة الأخ الأكبر. وبالتالى، اضطر أن يفر هاربًا. وعلى التوالى، أخذ يتحول إلى ثور، ثم إلى شجرة. وبعد ذلك، ولد ثانيًا، وأخيرًا فى شكل أحد الملوك. وتراءى أن المذكرة الأولى التى قدمها "م. دى روچيه"، كانت مجرد تحليل ودراسة .. وليست ترجمة (١). ولم يتم تناول بعض أجزاء النص تناولاً سريعًا. وبعض المقاطع الأخرى، قد اقتطعتها دائمًا بعض الثغرات: سواء بسبب قِدَم المخطوط وتلفه؛ أو ربما لصعوبة قراءة بعض الكلمات، أو تفهُّم عدة تراكيب نحوية: ولذا، فإن اسم بطل الرواية نفسه لم يُقرأ قراءة صائبة (٢).

ولكن، منذ ذاك الحين، لم يلاق أى نص أدبى مصرى، مثلما لاقته هذه القصة من دراسة دقيقة متعمقة، وعناية فائقة. وها هى الخبرة والبراعة المتوالية من جانب العلماء، قد ساعدت على تصحيح أخطائها وسد ثغراتها. إذًا، فباستثناء عدة كلمات قليلة، تُعتبر ترجمة "حكاية الشقيقين": أكيدة صائبة.

على مدى اثنى عشر عامًا، بدا المخطوط الذى درسه وحلله "م. دى روچيه "، بمثابة أثر فريد من نوعه. وحقيقة أنه قد تتابع ظهور ما لا يقل عن ألف من الذخائر العريقة، مثل: "القوائم المتعلقة بالأقاليم التى تم غزوها"، وقوائم بأسماء الملوك، و"تسجيلات جنازية"، و"أناشيد النصر"، و"رسائل مألوفة"، و"كتب حسابات"، و"صيغ تعازيم ووقاية سحرية"، و"نصوص قضائية"؛ بل وأيضًا "دراسات طبية، وهندسية"؛ ولكن لم تكن هناك أية رواية أو قصة !!

(١) La Revue archéologique, 1852, t. IX, p. 385 sqq.

(٢) "ساتو" بدلاً من "بتيو". وقد قام "دى روچيه" نفسه بتصحيح هذا الخطأ فى القراءة.



وفى عام ١٨٦٤، أثناء إجراء بعض الحفائر، اكتُشف مصادفة، فى قلب أطلال طيبة، بـ"دير المدينة"، داخل مقبرة راهب قبطى: صندوق خشبى، يحوى بداخله مع سجلات خاصة بأحد الأديرة المجاورة، بعض المخطوطات التى لا تتسم كثيرًا بالسمة العلمية والنصائح الأخلاقية من جانب كاتب يُدعى "آنى"، لابنه "خونسوحتب" وابتهالات من أجل ساعات الليل الاثنتى عشرة، وحكاية أسطورية تفوق فى غرابتها "قصة الأخوين". وبطلها يُدعى "ساتنى"، وهو ابن لأحد ملوك منف. وكان يتنقل بين عدد من المومياوات الناطقة، والساحرات، والسحرة، والمخلوقات الغامضة المبهمة .. لا يعرف عما إذا كانت ميتة أو فى قيد الحياة.

تُرى، ماذا كانت تفعل رواية وثنية السمات فى مقبرة أحد الرهبان؟!.. أعتقد أنه ليس من السهل دائمًا الإجابة، بكل تحديد عن هذا التساؤل. ولقد خمن البعض أن مالك البردية، ربما كان آخر الأفراد المصريين، الذى سمع شيئًا ما عن الكتابات الموغلة فى القدم. وبعد وفاته، ربما قد دُفنت بجواره عدة مخطوطات لم يكن أحد يفهم منها شيئًا .. وربما أن بعض الإخوة النُّساك قد اشتمُّوا قطعًا، إحدى خدع الشيطان!..

عمومًا، ومهما يكن الأمر، ها هى الرواية قائمة. وهى ناقصة البداية. ولكنها مكتملة تمامًا فيما عدا ذلك. وبذلك يستطيع أى عالم متمرس على الكتابة الديموطيقية، أن يقرأها بدون صعوبة جمة.

ويُلاحظ، أن دراسة الكتابة الديموطيقية [1]، لم تكن أبدًا شائعة ولا دارجة بين علماء المصريات. فإن ميوعة وغموض الأحرف التى تكونها، وتجدد الكثير من الأشكال النحوية، وجدب بعض النصوص أو تفاهتها قد جعلت الكثيرين يخشونها أو ينبذونها ! ونجد أن ما فعله "م. دى

(١) الكتابة الديموطيقية: هى الكتابة المستعملة فى نطاق استعمالات الحياة العامة، بداية من الأسرة السادسة والعشرين. وهى شكل سريع ومختصر جدًا للكتابة الفائقة القدم المعروفة باسم: الكتابة الهيراطيقية.

روچيه"، بالنسبة لبردية "أوربينى"؛ قد استطاع "م. بروجش" أن يؤديه فيما يتعلق ببردية "بولاق". ونرى أن ترجمته لها فى الـ La Revue archéologique تبدو أمينة تمامًا ومتطابقة. وبذا، ففى يومنا هذا، لم يلزم الأمر أن يغير بها شيئًا(١).

لا شك أن بعض الاكتشافات الحديثة قد عملت على زيادة مقتنياتنا. فها هو "م. جودوين"، وهو يقلب، مصادفة فى "مجموعة هاريس"؛ التى كان قد حاز عليها حديثًا المتحف البريطانى .. يعثر على "مغامرات الأمير المحتوم القَدَر"(٢)، وأيضًا على مقطع ما، اعتبره بمثابة سرد تاريخى .. ولم يكن فى حقيقة الأمر سوى رواية (٣). وبعد بضعة أسابيع، أعلن "شاباس" فى تورين عما كان قد اعتقده بقايا قصة خليعة (٤)، وأيضًا، بين برديات "بولاق" بضعة أجزاء متبقية من قصة حب(٥). أما "جولنسشيف" فقد اكتشف وقتئذ، فى بطرسبرج، حكايتين، لم يتم نشرهما حتى الآن(٦). وأخيرًا، وجد، بإحدى برديات تورين، بداية قصة

(١) حكاية "ساتنى خع إم واس".

(٢) Transactions of the Society of Biblical Archaeology, t., III, p. 600.
أعلن عنها "م. شاباس"، بأكاديمية التسجيل وعلم الآداب بجلسة ١٧ أبريل ١٨٧٤.
نشرة عام ١٨٧٤، ص ٩٢، ١١٧-١٢٠ و ص ٢٩-٤٢ بهذا النص الفرنسى.

(٣) Transactions of the Society of Biblical Archaeology, t., III, p. 599.
إنها القصة المنشورة فى كتابنا هذا، بعنوان: "كيف تمكن تحوتى من الاستيلاء على مدينة Yappe".

(٤) أعلن عنها "م. شاباس" فى أكاديمية التسجيل وعلوم الآداب، من خلال جلسة ١٧ أبريل ١٨٧٤، ونُشرت بعنوان: "بستان زهور"، المنشور، ١٨٧٤، ص ٩٢-١٢٠-١٢٤. واعتقد "م. شاباس" أن الأمر يتعلق بقصة حب إحدى المحظيات مع أحد ضباط الجيش. ومن خلال دراسة دقيقة واعية أجريتها بالمخطوط الأصلى، خلال فترة إقامتى الأخيرة فى تورين، اتضح لى أن المقاطع والأجزاء لم تُجمع معًا بشكل صائب صحيح. وأنها يجب أن ترتب بشكل مختلف تمامًا عن الذى تصوره "م. شاباس". وتبين إذًا أن البردية لا تتضمن حكاية خليعة. بل مجرد ترانيم حب مشابهة لتلك التى تتضمنها بردية «هاريس".

(٥) منشور، ١٨٧٤، ص ١٢٤.

(٦) Zeitschrift für Aegyptische Sprache und a Alterhumskunde, 1876, p. 107-111.
بعنوان : بردية رقم ١ بسان بطرسبرج .



مغامرات، شُوهت إلى أقصى درجة. ولذلك، لا يمكن قطعًا تخمين مضمونها[1]. وفوق اثنين من الأوستراكا بمتحف فلورنسا، تراءى مقطع كبير لقصة أشباح [2]. ويلاحظ أيضًا أن بعض المؤلفات التى اعتُبرت بصفة عامة، بمثابة وثائق تاريخية؛ مثل: "مذكرات سنوهى"[3]، والصراع ما بين الموظف والفلاح [4]؛ والمفاوضات ما بين الملك "أبوبى" والملك "سقننرع"[5]، هى فى الواقع مقتطفات أدبية روائية. وحتى بعد أن عانت مصر طوال عشرين قرنًا من الدمار والنسيان، فإنها قد احتفظت: سواء بروايات وحكايات، وأيضًا بأشعار غنائية أو ترانيم موجهة للآلهة.

(١)

قد تعمل دراسة هذه القصص والحكايات على إثارة عدة تساؤلات .. يصعب إلى حد ما حلها. تُرى، هل نبعت من أعماق مصر ذاتها، أم عساها مصر قد استعارتها من شعوب مجاورة، عرفوها من قبلها؟ كما أننى لا أزعم توضيح كل ما تبينه، على سبيل المثال "قصة الأخوين" من تماثل وتشابه مع النصوص التى عُثر عليها فى بلاد أخرى .. فلنتناول منها إذًا، بدون قصد، بعض المقاطع. وعندئذ، سوف ينتابنا العجب، لما ستلاحظونه: فإن مضمونها ومعطياتها يتشابه بفحوى ومضمون القصص التى تتراءى فى إطار الأدب الشعبى بالبلاد الأخرى.

إنها، للوهلة الأولى، تُحلل إلى قصتين متباينتين. ففى البداية، تطالعنا حكاية أخوين. أحدهما، متزوج، والآخر عزب. وهما يعيشان معًا فى بيت

---

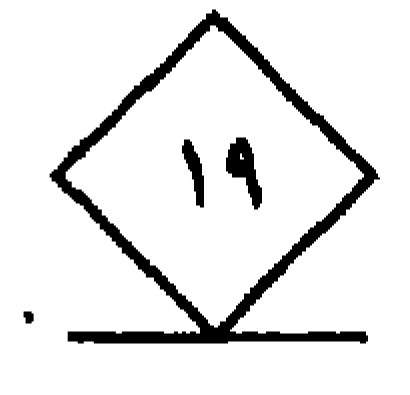
(١) Lepsius Denkmäler Abth. VI, p1.III.

(٢) النص الهيراطيقى لم يُنشر بعد، ولكن الترجمة الهيروغليفية سوف تظهر قريبًا.

(٣) Lepsius Denkmäler Abth. VI, p1.104-106 et p. 83 sqq de ce volume.

(٤) فى المتحف البريطانى Lepsius, Abth Vi, p1. 108-110, 113-114. Papyrus Butler

(٥) Sallier, I, p1. 1-3; p1.2 verso.



واحد. ويباشران الأعمال نفسها. ولكن، ها هى زوجة "نوبو"، تُشغف حبًا بـ"بيتيو"، عندما لاحظت مدى قوته ومقدرته. ولذا، فقد أرادت انتهاز فرصة غياب زوجها عن البيت، لكى تشبع، بكل شراسة رغبة عارمة مفاجئة !!..

ولكن، ها هو "بيتيو"، يرفض غاضبًا رغبتها هذه. وهنا، لجأت إلى اتهامه بمحاولة اغتصابها. ودبرت مكيدتها، بكل مهارة وحذق، لدرجة أن الزوج، وقد اجتاحته ثورة عارمة .. قد صمم على قتل أخيه؛ معتقدًا أنه خائن. ولكن سرعان، ما نبهت البهائم التى يقودها "بيتيو" بذلك. ففر هاربًا من المطاردة؛ وذلك بفضل رعاية الشمس وحمايتها. ثم أصاب نفسه بالذهول ودرأ عن نفسه التهمة. ولكنه رفض الرجوع إلى المنزل المشترك. ونفى نفسه فى "وادى شجر السنط". وهنا، أُصيب الأخ الأكبر بالقنوط واليأس، فرجع إلى بيته. وهناك، قتل الزوجة الواشية .. "وبقى حزينًا على أخيه الصغير".

حتى الآن، نلاحظ أن الأمور الخارقة للطبيعة لا تحتل مكانًا كبيرًا فى إطار مجرى الأحداث: ربما بعض الكلمات التى تفوهت بها البهائم !!.. والظهور المعجزة لمساحة من المياه المليئة بالتماسيح ما بين كل من الأخوين .. وفى حومة المطاردة، لم يستعن الراوى إلا بوقائع دارجة، استعارها من الحياة العامة.

أما عن القصة الثانية (أى الجزء الثانى من القصة ذاتها)، فإنها لا تعدو أن تكون من البداية إلى النهاية سوى أعاجيب ومعجزات !! فنرى، أن "بيتيو" قد انسحب وحيدًا فى "وادى شجر السنط"، لكى يعيش منفردًا. ووضع قلبه بداخل إحدى زهرات هذه الشجرة. فها نحن نرى، من جانبه هنا أسلوبًا طبيعيًا جدًا لوقاية نفسه: حيث سحر قلبه. وتم وضعه فى مكان آمن، فى قمة شجرة السنط؛ فطالما بقى سليمًا، لن تستطيع أية قوة أن تتغلب على الشخص الذى ينتمى إليه هذا القلب.

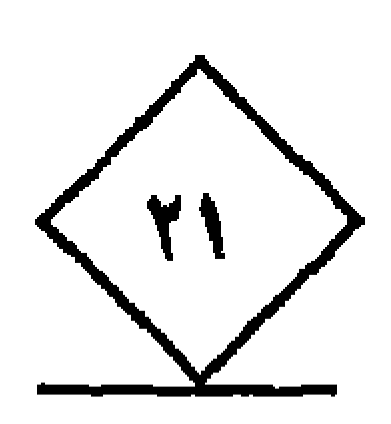


فى ذات الحين، هبطت الآلهة فى زيارة إلى الأرض. فأشفقوا لما يعانيه "بيتيو" من وحدة. ولذا، فقد صنعوا من أجله زوجة جميلة. وشُغف "بيتيو" حبًا بها. فأسرَّ إليها بالسر الذى يكتنف حياته. وطلب منها ألا تغادر البيت. لأن النهر الذى يمر عبر الوادى سوف يهيم حبًا بها، ولن يتردد فى محاولة خطفها. وبعد أن أخبرها بهذا السر، انطلق للصيد. وكان طبيعيًا أن تسرع ابنة الآلهة للتصرف على عكس تنبيهات زوجها: وبذلك، أخذ النهر يطاردها وأوشك أن يستحوذ عليها: ولكن شجرة الأرز، التى تقوم هنا بدور الراعية الحامية، قد أنقذتها؛ وقدمت للنهر خصلة من شعرها. وانسابت الخصلة، مع المياه، حتى وصلت إلى مصر. وهناك، سُلمت إلى الفرعون. وعندئذ، نصح السحرة الفرعون، فبعث بقوات للبحث والتقصى. واتضح أن الاستعانة بالقوة، فى المرة الأولى قد فشلت. ولكن، ها هى الخديعة تنجح فى المرة الثانية ..

فقد لجأ الفرعون إلى قطع شجرة السنط. وبالتالى عمل سقوط هذه الشجرة على قتل "بيتيو" قتلاً فوريًا !.. وبقى فاقد الوعى طوال ثلاث سنوات كاملة. ولكنه، فى العام الرابع برئ وصحا بمساعدة أخيه. بل وفكر فى الانتقام لما لحق به من ضرر وسوء.

ومنذ ذاك الحين، اندلع صراع لا هوادة فيه بين الزوجة الخائنة والزوج الذى أُهين. وهنا، تحول "بيتيو" إلى ثور، وفضح السلوك المَعِيب، من جانب ابنة الآلهة: وعملت ابنة الآلهة من أجل أن يُذبح الثور. ومن الدماء السائلة تولدت شجرتا سنط ضخمتان: أخذتا تؤنبان ابنة الآلهة على غدرها المزدوج. ولذا، عملت ابنة الآلهة من أجل أن تسقط شجرتا السنط، وأن تصنع منهما بعض الألواح الخشبية. ولكى تتأكد تمامًا من تنفيذ انتقامها، طلبت الحضور لمشاهدة إتمام هذه العملية.

ولكن، فى هذه اللحظة، تطاير جزء صغير جدًا من نشارة الخشب، تحت ضربات بلطة النجارين الحادة. ودخل فمها فابتلعته. وحملت فيه. ثم، بعد ذلك، وضعت ابنًا، أصبح ملك مصر، عند وفاة الفرعون. ولم



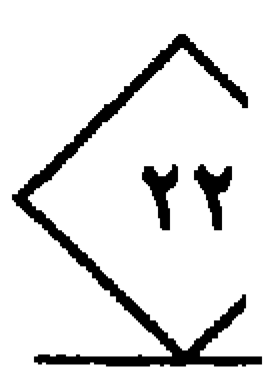
يكن هذا الابن سوى تجسيد لـ"بيتيو" : وحالما ارتقى العرش، جمع جميع مستشارى المملكة. وعرض عليهم مخاوفه. وأدان، تلك التى كانت زوجته .. فأصبحت أمه !!

يُرى إذًا أن هاتين القصتين تنفصلان انفصالاً تامًا عن بعضهما بعضًا. وربما قد تقدمان المادة اللازمة لكتابة نصين منفصلين. ولكن ها هى الفانتازيا (مخرفة: مغالاة فى المشاهد الخارقة للمألوف) الشعبية قد جمعتها معًا من طرف إلى الآخر. وغالبًا ما تعطى الفانتازيا لنفسها هذا الحق. وذلك، وفقًا لهذه البديهية التى تقول: إن أطول الحكايات مدى .. هى الأحسن دائمًا !!.. وكذلك، يُلاحظ: أن الربط ما بين النصين يبدو غليظًا ولا نعومة فيه: فها هم المصريون لم يبذلوا جهدًا كبيرًا فى التخيل من أجل أدائه. فقبل أن ينفى "بيتيو" نفسه، صرح لأخيه، بل ووصف المعجزات التى سوف تعلن عن حدث شؤم وضار ..

وبذا، ففى اللحظة التى سقطت فيها شجرة السنط، تحققت المعجزات المنتظرة: حيث بدأ "أنوبو" مسيرته، وانطلق باحثًا عن قلب أخيه. ولا شك أن هذا العون الذى قدمه فى هذه الظروف .. قد عوض عن محاولته التى أعزيت إليه فى القصة الأولى.

لقد حظى العرف الإغريقى، هو الآخر، بحكاياته ورواياته. حيث يُقتل البطل، أو يُهدد بالاغتيال، لأنه ازدرى حبًا آثمًا من جانب امرأة تُدعى "هيبوليت". إنه بيلى، فينى، بليروفون ابن جلوكون الذى منحته الآلهة الجمال والقوة البديعة. وكان قد قاوم كل محاولات الإلهة "أنتيا". وبذا، ثارت هذه الأخيرة؛ فتوجهت قائلة للملك بروتوس: "أيا بروتوس، فلتمت، أو تقتل "بليروفون" فقد أراد أن يمارس الحب معى .. ولم أرغب فى ذلك مطلقًا !!..

ولكن بروتوس لم يجرؤ أبدًا على قتل البطل. فأرسله إلى "ليسى" حيث يجب أن يقاتل تنينًا (حيوان خرافى له رأس أسد وجسم شاه وذَنَب



حية)(١). العرف والاقتداء العبرانى يقدم لنا هنا سردًا مماثلاً بالسرد المصرى. حيث قيل: إن يوسف كان يعيش فى بيت "بوتيفار"؛ كمثل "بيتيو" فى منزل "أنوبو" وكان بديع القوام وجميل الخلقة. وبعد وقت ما، بدا أن زوجة سيد يوسف قد ركزت ناظريها عليه. وقالت له: "هيا، اضطجع معى!". ولكنه رفض ذلك. وأجابها قائلاً: "انظرى، إن سيدى لا يهتم أبدًا بالنسبة لى، بكل ما يجرى فى بيته. وقد عهد إلىّ بكل ما يملكه. وهو نفسه ليس أكبر منى فى هذا البيت، ولم يمنع عنى شيئًا .. سواك أنت. فإنك زوجته. فكيف عساى أرتكب مثل الجُرم الجَلَل؛ هذا أكيد ضد الإله؟!..

وبالرغم من أنها كانت تتحدث فى هذا الأمر مع يوسف كل يوم؛ فإنه لم ينصت إليها. ورفض أن يضطجع معها، أو حتى يبقى فى صحبتها. وفى يوم ما، دخل حجرتها من أجل تأدية مهامه. ولم يكن هناك أى من خدم البيت. وهنا، جذبته من ملابسه، وقالت له: "فلتنم معى!". ولكنه ترك ملابسه بين يديها، وخرج مسرعًا. عندئذ، عندما رأت أنه ترك هندامه بين يديها، وأسرع فى الخروج، نادت على خدم البيت وقالت لهم هذه العبارات: "انظروا، لقد أحضر إلينا رجلاً عبريًا لكى يهيننا.. لقد دخل عندى، لكى يضطجع معى. ولكننى أطلقت صرخة مدوية. وعندما سمعنى أرفع صوتى صارخة.. ترك ملابسه بجوارى .. وخرج سريعًا !!".

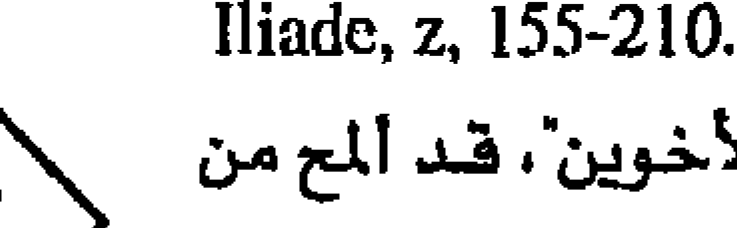
ثم وضعت المرأة الرداء بجوارها، حتى موعد رجوع سيدها إلى بيته. ثم ألقت عليه الكلمات ذاتها، قائلة:

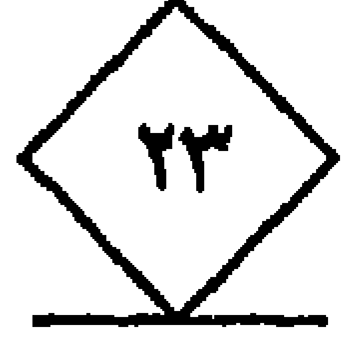
"لقد دخل عندى، هذا العبد العبرى، الذى أحضرته إلينا، لكى يهيننى. وعندما رفعت صوتى عاليًا لأصرخ؛ ترك رداءه بجوارى، وخرج مسرعًا".

---

(١) Iliade, z, 155-210.

نجد أن Hyacinthe Husson الذى تعمق فى دراسة "قصة الأخوين"، قد ألح من قبل إلى هذا التشابه والتطابق La Chaine traditionnelle. قصص وحكايات أسطورية، باريس، ١٨٧٤، ص ٨٧.





وعندما سمع سيدها كلمات زوجته هذه التى توجهها له، قالت له أيضًا:

"هذا ما فعله بى عبدك!". فثارت ثورته. واعتقله. وزج به فى السجن حيث المساجين الذين أمر الملك بحبسهم. وبقى يوسف هناك، فى هذا السجن"(١).

إذًا، تبدو المضاهاة مع قصة الأخوين طبيعية للغاية؛ حيث بيَّنها "م. دى روچيه" منذ عام ١٨٥٢(٢). ويرى "إبرس" وهو على صواب: أن فكرة الإغراء التى تحاولها المرأة الخائنة، وخشيتها من أن تُرفض محاولتها؛ وكذلك الانتقام الذى يمكن أن تقوم به، فتحاول اتهام من لم تستطع إغواءه .. هو أمر طبيعى للغاية؛ قد حدث فى بقاع كثيرة فوق سطح الأرض .. فى مخيلة الرواة الشعبيين(٣).

ولا يلزم الأمر، أن نتعرف من خلال مقدمة قصة يوسف، على شكل آخر للحكاية التى حفظتها لنا بردية "أوربينى" بواسطة الترجمة الدارجة فى "طيبة"، بأواخر الأسرة التاسعة عشرة.

وربما أننا يجب أن نعالج بهذا التحفظ ذاته قصة مستعارة من "ألف ليلة وليلة"؛ وتبدو، للوهلة الأولى مجرد رواية مغايرة عن قصتنا هذه. فنرى أن المضمون الأصلى بها قد تفاقم وتضاعف بشكل غريب الشأن: فبدلاً من زوجة أخ واحدة تعرض نفسها لشقيق زوجها، نجد حماتين تحاولان إغواء ابنَىْ زوجهما المشترك.

الأمير "قمر الزمان"، قد أنجب ابنه "أمجد" من الأميرة "بدور"، و"أسعد" من الأميرة "حياة النفوس". وكان "أمجد"، و"أسعد" يتميزان

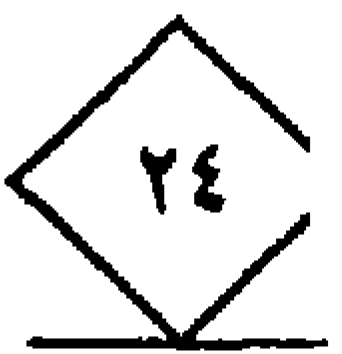
---

(١) Génese, XXXIX, 6-20 (trad-Reuss).



(٢) "ملحوظات عن مخطوط مصرى، ص٧، الملحوظة ٥، بدون الإفاضة فيما يتعلق بالتشابه.

(٣) Ebers, Aegypten und die Bucher Moses, 1868, t, p. 325.



بوسامة، وجمال، لدرجة أن الأميرتين كانتا تكنان تجاههما حبًا لا مثيل له. وتوالت السنوات. وتحول الحب الذى كان يبدو ظاهريًا مجرد إعزاز أموى .. إلى عاطفة جارفة!! وبدلاً من أن تعمل كل من "بدور"، و"حياة النفوس" على مقاومة عواطفهما الآثمة، اتفقتا معًا، وأفصحتا عن حبهما بواسطة خطابين منمقى الأسلوب!

ولكنهما نُبذتا بازدراء. وبالتالى خشيتا من التشهير بهما. ومثلهما كمثل زوجة "أنوبى"، ادَّعتا زورًا، أنهما قد تعرضتا للاغتصاب. وأخذتا تبكيان، وتصيحان؛ ونامتا معًا فى سرير واحد؛ وكأن المقاومة قد أنهكت قواهما. وفى اليوم التالى صباحًا، عندما عاد "قمر الزمان" من رحلة الصيد، وجدهما منهارتين من الأسى واللوعة. فسألهما عن سبب حزنهما. ولعلنا، قد نخمن إجابتيهما:

"أيا سيدى، إن الحزن والألم الذى أصابنا لا يجعلنا نستطيع تحمل ضياء النهار؛ بعد الانتهاك الذى ارتكبه فى حقنا الأميران، ابناك. لقد جاسرا، خلال غيبتك، على محاولة النيل من شرفنا !!".

واستشاط الأب غضبًا وثورة وأصدر حكمه بإعدام الاثنين. ولكن، ا هو الأمير المسن الذى كُلف بتنفيذه .. لم ينفذه مطلقًا: وإلا لما ستمرت أحداث القصة !!.. عمومًا، سرعان ما أدرك الأمير "قمر زمان" براءة "أمجد"، و"أسعد". ولكنه، فى ذات الحين، بدلاً من إعدام وجتيه، مثلما فعل "أنوبى" بزوجته .. فقد اكتفى بحبسهما حتى نهاية حياتهما. إذًا، ها هو مضمون "قصة الأخوين"، ولكن، من خلال مطابقتها بعادات وتقاليد الحريم، ومتطلبات تعدد الزوجات عند المسلمين. حقًا، إنها، من خلال هذا التغاير والتباين، لم يزدد مدى أهميتها، ولا مغزاها الأخلاقى(١).

(١) هناك ترجمة مختلفة لهذه القصة الأولى قد أعلن عنها حديثًا: M. Noldeke.

وتجدر الإشارة إلى أن ترجمات القصة الثانية، تبدو، فى ذات الحين فائقة العدد وغريبة الشأن(١)، ويمكن العثور عليها فى كل مكان: فى فرنسا(٢)، وإيطاليا(٣)، ومختلف أنحاء ألمانيا(٤)، والمجر(٥)، وأيضًا، فى روسيا وفى البلاد السلافية(٦)، ورومانيا(٧)، وفى البلوبونيز(٨)، وآسيا الصغرى(٩)، وفى الحبشة، والهند(١٠). ونجد أن "بيتيو" فى ألمانيا، قد أصبح راعى غنم، يحوز على سيف لا يُقهر أبدًا. ولكن، تتمكن إحدى الأميرات من سرقة طلسمانه هذا. وبذا، فقد هزم، ثم قُتل، وقُطع إربًا

---

(١) قام بجمعها وتحليلها "م. إيمانويل كوزمان"، من خلال مقال بعنوان: "مشكلة تاريخية تتعلق بقصة مصرية "الأخوان" (مقتطفة من مجلة Questions historiques، أكتوبر ١٨٧٧، طبعة محدودة، in 8 ، ص١٥. وباعتبار أن هذه المواد تبدو إلى حد ما غير مألوفة، للقاعدة العريضة من القراء، فقد فكرت أنه من الضرورى، ذكر عدد من الكتب أو مجموعة قصص، حيث توجد، حاليًا قصص مشابهة، لقصة " الأخوان". ولقد التزمت تمامًا، بأن أتوخى، بكل دقة الإشارة إلى المراجع التى استعنت بها.

(٢) Cabinet des Fées, t, XXXI, p.233, sqq., d'aprés E. Cosquin.

(٣) Giambottissa basile, II Pentammerone, no. 49, d'aprés E. Cosquin.

(٤) En Hesse, Y.W. Wolff, Deutshe Hausmärchen, Göttingen, 1851, p.394 sqq.

(٥) O.L.B. Wolff, Die achonsten und Sagen aller Zeiten und Volker, Lepipzing, 1850, t, I, 229 sqq.; Gaal et Stier, Ungarische Volkssmärchen, Pest 1857, no. 7, d'aprés E. Cosquin.

(٦) وفى ليتوانيا، Alex. Chodzko، باريس ١٨٦٤، ص٣٦٨: "Cosquin". وفى روسيا، من خلال كتاب "ألفريد رامبو"، "روسيا والملحمة"، باريس ١٨٧٦، ص ٣٧٧–٣٨٠.

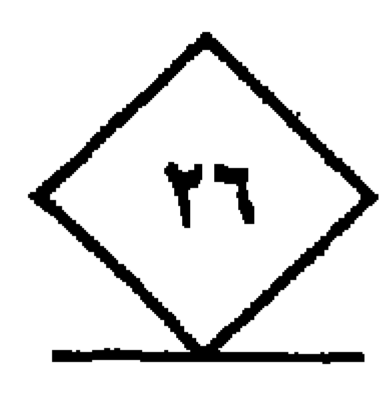
(٧) Franz Obert, Romanische Marchen und Sagen aus Sieben burgen, dans l'Ausland, 1858, p. 118; Arthur und Albert Schott, Walachische Marachen, Stuttgart, 1845, no. 8, d'aprés E. Cosquin.

(٨) مؤلف: أستورنل دى كونستانت، "حياة الأقاليم فى اليونان"؛ باريس، ١٨٧٨، ص ٢٦–٢٩٢.

'Bulletin de l' Association pouir l'encouragement des Etudes Grecques en France", 1878, p. 118-129.

(٩) J.G. Von Haben, Grieschiche und Albanesische, Marchen, Leipzig, 1864, no. 49, d'aprés E. Cosquin.

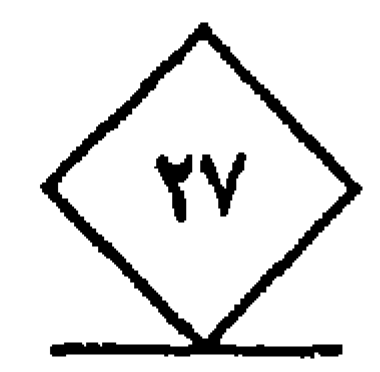
(١٠) M. Frére. Old Deccan Days or Hindoo Fairy Legends, London, 1868, no. 6, d'aprés E. Cosquin.



إربًا. ثم بعد ذلك، استعاد حياته، بواسطة بعض السحرة: الذين أضفوا عليه "إمكانية التحول إلى أى شكل يروق له". فتحول إلى حصان، وبيع إلى الملك المعادِي. ولكن الأميرة المشار إليها سرعان ما تعرفت عليه، وأمرت بقطع رقبته. وها هو يشرك طباخة القصر فى مصيره وقدره. فقال لها: "عندما يقطعون رقبتى، سوف تقفز ثلاث نقاط دم فوق مريلتك. فتقومين بدفنها، حبًا فىّ". وفى اليوم التالى، نبتت شجرة كريز بديعة الشكل، بالمكان ذاته الذى دفنت به نقاط الدم الثلاث. عندئذ، أمرت الأميرة بإسقاط شجرة الكريز. ولكن الطباخة أسرعت بالتقاط ثلاث نشارات صغيرة وألقتها فى البحيرة الخاصة بالأميرة، حيث تحولت إلى ثلاث بطات ذهبية. وهنا، قتلت الأميرة اثنتين منها بطلقات سهامها. واقتنصت الثالثة..

وفى المساء، حبستها فى حجرتها. وهنا، استعادت البطة السيف السحرى، واختفت (١). ويُلاحظ، أن "بيتيو" فى روسيا، قد أُطلق عليه اسم "إيڤان"، ابن "جيرمان" خادم الكنيسة. ووجد فى أحد الأدغال سيفًا سحريًا، فاستولى عليه. ثم توجه للمحاربة ضد الأتراك الذين كانوا قد غزوا بلاد "أرينر" فقتل منهم ثمانية آلاف فرد، ومائة ألف. وكمكافأة له على مفاخره وانتصاراته، أُنعم عليه بزواجه من الأميرة "كليوباترا" ابنة الملك. بعد ذلك، تُوفى حَمُوه؛ وبالتالى، أصبح بدوره ملكًا. ولكن، ها هى زوجته قد خانته، فسلمت سيفه للأتراك. وعندما، هلك "إيڤان" بعد أن فقد سلاحه، فى المعركة .. سلم نفسه للسلطان، مثلما استسلمت ابنة الملك للفرعون. وفى ذاك الحين، فإن "جيرمان" خادم الكنيسة قد تنبه بواسطة موجة من الدماء، انبثقت فى وسط الحظيرة!! فانطلق باحثًا، حتى عثر على الجثة. وهنا نطق جواده قائلاً: "إذا أردت إنعاشه، فافتح بطنى، وانزع أحشائى، وادهن المُتوفَّى بدمى. ثم، عندما تأتى الغربان

(١) J.W. Wolff, Deutsche Hausmarchen, Gottingen, 1851, in-8, p.394, d'aprés E.Cosquin.



لالتهامى، اقتنص أحدها وأجبره على ان يحضر لك مياه الحياة السحرية". وعاد "إيڤان" ثانيًا إلى الحياة. وقال لأبيه: "فلتعد إلى البيت. أما أنا، فسوف أصفى حساباتى مع العدو". وفى طريقه، قابل أحد الفلاحين. فقال له:

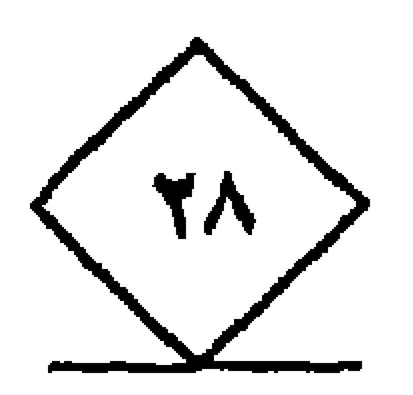
"سوف أتحول من أجلك إلى حصان مسحور، ذى عرفة ذهبية. وعليك أن تقوده أمامك إلى قصر السلطان". وعندما رأى السلطان الجواد، اشتراه ووضعه فى حظيرته. ولم يتوقف أبدًا عن التوجه لزيارته. ولذا، قالت له كليوپاترا: "لماذا تذهب دائمًا إلى الحظائر؟". فأجابها: "لقد اشتريت حصانًا له عرفة ذهبية" فقالت له: "إنه ليس حصانًا. بل إيڤان، ابن خادم الكنيسة: فلتصدر أمرك بقتله". ومن دماء الجواد، تولد ثور ذهبى الشعر. فأمرت كليوپاترا بقتله. ومن رأس الثور، انبثقت شجرة تفاح ذهبى. وأصدرت كليوپاترا أوامرها بإسقاط الشجرة. وهنا، تحولت أول نشارة صغيرة إلى ذكر بط بديع الشكل. وعندئذ، أمر الملك بأن تُجهز معدات الصيد. وقفز فى الماء بنفسه لاقتناصه. فهرب طائر البط إلى الضفة الأخرى. وتحول ثانيًا إلى شكل "إيڤان".. ولكن بملابس سلطان وألقى فوق محرقة، كلاً من كليوپاترا وعشيقها وتولى المُلك مكانهما(١).

ها هنا إذًا، بعد ما يزيد على ثلاثة آلاف عام، وفى الخطوط الأساسية للترجمة المصرية! فلا شك، إننا لو حاولنا دراسة التفاصيل، كل منها على حدة .. فسوف نجد قطعًا ما يماثلها..

فإن خصلة الشعر قد عملت على إثارة نشوة الفرعون بعبقها، وذلك من خلال قصة "بريتون". وكذلك، فإن خصلة الشعر المضيئة الخاصة بالأميرة "تريمنياجور" قد أشعلت الحب فى قلب ملك "باريس"(٢). وعن

(١) "رامبو": "روسيا والملحمة"، ص ٣٧٧، ٣٨٠. إنها أسطورة مجرية، ذكرها "م. كوسكان" (ص٥) ولا تختلف كثيرًا عن النص الألمانى أو الروسى.

(٢) F.M.Lozel، التقرير الثالث بخصوص بعثة ما إلى بريطانيا بأرشيف البعثات العلمية، السلسلة رقم ٢، المجلد السابع، ص ١٩٢ وما بعدها.



"بيتيو" فقد وضع قلبه فوق زهرة شجرة السنط؛ وفى "بانتيهاتنترا" يُحكى أن أحد القردة قال: إنه لا يغادر مطلقًا الغابة التى يعيش فيها، إلا إذا خبا قلبه فى أعماق إحدى الأشجار!! وعن "أنوبو" فقد نبه بموت "بيتيو" بواسطة كمية من النبيذ والجعة وهى تضطرب وتفور؛ ومن خلال بعض القصص الأوروبية، نجد أن أحد الإخوة الذى يسافر فى رحلة، ينبئ أخاه قائلاً: إنه إذا حدث فى يوم ما، أن اضطربت وفارت بعض محتويات قارورة ما .. فإن ذلك يشير إلى وفاته(١).

عمومًا، ليس الأدب الشعبى فقط هو الذى يتضمن ما يتطابق بمغامرات "بيتيو"، فإن عقائد اليونان، وغرب آسيا، تحوى هى الأخرى أساطير ما، يمكن مضاهاتها حرفيًا !.. وقد نكتفى هنا بذكر الأسطورة الفريجية: حيث ينبذ "أليس" حب الربة "جيبل"؛ تمامًا كما رفض "بيتيو" حب زوجة "أنوبو" شقيقه. بل ولقد استأصل "أليس" هو الآخر جزءًا ما من جسمه(٢). وكذلك، فإن "بيتيو"، من خلال تحول إلى تحول آخر، قد استطاع أن يكون مجرد شجرة سنط .. وقد تحول "أليس" بدوره إلى شجرة صنوبر(٣). وربما أن البعض قد استطاعوا، أو سوف يتمكنون أفضل منى من عمل التقاربات والمقارنات اللازمة. عمومًا، لقد ذكرت كثيرًا: أن النصين اللذين انبثق منهما السرد المصرى .. يوجدان فى أماكن أخرى غير مصر .. بل وفى أزمنة غير العصور الفرعونية.

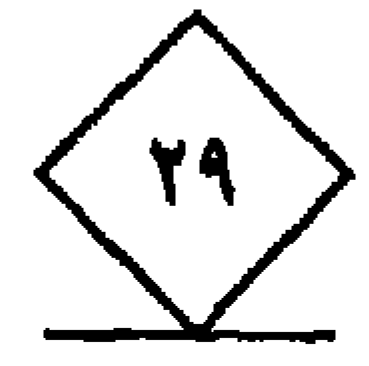
تُرى، هل يكفى أن نصرح بأن مصدرهما مصر أو بلاد أخرى؟!.. عمومًا، هناك نقطة ما لا تقبل حاليًا جدالاً أو شكًا: أن الترجمة المصرية

---

(١) يُنظر الأمثلة المجمعة فى "كوسكان"، ص ٢-١٠.

(٢) من خلال De dea Syria، ١٩-٢٧، حكاية كومبانوس، حيث نجد أن فكرة التشويه تبدو أحسن تفصيلاً عما هى عليه فى "حكاية الأخوين". فإن "بيتيو" يستأصل فيما بعد، جزءًا من جسمه، وهذا لا يثبت شيئًا، أما كومبانوس، فإنه يشوه نفسه قبل الاتهام.. وبالتالى يسمح ذلك له بإثبات براءته.

(٣) الناحية الأسطورية فى هذا الصدد، قد أوضحها "م. فى. لونورمان" فى : "الحضارات الأولى"، t. I، (طبعة in-8)، ص ٣٧٥-٤٠١.



هى الأكثر قدمًا ضمن ما نملكه. حيث وصلت إلينا فعلاً، بواسطة مخطوط يرجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد. أى قبل سنوات مديدة من الوقت الذى بدأنا فيه التعرف على آثار الآخرين !!

وربما إذا كان الشعب المصرى قد استعار أو نقل إلى الخارج المعطيات التى يتضمنها .. فإن هذا المؤلف، لا بد أنه قد تم فى زمن أكثر قدمًا أيضًا .. فمن عساه يستطيع أن يقول الآن، كيف، ومن الذى قام به ؟!!

(٢)

وسواء أكان المضمون أجنبيًا أم لا، فإن الشكل نفسه: مصرى عامة. وإذا لم يكن هناك تماثل فيما يتعلق بالنص، فإن التشابه كامل. ولنتناول أولاً الأسماء: فسوف نجد أن بعضها، مثل "بيتيو"، و"أنوبو"، يرجعان أساسًا إلى الأسطورة: فإن "أنوبو" هو الإله "أنوبيس"؛ أما أخوه "بيتيو" فهو قد تَسمَّى باسم الملك الأسطورى "بيتيس" الذى يُحتمل أنه قد تُوِّج على أرض وادى النيل قبل الملك "مينا"(١)، بزمن بعيد.

وهناك أسماء أخرى تنتمى إلى التاريخ، وتعيد ذكرى أسماء أكثر الملوك الفراعنة شهرة وذيوع صيت. ولعلنا نلاحظ أن الرواة، يتجهون، غريزيًا فى كل مكان، لجعل أبطال رواياتهم من الملوك أو علية القوم. وربما أن ذلك يرتبط، فى إطار مصر بمشاعر الوطنية المتأججة. فلا شك، أن رجلاً ما، من أهالى منف، وُلد عند سفح معبد بتاح، ونما وترعرع، تحت ظلال الأهرام، لا بد أنه كان يُكن ألفة وتعوُّدًا تجاه "مينا" و"خونسو". وكذلك، كانت النقوش الغائرة والرسوم الملونة تعرض أمام ناظريه، صورها وأشكالها. وأيضًا تعمل الكتابات على ترديد ألقابهما، وتُحْيِى ذكرى بطولات ومفاخر حكم كل منهما.

(١) يُلاحظ أن M. Lauth هو أول من تعرف على مطابقة اسم "بيتيو" باسم "بيتيس" (Aegypische Chronologie) ١٨٧٧، ص ٣٠-٣١.



عمومًا، إننا لن نبتعد كثيرًا عن منف، فى نطاق تاريخ مصر وماضيها البعيد. وسوف نجد أن طيبة لم تكن أقل ثراء وفخامة فيما يتعلق بالنُّصُب والمنشآت. فسواء على الضفة اليمنى أو اليسرى لنهر النيل، بالكرنك، وبالأقصر؛ وكذلك فى القرنة، ومدينة هابو: كانت الجدران تتحدث وتفيض عن الانتصارات الكبرى، التى أُحرزت على الأمم الكبرى، والحروب الظافرة دائمًا، والحملات إلى المناطق النائية، فيما وراء البحار.

إذًا، فعندما كان الرواة، يقدمون فى "مشاهدهم" بعض الملوك، فإن الصورة التى يتناولونها، لم تكن مجرد صورة "مانيكان" وتعنى؛ رائع مبهر، مرتديًا ملابس ملكية غريبة الشأن. قطعًا لا. فإن مستمعيهم وهم أنفسهم، كانوا يفكرون فى هؤلاء الأمراء المنتصرين دائمًا، الذين كانت سيماهم وذكراهم تعيش دائمًا بينهم. ولم يكن الأمر يكفى ذكر أن بطل القصة كان حاكمًا، ويُنادى بلقب "الفرعون". بل كان يجب أن يُقال عن أى فرعون منتصر كان الرواى يتحدث .. أى، عما إذا كان فرعون من الرعامسة، أو الفرعون "خونسو"؛ أحد بناة الأهرام، أو أحد الغزاة من الأسرات المحاربة.

وفى الواقع الأمر، أن الحقيقة، كانت تُخدش غالبًا. وحقيقة أن المصريين كانوا يكنون ألفة واضحة تجاه الملوك العظماء؛ بالرغم من أنهم لم يدرسوا تمامًا حولياتهم. كانوا يجنحون للخلط ما بين اسم الملوك، والمزج بين الحقبات. وبذلك، فبداية من الأسرة الثانية عشرة، فإن الملك الذى يقص "سنوهى" مغامراته بصدده، قد سُمى "أمنمحات خبركارع" .. لم يُعثر عليه أبدًا ضمن القوائم الرسمية (١). وكذلك نجد أن "سنفرو" المنتمى إلى الأسرة الرابعة، قد أُدخل فى الرواية المحفوظة فى

(١) يتكون اسم هذا الملك من اسم "أمنمحات الأول" ومن الاسم العَلَم لابنه "سنوسرت"، وربما يرجع ذلك إلى ذكرى مشاركتهما معًا فى الحكم.

بطرسبرج، مع "أمونى" .. من الأسرة الحادية عشرة [1]! أما "مريكارع" الذى ينحدر من الأسرة الثالثة، فقد صُور بإحدى برديات برلين؛ وعن "أوزير ميرى" و"مرنبتاح"، فمن الأسرة التاسعة عشرة، فى حكاية "ساتنى"؛ وكذلك "رع حتب" فى مقطع من حكاية عن الأشباح محفوظ فى فلورنسا، وأيضًا ملك من ملوك مصر مجهول الهوية، فى قصة "الأمير المحتوم القدر". إن كل هذه الأسماء، وكل هذه الأسماء الحقيقية القديمة كانت تضفى على القصة سمة الواقعية .. التى كانت ستفتقدها لو لم تكن متوافرة. فها هى مغامرة تبدو فى هيئة معجزة قد أُعزيت إلى "سنوسرت"؛ وقد أصبحت أكثر احتمالاً؛ مما ستبدو عليه .. إذا كانت قد سُردت من خلال بعض الأسماء المجهولة الهوية!

إذًا، فبجانب التاريخ الواقعى الحقيقى، توجد قصة شعبية، قد تكون فكاهية أحيانا .. ومسلية وطريفة دائمًا!.. وكذلك الحال كان فى أوروبا إبان العصور الوسطى: حيث قُدمت "دورة شارلمان" .. وفيها لم تُبجل أبدًا أو توقر سماته وأخلاقياته. وأيضًا، وجدت فى مصر دورات "سنوسرت"، ودورات "تحتمس الثالث"، ودورات "خوفو". ومن خلالها، تبدلت شخصية كل من "سنوسرت"، و"تحتمس الثالث"، و"خوفو" لدرجة أنهم قد أصبحوا غالبًا متغيرين تمامًا. وحقيقة أن معظم هذه النصوص قد فُقدت. أما المقاطع القليلة التى تبقت منها، مثل "رواية "أبوفيس"، و"مغامرات تحوت"، فلم تُقدر حق قدرها.

وللأسف الشديد أن "رواية أبوفيس"، قد دُمرت وشُوهت بصورة بالغة. عمومًا، يمكننا أن نعرف أن الملك "الراعى أبوفيس"، قد أرسل بعثات فى إثر بعضها بعضًا إلى أمير طيبة "سقننرع"، لينذره بأن يطارد حيوانات فرس النهر من بحيرة طيبة، لأنها تمنعه من النوم!.. ولعلنا

(١) W. Golenischeff, Zeitschrift für Aegyptische Sprache und Alterthimskunde, 1876, p. 109-111.

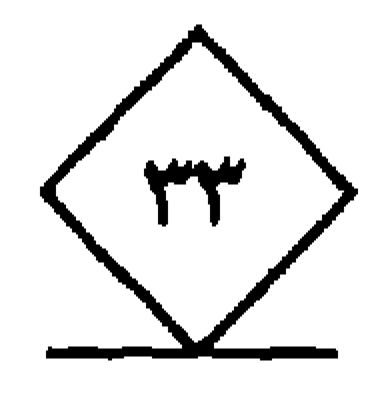
نعتقد حقًا، أن هذه الرسالة الغريبة الشأن، كانت تُعد، قبل كل شيء، مجرد ذريعة، لعمل نمط من الدعاية الدينية. وفى الواقع، أن هذه هى الحقيقة بعينها !!

لأن ملك طيبة، إذا رفض الإذعان لهذا الإنذار .. فسوف يُجبر على التخلى عن عبادة "رع"، ويتجه لعقيدة "ست"(١). وهكذا نرى، أن النزاع بين "أبوفيس" و"سقننرع"، لا يعدو أن يكون سوى ترجمة مصرية لقصة شعبية من "الشرق".

"كان ملوك هذه الفترة يبعثون إلى بعضهم بعضًا عددًا من المشاكل التى يتحتم حلها فى كافة المجالات: بحيث يدفعون جزية له أو غرامة .. وفقًا لإجاباتهم: حسنة كانت أو سيئة على الأسئلة المقدمة". وهكذا استطاع "هرمان" التوصل بواسطة "عبدمون" إلى حل الألغاز التى طرحها عليه "سليمان". وحقيقة إننى لن أقوم هنا بتحليل ودراسة مختلف سمات مثل هذه القصة، ولكننى سوف أكتفى بسرد واحدة منها: تبدو مماثلة إلى حد ما، لما تبقى من الحكاية المصرية ..

فها هو الفرعون "نختانبو" يبعث بسفير له إلى "سيروس" ملك "بابل"، ولوزيره "إسوب" قائلاً: "لدىَّ أفراس فى مصر، تجفل عند سماع صهيل الجياد أمام "بابل" فبماذا عساكم تردون على ذلك؟!! عندئذ، سارع الفريجى ببعث رده فى اليوم التالى. وعند رجوعه إلى منزله، أمر بعض الأطفال بأن يمسكوا أحد القطط، وينهالوا عليه ضربًا فى كل الشوارع. وهنا، فإن المصريين، الذين يعبدون هذا الحيوان، قد استشاطوا غضبًا من هذه المعاملة التى يلقاها القط !!.. فانتزعوه من أيدى الأطفال. وتوجهوا للشكوى إلى الملك. وهنا، أحضر إليه الفريجى وقال له الملك: "ألا تعرف أن هذا القط هو أحد آلهتنا؟!!.. لماذا إذًا أمرت بمعاملته بمثل

(١) "دراسات مصرية"، t.I، ص ١٩٥-٢٩٦: الترجمة الكاملة لبقايا الرواية توجد فى نهاية كتابنا هذا.



هذا الأسلوب؟"، فرد عليه "إسوب" قائلاً: "بسبب الجريمة التى ارتكبها، فى حق "سيروس" لأنه فى الليلة الماضية، خنق له ديكًا فائق الشجاعة والبسالة، ويغرد فى كل ساعات اليوم". فرد الملك بقوله: "إنك كاذب. كيف عساه يستطيع هذا القط، فى وقت وجيز جدًا، أن يقوم برحلة بعيدة المدى للغاية؟!". فأجاب إسوب": وكيف يمكنها أفراسكم أن تسمع، من مسافة نائية جدًا جيادنا تصهل وتحمحم وتجفل لسماعها ؟!"(١) .. إذًا، فإن حيوانات فرس النهر فى بحيرة طيبة، التى يتحتم طردها، لكى يستطيع ملك الشمال أن ينام، تبدو لى، مماثلة إلى حد ما، بالجياد التى يصل صوت صهيلها وحمحمتها إلى بابل !!.. وأيضًا بالقط، الذى يقوم، فى ليلة واحدة برحلة إلى أشور ذهابًا وعودة!! وأنا لا أشك أبدًا أن "سقننرع"، بعد أن تلقى رسالة "أبوفيس" الثانية .. لم يجد فى نطاق مجلسه كله، حكيمًا بمثل ثقوب فكر وحدة بصيرة "إسوب الفريجى" وبفضل هذه النجدة، خرج آمنًا سليمًا من المعضلة.

تُرى، هل توالت القصة إلى أكثر من ذلك؟!.. وهل بينت عن الحرب التى تفجرت بين أمراء الشمال والجنوب .. ثم تحرُّر مصر من ثقل وطأة الغزاة "الرعاة" وسيطرتهم .. عامة لكى نجيب عن هذه الأسئلة، علينا أن نعثر على مخطوط يتضمن نهاية الحكاية .. ولكن، لا يمكننا أن نأمل أبدًا فى ذلك !

أما عن "رواية تحوتى"، فهى ليست أقل تعريفًا وتميزًا. فها هو أمير "يافا" قد تمرد ضد "تحتمس الثالث". وقام "تحوتى" باستقطاب المتمرد إلى معسكره، بحجة أنه سوف يريه صولجان الملك، ثم قتله. ولكن، لم ينتهِ الأمر عند حد التخلص من الزعيم. فالضرورة كانت تقتضى الاستيلاء على المدينة. وعندئذ، عمل "تحوتى" على تخبئة خمسمائة جندى بداخل

(١) حياة Esope de Phrygien، ترجمها "لافونتين" (حكايات لافونتين، طبعة Lemerre، t.I، ص٤١-٤٢-٤٥).

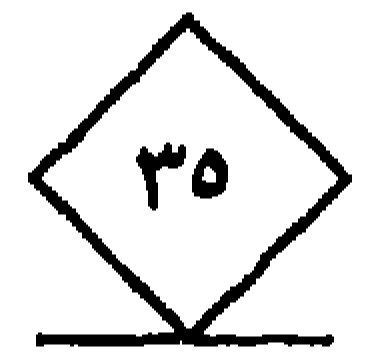
عدة جرّار؛ وأمر بنقلها إلى أسفل جدران المدينة. وهناك، أُرغم مروض جياد الأمير، على أن يعلن هذا الخبر: أن المصريين قد هُزموا، واقتيد قائدهم أسيرًا، فصدقه الجميع؛ وفُتحت الأبواب. وحينئذ، خرج الجند من جرارهم .. واستولوا على المدينة !.. ألا نرى هنا واقعة فعلية للحروب المصرية؟!

إن "يافا" قد احتُلت، منذ وقت مبكر من جانب المصريين، ويُحتمل أن "تحتمس الأول" كان قد هزمها منذ المعارك التى اندلعت فيما وراء المضيق. وعلى أية حال، ووفقًا للعرف السائد وقتئذ، كانت تسدد ضرائب للمنتصر؛ ولكنها، فى ذات الحين، تحتفظ بحاكمها الوارث.

وكان "مهزوم يافا" وفقًا للقب الرسمى فى إطار القنصلية المصرية، الذى كان يُسمى به الأمراء السوريون الخاضعون لمصر أو المتمردون عليها، ملزمًا بأن يفعل دائمًا كمثل مهزوم "تونب"، ومهزوم "قادش"، وغيرهم الكثيرون: الذين يثورون دائمًا، وبدون توقف، ويستنزلون على مدنهم غضب الفرعون وثائرته.

عمومًا، إن محاربة أحد نبلاء أو أمراء "يافا" مع سيده ومولاه، لا يبدو، فى حد ذاته أمرًا غريبًا. حتى إذا كان هذا الأخير بمثل سطوة وقوة وضراوة "رمسيس الثالث"، فى معارك القمع والردع. أما عن الضابط "تحوتى"، فهو الآخر ليس مجرد شخص وهمى أو صورى. فقد كان هناك فعلاً، من يُدعى "تحوتى" كان هو الآخر من معاصرى عهد "تحتمس الثالث". وكان قد مارس أعمال قيادة كبرى فى سوريا وفينيقيا. ولُقب بلقب "الأمير الوريث"، و"مبعوث الملك فى كافة المناطق الأجنبية بالبلاد الواقعة عند البحر المتوسط". وهو أيضًا "الكاتب الملكى"، و"قائد السلاح"، و"حاكم أقاليم الشمال". إذًا، فليس هناك أبدًا أى مانع فى أن يقوم، فى إحدى معاركه، بمحاربة أحد أمراء "يافا" !!

نرى إذًا، أن الممثلين الرئيسيين بالرواية يمكن انتماؤهم إلى التاريخ. ولكن الأحداث والمعارك التى تُعزى إليهم، هل هى ذات سمات تاريخية،

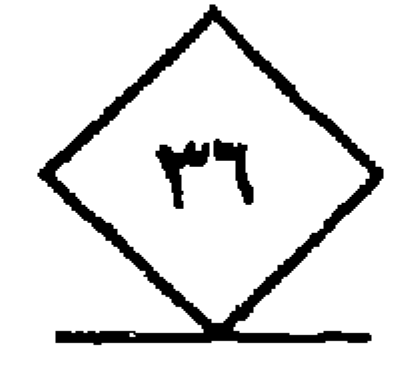


أم تُراها قد اقتُطفت من مجال الفانتازيا؟!.. فها نحن، نجد أن "تحوتى" يلجأ كهارب من وطنه إلى زعيم الأعداء .. ويقتله !.. ثم يتخفى فى هيئة أسير حرب، لكى يدخل فى الموقع. بل إنه، يدخل معه، عددًا من الجنود، المرتدين ملابس العبيد؛ ويحملون جندًا آخرين مختبئين بداخل جرار مصنوعة من الفخار!

وها هو "پولين" يحكى أن "نيورك الجريتى" قد استولى على مدينة "تلميسوس" حيث أوهم حاكم "أنتيباتريدوس" بأنه يعهد إليه بفرقة من النساء الجوارى. وكان هناك مجموعة من الأطفال المكبلين يصاحبون هؤلاء النسوة مع فرقة من الموسيقيين، وحرس من الرجال، غير مسلحين لمراقبة كل شىء. وعند دخولهم القلعة، قام كل من الرجال الحرس، بفتح غلاف مزماره الذى كان يحوى بداخله خنجرًا مجردًا من غمده، وليس آلة موسيقية .. وهجموا على الحامية، واستولوا على المدينة(١).

وربما، إذا كان "تحوتى" قد اكتفى بمجرد تحميل جنوده بجرار عادية أو بصناديق مختلفة، أو سيوف حادة مسنونة .. فإننى لا يمكن أن أعارضه بخصوص صدق وحقيقة حكايته. ولكنه أرهقهم بثقل الجرار الضخمة، التى تحوى كل منها جنديًا مسلحًا، أو سلاسل بدلاً من الأسلحة.

عامة، لكى نجد ما يعادل هذه الخدعة، علينا أن نرجع إلى القصص الحقيقية بـ"ألف ليلة وليلة". فيتراءى أن زعيم الأربعين "حرامى"، لكى يُدخل عصابته فى بيت "على بابا"، لم يجد أحسن من هذه الحيلة: أن يخبئهم فى أعماق الجرار، أو بالأحرى: رجل فى كل جرة. وأن يزعم أنه تاجر مسافر. ولكننا نتبين: أن الراوى العربى، قد أولى المزيد من الاحتمال؛ عما أبداه القصاص المصرى؛ وحمل جرار اللصوص فوق ظهور الحيوانات .. وليس ظهور الرجال!!.. وحقيقة أن إطار القصة يبدو تاريخيًا، ولكن موضوعها: خيالى وتصورى.



(١) Polyen, Strat, V, XL.

يحتمل أن يكون علماء المصريات قد خُدعوا، بهذه الحكاية وبقصة "أبوفيس"(١). فلا بد إذًا، أن القدماء قد خدعتهم حكايات مماثلة. فلا ريب أن الأدلاء والكهنة البسطاء، الذين كانوا يرشدون؛ يلمون تمامًا بحقيقة المُنشأ الذى يصفونه: أى، من الذى أسسه؛ والذى وسعه، وأى جزء منه صُور عليه خرطوش كل ملك من الملوك. ولكن، حالما يرون أنفسهم أمام مشكلة شرح التفاصيل .. كانوا يجدون أنهم فى حاجة ماسة إلى العون والمساعدة. وهنا، لا يجدون بدًا .. من سرد بعض القصص الشعبية ! ولا شك أن اليونانيين، قد تعاملوا مع أمثال هؤلاء. ويكفى أن نقرأ الكتاب الثانى لـ"هيرودوت"؛ لنعرف، كيف أُعلموا بماضى مصر البعيد. فتجد، أن بعض الأقاويل التى جمعها، تتضمن مجموعة من الوقائع الملفقة والمبدلة إلى حد ما، مثل قصة الأسرة السادسة والعشرين؛ أو خلال العصور الأكثر قدمًا: حكاية رمسيس وسنوسرت. وقطعًا، إن معظم القصص السابقة لارتقاء "بسماتيك الأول" العرش، مجرد روايات وحكايات، لا مكان بها مطلقًا للحقيقة أو الواقع. وبذا، فإن حكاية "رمسيس سانيت" توجد فى أماكن أخرى خلاف مصر(٢). ويتبين أن الحياة الأسطورية النمطَ للملوك بناة الأهرام، لا تتشابه مطلقًا، بالواقع الحقيقى الذى عاشه هؤلاء الملوك. كما أن مغامرة "فيرون" لا تعدو أن تكون سوى تمثيلية هجائية ضد النساء(٣). ولا شك أن المقابلة بين كل من "هيللين" و"مينيلاوس"، تبدو بكل وضوح بمثابة استعارة مصرية لقصة يونانية(٤). ولقد تساءل البعض فى الماضى: عما إذا كان المرشدون قد

---

(١) باستثناء جودوين (فى: Bunsen, "Egypt's Place", tIV, p.671) حيث لم يجد رأيه قبولاً وترحيبًا؛ بالرغم من صوابه.

(٢) قام بجمع القصص المشابهة لها "M.Schiefner" فى "منشور أكاديمية سان بطرسبرج"، t.XIV, col.299-316.

(٣) Herodote, liv. II, chap. CXI

(٤) ID., Ibid, chap. CXVI.

استخلصوا هذه الحكايات من مؤلفاتهم الخاصة .. أم أنهم قد اقتبسوها من الأهالى الأصليين: لقد بينت اكتشافات الروايات والحكايات المصرية، أنه، فى مصر، أو فى أى مكان آخر .. كان المفسرون يفتقدون إلى الخيال. فلقد اكتفوا بترديد الحكايات والقصص التى شاعت وراجت فى أجواء الشعب. وبالتالى، كانت مهمتهم أكثر سهولة، خاصة لأن أبطال قصصهم كانوا يتسمَّون بأسماء ويُلقبون بألقاب واقعية حقيقية .. ولذلك، يُلاحظ أن الأسرات بالنسبة لـ"هيرودوت" و"ديودور"، لا تعدو أن تكون سوى خليط من الأسماء الفعلية، مثل: مينا، Sabacon، خوفو، خفرع، منكاورع؛ وكذلك بعض الأسماء العلم الملكية: مينا "المفضل لدى رع"؛ والأسماء المستعارة الشعبية: "سنوسرت" ؛ ثم الألقاب أيضًا: فرعون، اتُّخذت منها أسماء علم، وكلمات مكونة من عناصر متضارية مثل "رمسيس سانيت" حيث يتراءى؛ بجوار الاسم الدارج فى طيبة، رمسيس، اللقب الصاوى "سانيت Si-nit"، أى "ابن نيت"[1].

يتبين إذًا أن الشغف بالرواية التاريخية لم يختفِ من مصر، مع توارى الأسرات الأهلية. وبذا، فمنذ وقت مبكر، إبان حكم البطالمة، أصبح "نختانبو" آخر الملوك المصريى الأصل، مركزًا لدورة مهمة للغاية: فقد صُور فى صورة ساحر ماهر، وصانع طلاسم وتعاويذ. بل وقيل إن أباه هو الإسكندر المقدونى. وقد امتد هذا الحال إلى ما بعد الحقبة الرومانية. ولم يكن الأمر يستدعى مجرد التقليب كثيرًا فى صفحات الكتاب العرب، لكى نلاحظ: أن سلاطين مصر، قد أُعزى إليهم مغامرات الفراعنة!

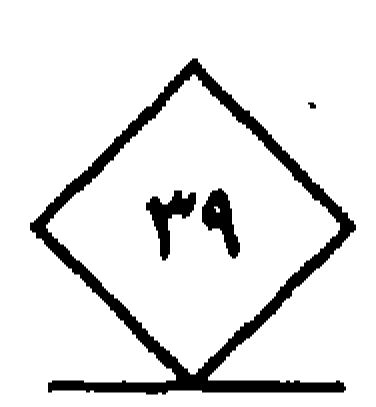
وسواء أكان الكاتب المنتحل لهذه القصص والحكايات، لاتينيًا، أم إغريقيًا أم عربيًا، فعلينا أن نتصور، بكل سهولة، ما أصبح عليه تسلسل

(١) جزء من الشرح للكتاب الثانى لهيرودوت فى الدليل "جمعية تشجيع الدراسات اليونانية فى فرنسا"، ١٨٧٥.

الأحداث التاريخية، فى وسط كل مظاهر الفانتازيا الشعبية هذه. فها هو "هيرودوت"، مثلاً، وعلى غراره أيضًا، تقريبًا جميع الكتاب القدامى والمحدثين، حتى يومنا هذا، قد وضعوا: مينا وسنوسرت، و"رمسيس سانيت" قبل الملوك البنَّائين للأهرام. وكذلك، جعلوا من اسم سنوسرت ورمسيس بمثابة ذكرى من الأسرة التاسعة عشرة ! والأسرة العشرين !!.. أما عن أسماء الملوك مشيدى الأهرام، "خوفو"، و"خفرع"، و"منكاورع"، و"أوسركاف" فهى ترجع بنا إلى الأسرتين الرابعة والخامسة !!

قطعًا، إن الطريقة الخيالية التى عالج بها محررو الحكايات المصريون، تعاقب وتوالى العهود الملكية .. قد بينت لنا عن سبب ارتكاب هذا الخطأ ذاته. فها هى إحدى القصص التى حفظت لنا البرديات نسختها الأصلية، أى "قصة ساتنى": تعالج موضوعًا بين ملكين وأمير. والملكان عُرفا، باسم: "أوسرماعت رع"، و"مرنبتاح"؛ أما الأمير الملكى، فهو "ساتنى خع إم واس". ويُلاحظ أن "أوسرماعت رع" هو أحد الأسماء العلم الخاصة برمسيس الثانى، خلال فترة شبابه؛ عندما كان ما زال مشاركًا فى الحكم مع أبيه. أما عن اسم "مرنبتاح" فهو قد يكون مجرد تحويل أو تبديل، عن قصد، لاسم مرنبتاح ابن رمسيس الثانى وخليفته. وعن "خع إم واس" فهو أيضًا ابن رمسيس الثانى، وقد تبوأ، لما يزيد على عشرين عامًا منصب نائب لملك مصر، بالأصالة عن أبيه. ولا شك مطلقًا، أن رمسيس الثانى، كان أكثر الملوك حظوة فى مصر القديمة، بالشعبية الفائقة.

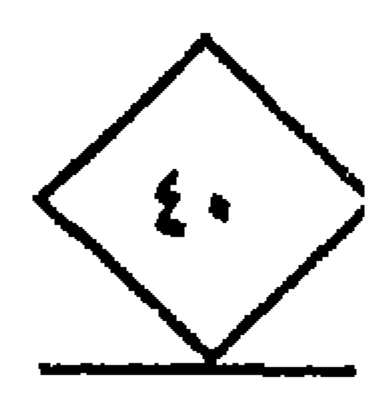
ولقد أرادت التقاليد والمأثورات والأعراف، أن تضع فى حسابها، كل ما قامت به سلالة الفراعنة جميعًا، من مفاخر على مدى قرون طويلة، خلال فترة ازدهار مصر وتألقها. ولذلك، كنا نأمل كثيرًا، أن يحاول القصاص احترام الحقيقة التاريخية. بل، وأن يضمِّن قصته التسلسل الواقعى للسلالة.



ولكنه فضل تغيير كل ذلك. وحقيقة، أن "خع إم واس" كما ذُكر فى الحكاية، قد بقى كما هو ابنًا لـ"أوزيريس"؛ ولكن الابن الآخر، قد غير موضعه !.. ولعلنا نعلم أن "مرنبتاح" فى القصة .. قد سبق "أوسرماعت رع" بكثير !!.. ولذا، فإن الرجل المسن الذى استشاره "ساتنى خع إم واس" عن بعض الأحداث التى وقعت فى عصر مرنبتاح قد اضطر أن يذكر أحد أجداده البعيدين جدًا؛ قائلاً: "والد والد أبى، قال لوالد أبى، ووالد أبى قال لأبى: "إن قبرَىْ كل من "أحورى" و"مى خونسو"، قائمان فى المكان المعروف باسم: "بهماتو". فها نحن نجد هنا أربعة أجيال تقريبًا ما بين كل من مرنبتاح و"أوسرماعت رع" فى الرواية: فالابن، مرنبتاح قد أصبح الجد والسلف البعيد لأبيه أوسر ماعت رع !!

فلتتصوروا إذًا، أن يكون أحد الرحالة على استعداد أن يصدق عجائب حكاية "ساتنى"؛ كما اقتنع "هيرودوت" بعجائب قصة "رمسيس سانيت" ! ألا تعتقدون، أنه كان سيقع، بالنسبة لمرنبتاح ورمسيس الثانى، بالخطأ ذاته الذى وقع فيه هيرودوت فيما يتعلق برمسيس سانيت وخوفو ؟!.. فأكيد، أنه كان سوف يعكس نظام توالى العهود، أى بالأحرى، كان سيضع الملك الرابع بالأسرة التاسعة عشرة .. قبل الملك الثالث بزمن بعيد !!!

ولا ريب أن المرشد الذى كان يشرح تاريخ معبد "بتاح"، وأهرام الجيزة كان يعرف حكاية ما: يحكى من خلالها عن ملك يُسمى "رمسيس سانيت" أكثر الملوك ثراء، خلفه ملك آخر يُدعى "خوفو" عُرف عنه أنه أكثر الرجال كفرًا وإلحادًا. ولا شك أنه قصها على هيرودوت؛ وكذلك على الكثيرين غيره. وقام هيرودوت الطيب بدمجها فى كتابه. وباعتبار أن كلاً من "خوفو"، و"خفرع"، و"منكاورع"، يكونون معًا مجموعة محدودة؛ وفضلاً عن ذلك، فإن أهرامهم تنتصب مشرئبة فى مكان واحد؛ فإن المرشدين لم يجدوا أى مبرر، لكى يفحصوا، على حسابهم نظام التتابع. وبذا،



عندما وقع النقل بالنسبة لخوفو، وجدوا أنه من اللازم، أن ينقل معه خفرع ومنكاورع، والأمير المعروف باسم "أوسركاف".

والآن، بما أننا نستطيع أن نتفحص ونمحص شهادة هذا الرحالة اليونانى .. بواسطة النصب نفسها، فلا يهمنا كثيرًا، أنه قد خُدع! فهو لم يكتب تاريخًا عن مصر. وحتى إذا كان هيرودوت هذا على دراية وعلم، فكان الأحرى به ألا يضفى على كتابه المتعلق بالتاريخ العالمى، ويدمج به مزيدًا من التفصيل والبسط والإطالة .. كما فعل!!.. فإن جميع الأسرات كان يمكن معالجتها فى بضع صفحات. خاصة أنه لم يعلم بأكثر مما أعلمتنا به حاليًا النصوص الأصلية. ولكننا، كنا سوف نفقد معظم هذه القصص العجيبة الشأن، الهزلية المضحكة غالبًا، التى سردها علينا، سردًا بديعًا؛ اعتمادًا على شهادة مرشديه!!.. وكنا، سنجهل دائمًا وجود كل من: فيرون ، أو بروتى أو رمسيس سانيت. ولا شك أن كل ذلك كان سيُعد بمثابة خسارة كبرى! وربما أن الذهب والمنشآت تقول لنا، أو سوف تقول لنا فى يوم ما، ماذا فعل كل من "خوفو"، والرعامسة، والتحامسة .. فى الواقع الفعلى.

لقد أخبرنا "هيرودوت"، بما كان يُقال عنهم فى شوارع منف. الجزء الكامل من كتابه الثانى، المتخم بمغامراتهم وصولاتهم وجولات يُعتبر بالنسبة لنا أفضل فصل كامل من التاريخ الأدبى، وليس ال الزمنى. وأكيد أن الروايات التى يتضمنها تتطابق فى مصريتها بالحكايات المكتوبة، المحفوظة بالبرديات. وحقيقة، كان من الأفضل قراءتها بلغتها الأصلية. ولكن، على أية حال، فإن الكسوة الإغريقية التى أُضفيت عليها، لا تبدو ثقيلة أبدًا .. لكى نتذوقها. وكذلك، حتى إذا كانت بعض التفاصيل قد غيرتها .. فهى ما زالت تحتفظ، بسمات محياها الأولية.

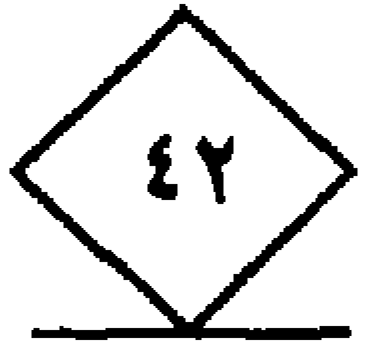
(٣)

ها هنا الأسماء: ولا شك أن الإخراج برمته، مصرى. ونرى أن الصفحتين الأوليين بحكاية الأخوين، تكونان لوحة رائعة وبديعة لما كانت عليه حياة الفلاح ومشاغله اليومية على ضفاف النيل(١). فنجد أن: "أنوبو" الأخ الكبر يملك بيتًا وله زوجة. أما "بيتيو"، الأصغر، فلا يملك شيئًا مطلقًا من كل ذلك. إنه يعيش مع أخيه، ليس كقريب لدى قريبه أو ضيف عند مضيفه. وهو يُولِى عنايته بقطيع الماشية، ويقودها إلى الحقول؛ ثم يرجع بها إلى الحظيرة. ويوجه المحراث، ويحصد، ويحزم ويكدس، ويضرب القمح، ويُدخل العلف.

وفى كل مساء، قبل مغيب الشمس، كان يصنع فى الفرن خبز جميع أفراد العائلة؛ ويستيقظ مبكرًا جدًا لكى يذهب لإخراجه من الفرن. وفى فصل الحرث، فإنه هو الذى يسرع إلى المزرعة لإحضار البذور؛ ويحمل فوق ظهره نصيب عدد كبير من الرجال. وعندما يجبر الفيضان الحيوانات والناس على المكوث فى مأواهم، فإنه يجلس القرفصاء أمام النول ليصبح نساجًا. جملة القول، إنه مجرد خادم؛ يرتبط بسيد المزرعة بواسطة صلة الدم .. ولكنه: خادم!.. وعلينا هنا ألا نستخلص، عامة، وجود حق الأخ الأكبر؛ أو أن العرف، لغياب القانون، كان، فى كافة أنحاء مصر، يضع الأخ الأصغر فى قبضة الأكبر. فإن أبناء أب واحد، كانوا يحظون بالحقوق نفسها فيما يتعلق بالميراث؛ ومهما تباينت أعمارهم. فقد كان القانون قاطعًا وحاسمًا فى هذا الصدد. بل إن الفائدة، كانت تمتد ليس فقط للأبناء الذين وُلدوا فى إطار الزواج، بل وكذلك إلى

---

(١) يُنظر فى:
Zeitchrift Fur Aegyptische Sprache, 1879, p.38-63:
فقام، يضاهى، من خلال نص هذه القصة المصرية، بمشاهد الرسوم الملونة بمقبرة «باحرى» فى الكاب (Lepsius Denkm, III, bb. 10).



الأبناء الذين أُنجبوا خارج نطاق الزواج. وهكذا، فإن أبناء أو بنات العشيقة يرثون بنفس درجة ونسبة أبناء أو بنات الزوجة الشرعية (١).

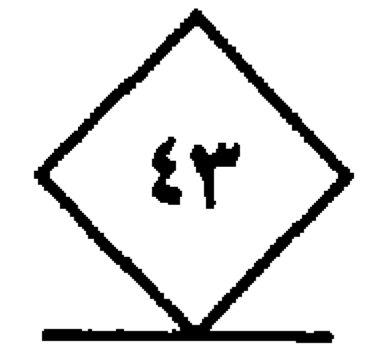
ولذا، فإن "أنوبو"، و"بيتيو"، إذا كانا قد أُنجبا من أمين مختلفتين، فإنهما كانا سيصبحان متساويين أمام القانون، وأمام العرف أيضًا. بل هما، بالأحرى لكذلك .. لأن الراوى قد قال: إنهما ابنا أب واحد وأم واحدة.

وربما أن عدم التساوى الواضح للأحوال، فى الصفحات الأولى بالقصة، يرجع إلى أسباب متباينة. فنتخيل مثلاً، أن "بيتيو"، بعد وفاة أبويه المشتركين، فإنه بدلاً من العيش مع "أنوبو"؛ قد أخذ النصف الخاص به من الميراث، وانطلق يبحث عن حظه فى أجواء العالم. تُرى، ألم يكن معرضًا لمواجهة الكثير من العراقيل والصعاب، بل والإهانة والتعدى؟! فمن خلال "بردية برلين" رقم (٢)، نتعرف على قصة أحد الفلاحين؛ الذى كان قد كسب بعض المال فى بلاد الملح (٢). ولكنه تعرض للسرقة من جانب أحد موظفى واحد من النبلاء؛ كان يمر بممتلكاته. فتوجه بشكواه أمام الحاكم. وبينت التحريات صحة دعواه وشكواه. فهل تتصورون، أن ماله كان سوف يُعاد إليه؟! وأن السارق كان سيُعاقب؟!.. قطعًا لا. فإن الموظف ينتمى إلى شخصية مرموقة ورفيعة القدر، وله أصدقاء، وأهل. وسيد. أما الفلاح، فليس سوى إنسان لا سيد له ولا مولى. ولقد حرص المؤلف تمامًا على تذكيرنا بذلك؛ وأن عدم وجود ولى أو سيد يُعد بمثابة خطأ لا يُغتفر أبدًا فى مصر الإقطاعية !

وهذا، فإن إنسانًا بسيطًا من العامة منفرد فى مجابهة النبلاء الأقوياء الشكيمة، الذين كانوا يتقاسمون البلد؛ والموظفين الذين كانوا

(١) Wilkinson, Manners and Customs of the Ancient Egyptians, First Series, vol. III, p.320.

(٢) إنه اسم الواحة المحيطة ببحيرات وادى النطرون.
La Scythiaca regio des géographes classiques. (Dumichen Die Oasen der Libyschen Wute, p.29 sqq.; Brugsch, Reise nach der Grossen Oase, p. 74. sqq).



يستغلونه لحساب الفرعون.. كان بلا حول ولا قوة!.. وبذا، فها هو الرجل البائس يبتهل، ويتوسل، ويقدم التماسه لمرات عديدة. عامة، وبعد كل ذلك، فهو على حق، فقد أصدر الفرعون أمره بالعناية بزوجته ورعايتها وألا يُترك ليموت جوعًا. أما فيما يتعلق بعقد محاكمة إزاء هذه القضية وإصدار حكم؛ فسوف يتبين بعد ذلك، عما إذا كان هذا الأمر قد تم أم لا. وربما أنه فى نهاية الأمر، قد حصل على حقه. أو يُحتمل أنه، قد أُفهم ضمنًا، أن يتوقف عن تظلمه وشكواه !!

إن نهاية المخطوط قد فُقدت .. وقطعًا، مع نهاية المخطوط، ضاعت نهاية الرواية !!.. ولكن، بوجه عام، ألا يبين ما تبقى منها تمامًا: لماذا بقى "بيتيو" مع شقيقه؟!.. فإن هذا الأخ الأكبر قد أصبح سيدًا ووليًا من خلال معونة مؤقتة. وغدا، بالنسبة لشقيقه الأصغر، بمثابة راعٍ وحامٍ، يدرأ عنه الشر، هو وممتلكاته. وربما، بسبب زواج ثرى، أو نزوة ملك ما، أو ارتقاء مفاجئ، أو إرث غير مرتقب، أو، بكل بساطة الانخراط فى سلك الكتبة، أو مصادفته لراعٍ أكثر مقدرة .. أو إنسان مفتقر للحماية يجعل منه، بدوره راعيًا وحاميًا!

إننا إذا تفحصنا مليًا، وتفصيليًا كل القصص، فسوف نلاحظ أن الجانب المادى للحضارة التى تصفها، يبدو مصريًا تمامًا. وهذا أمر لا جدال فيه مطلقًا، خاصة بالنسبة لبعض الحكايات التى نملك نسختها الأصلية الهيراطيقية. أما تلك التى لم نحز إلا على ترجمتها باللغة الأجنبية، مثل قصة "رمسيس سانيت" .. فهناك جدال بشأنها. ومن ناحيتى، فإننى لن أتناول هذه الحكاية تناولاً حرفيًا، لكى أبين إلى أى مدى بقيت مصرية الموضوع .. بالرغم من الكسوة الرومانية التى أضفاها عليها هيرودوت. عامة، سوف أكتفى هنا، بدراسة وتحليل نقطتين من النقاط، التى بينت بها للإيعاز بأن مصدرها، غريب عن "وادى النيل".

قام المهندس المعماري، المكلف ببناء خزانة للفرعون .. بالنحت والتثبيت الدقيق لكتلة حجرية ما؛ لدرجة أن رجلين، بل رجل واحد فقط قد يستطيع سحبها، وتحريكها من مكانها(١). ولقد قيل إن إعداد هذه الكتلة الحجرية، ليس إعدادًا مصريًا. ففى مصر، لم يكن من المستطاع أبدًا تكوين ممر مُقنَّع بمثل هذه الطريقة، لأن أية مراقبة كانت ستكشفه من الخارج. وكانت المنشآت العامة، تُبنى باستخدام أجزاء حجرية فائقة الضخامة. ولم تكن مهارة العالم كلها، تسمح لأى مهندس معمارى، بأن يعد إحدى الكتل الحجرية التى يستعملها .. بحيث يجعلها تتحرك!!

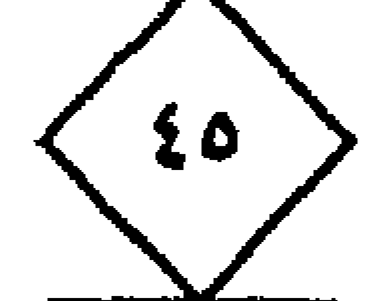
وفى ذات الحين، فإن المعابد المصرية قد زُخرفت بخبيئات مقفلة بالأسلوب الذى بينه "هيرودوت". وفى دندرة على سبيل المثال، يوجد، اثنا عشر قبوًا، متوارية فى أساس المبنى، أو مخبأة، فى سمك الجدران. وعادة، تتصل الأقبية بالمعبد بواسطة ممرات ضيقة، تؤدى إلى القاعة فى شكل ثقوب .. أصبحت الآن مفتوحة وواضحة. ولكنها، كانت فى الماضى، تُقفل بقطعة من الحجر؛ لهذا الغرض، بحيث يكون وجهها ناحية الجدار، وتُنقش عليها بعض النقوش، كمثل بقية الحائط (٢). وتقول الكتابات، إن كافة الاحتياطات الممكنة قد اتُّخذت، حتى لا يُكتشف القبو؛ ليس فقط من جانب الزائرين، بل وكذلك للأغلبية العظمى من موظفى المعبد. وكذلك لم يعرف بأمرها المدنيون. أما الباب، فإذا حاول البعض العثور عليه، فلن يجدوه أبدًا .. باستثناء أنبياء الربة (٣).

ولا شك أن كهنة دندرة، كانوا، بالضبط فى الحال نفسه الذى كان عليه المهندس المعمارى المتعلق بـ"رمسيس سانيت"وابناه. فقد كانوا يعرفون كيفية الدخول إلى مكان متخم بالمعادن والأشياء النفيسة النادرة؛

(١) Herodote, II, CXXI cfr.
جزء جديد من شرح خاص بالكتاب الثانى لهيرودوت بالدليل السنوى الخاص بجمعية تشجيع الدراسات الرومانية، ١٨٧٧.

(٢) ماريت، دندرة، نص، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) ماريت، دندرة، ألواح، t.III, p1.30.



وهم الوحيدون الذين يعملون ذلك. فكان الأمر يكفى أن يرفعوا كتلة حجرية، لا يمكن أن تميزها عيون المدنيين، ليجدوا أنفسهم بداخل ممر محفور فى الجدار: فيدخلونه زاحفين؛ ليصبحوا خلال بضع لحظات .. فى وسط الكنز!! وحالما تُعاد الكتلة الحجرية إلى موضعها؛ فإن العين المتدربة إلى أقصى درجة .. لا يمكن أن تخمن وجود الممر(١).

وعلى مسافة ما، ها هو ابن المهندس المعمارى، الذى أفلت هاربًا من الملك. بعد أن أسكر الحراس المكلفين بحراسة جثة أخيه، يقوم بحلق ذقونهم جميعًا، من الناحية اليمنى. وكان "ويلكنسون"، أول من أبدى هذه الملاحظة، قائلاً: "أعتقد، أن الجنود فى مصر، لم يطلقوا لحاهم أبدًا، بل إن كافة طبقات المجتمع، قد اعتادت على حلاقة الذقون: والأشخاص الوحيدون الذين مُثلوا فوق جدران النُصب والمنشآت، مطلقين لحاهم هم الأجانب والهمج. ومنذ ذاك الحين، درج إثبات هذا الأمر، كدليل عن المصدر الأجنبى للقصة. ولقد أُلح بخلاف هذه الحال، بكتاب "ويلكنسون"، إلى حالات كثيرة أخرى قام بها هذا العالم، بعد دراسة سريعة للآثار.

عامة، كان المصريون الفعليون، يستطيعون إطلاق لحاهم، ويفعلون ذلك وفقًا لنزواتهم. ولا شك أن النقوش الغائرة والتماثيل فى كافة الحقبات تؤكد ذلك تمامًا. وكذلك، فإن جنود الشرطة الذين كُلفوا بحراسة الجثة، كانوا ينتمون إلى إحدى العشائر الليبية الأصل، المعروفة باسم "الماتيو"؛ ومن خلال إقرار "ويلكنسون" نفسه .. كان يمكنهم إطلاق لحاهم بصفتهم أجانب. والجدير بالذكر، أن فيالق الجيش المصرى، كما كان فى عهد الصاويين والفرس، أو باختصار كما تعرف عليه "هيرودوت"؛ كان البعض منها يتكون من الليبيين مثل "الماشواش"، والبعض الآخر من المرتزقة الكاريين أو الرومانيين؛ وغيرها من الحاميات الفارسية. والجميع، على حد سواء كانوا ملتحين.

---

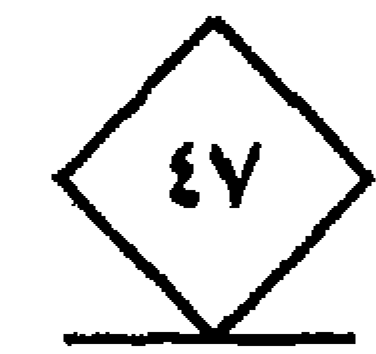
(١) يُنظر: ماربيت، دندرة، ينظر: "إضافة"، اللوح الذى رُسم عليه المقطع وطريقة إقفال الأقبية.

إذًا، والأمـر هكذا، يجب الإقـرار بما يلى؛ بالنسـبـة للمـصـريين المعاصرين لذاك العهد، كان من الطبيعى جدًا أن يروا جنودا ملتحين، سـواء من أبناء مـصـر، أو من الخـارج .. وبالتـالى، فـإن واقـعـة الذقن المحلوقة هذه لا تنفى أبدًا عن القصة مصدرها المصرى الصميم.

علينا إذًا، أن نترك جانبًا هذه التفاصيل المادية البحتة. وسوف نجد أن الناحية الأخلاقية فى الحضارة المصرية، قد صُورت تصويرًا دقيقًا فى هذه القصص. وبالقطع، أنا لا أدعى إننا سوف نجد هنا لوحة أمينة وفية عن المجتمع المصرى. فإن القصاص فى هذه الأزمنة البعيدة، كمثل نظيـره فى عـصـرنا الحـديث، كـان يفـضـل، غـريزيًا بعض المشـاعـر والأحاسيس أو عدة صفات، ربما لم تكن، فى واقع الأمر، سوى استثناء فى إطار الشـعب كله. ولا شك مطلقًـا، إننا إذا أردنا أن نحكم على المصـريين، من خلال الصـورة الشخصية التى يرسمها لهم الروائيون، لبدت فكرتنا عن عفتهم وطهارتهم مؤسفة للغاية!!.. وربما أن ابنة الفرعون "رمسيس سانيت" وهى تفتح غرفتها لكل عابر سبيل، وتستسلم لكل من يريد الحصول عليها: إنها، حقيقة ضحية ما يُسمى بدواعى المصلحة العليا!.. إنها ضحية خاضعة للقربان(١)!.. فقد استقبلت "تحوبوى" "ساتنى"، وصرحت أنها على استعداد للقائه فى فراشها .. منذ المقابلة الأولى !! وربما، أنها بدت مترددة فى اللحظة الحاسمة، وأخذت، لمرات عديدة تؤجل لحظة هزيمتها. ولكن، على ما يبدو، أن الخَفَر والحياء، كان سبب ترددها هذا. ففى واقع الأمر، أنها كانت تبغى الشراء بأعلى ثمن ممكن ما تبغى بيعه .. بل وألا تستسلم إلا بعد دفع الثمن المتفق عليه !!

وبالنسبة لزوجة "أنوبو"، فإنها عندما لاحظت شباب "بيتيو"، وعنفوانه .. شعرت بالإثارة. أما عن زوجة "بيتيو" الإلهية، فقد وافقت على خيانة

(١) Herodote, II, CXXI.



زوجها فى مقابل بعض المجوهرات، وتصبح عشيقة الملك. فها هن الأميرات، وبنات الطبقة الكهنوتية، والفلاحات، قد صُورن جميعًا، على أنهن متشابهات فى موضوع العفة والطهارة !!.. ونجد أن الشخصيتين الشريفتين الوحيدتين، ضمن هذا المجال كله، هما: "أحورى"، وفتاة أجنبية، ابنة زعيم "نهارينا". ومع ذلك، فإن الاندفاع الفائق الذى أبدته هذه الأخيرة، وقد ارتمت بين ذراعَى الرجل الذى ساقته المصادفة ليكون زوجها .. تجعلنا نفكر مليًا !!

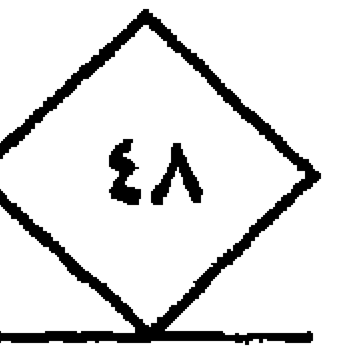
من خلال مؤلفات أحد كُتاب الأخلاقيات المحترمين، يُلاحظ أن "أهجوة الأخلاق النسائية"، ليست ذات قيمة تاريخية؛ ويُعد ذلك بمثابة أفكار عامة. قد يختلف تفصيلها وفقًا لتباين الحقبات وتبعًا لاختلاف البلاد. ولكن الجوهر، لا يثبت شيئًا سيئًا ضد فترة تاريخية ما أو فى حق بلد بعينه. وسواء، وصف "بتاح حتب" المرأة الفاسدة بأنها مجموعة من كافة الشرور، وحقيبة متخمة بكل أنواع الخبث[1]، وسواء أن "آنى"، قد استطرد، بعد زمن يربو على ثلاثة آلاف عام، الموضوع ذاته؛ فصورها فى هيئة مياه عميقة، لا يستطيع أحد أن يعرف خباياها[2]؛ فإن كلامهم هذا لا أهمية له. فمن المحتمل أن كافة النساء فى زمنهم كن فاضلات. وأنهم اخترعوا لهن بعض السيئات لمجرد أن يبينوا عن بلاغتهم فى الكتابة !

ومع ذلك، فإن القصاصين لم يمتهنوا مهنة الوعظ والتمسك بالاحتشام والحياء. كما أنهم لم يضمروا ضد النساء أى آراء مسبقة، لكى ينتقدوهن نقدًا لاذعًا. ولذلك، فإنهم كانوا يصورونهن كما كن بالنسبة لمعاصريهن. أو كما عرفوهن هم أنفسهم معرفة وثيقة. كما

---

(١) فى "دراسة عن الأخلاق" ببردية بريس : p1.X, t. 1-4. Cfr. Chabas ، دراسة لبردية بريس، ص ٢٤.

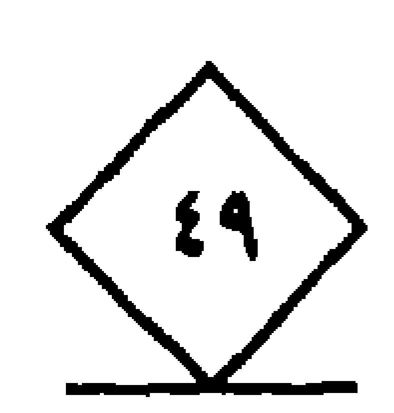
(٢) فى الحوار الفلسفى بين "آنى"، وابنه "خونسوحتب"، (ماريبت)، بردية بولاق، t.I, p1.16. I, B-17.



أعتقد أن الحظ لم يواتهم أبدًا للقاء ابنة فرعون. ولكن، على ما يبدو، أن "تبوبوس" كانت تتنزه يوميًا فى شوارع منف. كما أن بنات الكهنة لم يكنَّ يخصصن كل حظوتهن من أجل الأمراء الذين تجرى فى عروقهم الدماء النبيلة. ولم تكن زوجة "بيتيو" الوحيدة التى تحب الزينة. ولا شك أن أى صهر، مجرد من الوازع الأخلاقى، كان يعرف أين يجد مثيلات زوجة "بيتيو"!

لا شك أن الآداب كانت سهلة ومرنة فى مصر. ولقد نضجت الفتاة المصرية من خلال بلوغها المبكر. وكانت تعيش فى عالم، يتراءى فيه أن كافة القوانين وكل الأعراف تتضافر معًا من أجل تنمية وتطوير احتدامها الفطرى. فخلال طفولتها المبكرة، كانت تلعب عارية تمامًا مع إخوتها. وعندما أصبحت أنثى كاملة، عملت الموضة السائدة على كشف صدرها؛ بل وألبستها أنسجة شفافة، تجعلها عارية أمام نظرات الرجال. وفى المدينة، كانت الخادمات اللاتى يُحطن بها عادة، ويُهرعن حول زوجها أو ضيوفه .. لا يرتدين سوى حزام رفيع يحيط بالأرداف. أما فى الريف، فكان الفلاحون يخلعون ملابسهم عند العمل!

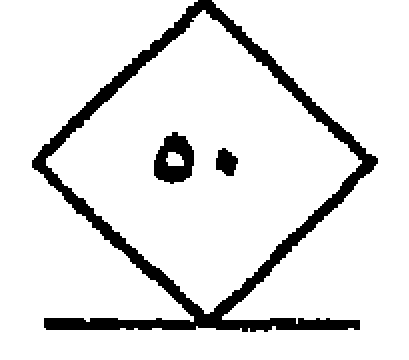
وجذبت العقيدة ومراسم الطقوس اهتمامها نحو الأشكال المخلة بالحياء لدى الآلهة. بل إن الكتابة نفسها، كانت تعرض أمام ناظريها صورًا فاحشة. وعندما كان البعض يحدثونها عن الحب، فلم تكن على غرار الفتاة الحديثة فى عصرنا الحالى، تحلم بالحب المثالى .. بل الصورة الواضحة المحددة للحب الجسدى!.. ولذا، والحال هكذا، فليس من المستغرب أبدًا، أن امرأة "أنوبو"، عند رؤيتها لرجل قوى قد استشعرت إثارة، لدرجة جعلتها تفقد اتزانها!.. وربما كان يكفى أن تستوعب امرأة مصرية ما فكرة الزنا، حتى تحاول أن تمارس الزنا. ولكن، تُرى، هل كان فى مصر نساء كثيرات، ينسقن إلى استيعاب فكرة الخيانة والزنا ؟!!



لقد قص المرشدون على "هيرودوت"؛ وهو بدوره حكى لنا، بكل وقار كمؤرخ: أن أحد الفراعنة، قد فقد بصره، بسبب إلحاده وكفره. وعلى ما يبدو، أن الآلهة، وهم فى حالة سرور وابتهاج حكموا عليه بأن .. يستعيد نظره !.. حقًا، إن هيرودوت، يبدو أحيانًا صعب الترجمة !!.. جملة القول، لقد تطلب الأمر العثور على امرأة، لم تتواصل إلا مع زوجها. وعندئذ، أُدخلت الملكة فى هذا الاختبار، ثم بمن بعدها من سيدات البلاط الملكى، ونساء المدينة، وسيدات الأقاليم، والفلاحات؛ وأخيرًا الجوارى. ولم يأتِ كل ذلك بأية نتيجة مرضية. فقد بقى الملك فاقدًا للبصر !!

وبعد أبحاث عديدة، اكتشف وجود من لديها علاجه، وتزوجها. وعن الباقيات؟!.. لقد أمر بحبسهن فى إحدى المدن .. وحرقهن، لأن مثل هذه الأمور كانت تتم بهذه الكيفية فى ذاك الزمن(1). لا بد أن هذه الحكاية قد رواها، بركن إحدى ملتقيات الطرق، أحد رواة الشوارع، أو قُرئت فى وقت الفراغ، بعد احتساء الخمر ولا شك أنها لاقت نفس النجاح الذى تحوزه دائمًا أية قصة ماجنة من جانب الرجال. ولكن، إن كل رجل مصرى، كان يعتقد بينه وبين نفسه، ضاحكًا، أنه إذا كان هو الذى تعرض لمثل هذه المغامرة، فإن ربة بيته كانت ستستطيع علاجه !!.. وربما كان على حق.

قطعًا، إن الحكايات الفاحشة فى منف، لا تقول أكثر مما تقوله القصص الماجنة فى البلاد الأخرى؛ فهى تنبع جميعها من صميم هذا الحقد الشائع الذى يضمره الرجل دائمًا، وفى كل مكان ضد المرأة! ولا شك أن البرجوازيات السليطات فى الحكايات الشعبية المنظومة بالعصور الوسطى، والمصريات الجريئات فى حكايات منف، ليس لديهن ما يُحسدن عليه. ولكن ما يقوله لنا عنهن الرواة .. لا يثبت شيئًا مطلقًا ضد الآداب والأخلاقيات الأنثوية فى عهدهم.



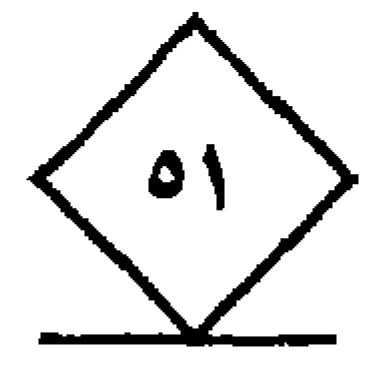
(1) Herodote, II, CXI.

بعد هذا الحصر والتحديد، يُلاحظ أن جوهر المغامرات مصرى بحت. فلنتناول معًا تلك الفقرة التى يتقابل "ساتنى" خلالها مع "تبوبوى" ويفصح لها عن حبه. وحالما تتغير الأسماء، سوف يطالعنا التصور الدقيق لما كان يحدث فى طيبة أو منف فى مثل هذه الحال: فها هو الخادم والخادمة يقومان بالتمهيدات: موعد اللقاء، اللهو والتسلية والوجبة التى تقدمها المرأة لعشيقها. قطعًا، إن العشاق فى "ألف ليلة وليلة"، لا يفعلون خلاف ذلك. وحتى القاضى الذى يُستدعى دائمًا من أجل أن يؤدى مراسم الزواج بين "زبيدة"، و"أحمد".

أما عن الأحداث التى قد تسرع أو تؤخر ختام القصة، فإنها، فى أغلب الأحوال الأمور العارضة بالحياة اليومية فى مصر.

(٤)

إننى أذكر كافة الوقائع بدون أى استثناء؛ حتى أكثرها غرابة وخرقًا للمألوف. فلا يجب الوقوع مطلقًا فى مثل هذا الخطأ المشترك، أى: أن نحكم على أحوال الحياة المصرية من خلال أحوال حياتنا نحن. فعندنا، لا نستعين، فى القصص والروايات، بمثل هذا الدافع: تجليات الآلهة، وتحولات الإنسان إلى حيوان؛ والحيوانات الناطقة، والعمليات السحرية. فإن الذين يعتقدون تمامًا فى هذا النوع من المعجزات، يعتبرونها بمثابة حدث نادر الوقوع فى الحياة الحديثة. ولكن، لم يَبْدُ الأمر هكذا فى مصر. فإن السحر كان يجد له مكانًا فى الحياة اليومية، مثله كمثل الحرب، والتجارة والآداب، والمهن التى تُمارس، واللهو، والمرح. ومع ذلك، فإن الجميع يعرفون أن من رآها تتجلى أمامه، قد استفاد منها، أو أُضير .. وكان السحر بمثابة علم. أما الساحر فهو عالم على أرفع مستوى. والكبار منهم، مثل "ساتنى خع إم واس"، وأخيه، اعتبروا متعمقين فى العلوم فوق الطبيعية، ومتخصصين بارعين فى فك كتب ورموز الطلاسم



المبهمة الصوفية. وربما أن أى أمير ساحر أو ملك قد لا يوحى لنا بكثير من التقدير والإجلال. ولكن، فى مصر، لم يكن السحر يتعارض مع الملكية. وغالبًا، كان الفرعون، يُعد كتلميذ .. لسحرة الفرعون !

ضمن شخصيات حكاياتنا، نجد أن البعض سحرة هواة، أو محترفون، مثل: "ساتنى"، و"بيتيو" و"تبوبوى" و"نفركابتاح". وها هو "بيتيو" "يسحر قلبه"، وينتزعه من صدره، دون أن يفقد حياته. كما أنه يتحول إلى ثور، وشجرة!.. أما عن "خع إم واس" وأخيه، فقد عرفا، من خلال إحدى مغامراتهما، بوجود كتاب كان الإله "تحوت" قد كتبه بخط يده .. وكان يتميز بخصائص سحرية. ويتكون هذا الكتاب من صيغتين، لا أكثر من ذلك. ولكن، يا لهما من صيغتين !!.. "إنك إذا تلوت الأولى، فسوف تسحر السماء والأرض، والجحيم، والجبال والبحار. وستتعرف على الطيور والزواحف، كلها على حقيقتها. وسترى الأسماك، لأن القوة الإلهية بالمياه، ستجعلها تطفو على السطح. أما إذا تلوت الصيغة الثانية، فحتى إذا كنت بداخل مقبرتك، فسوف تكتسب الشكل الذى كنت عليه وأنت فوق الأرض. وهكذا، سترى الشمس وهى تشرق فى السماء، ودورة أربابها؛ وكذلك ستشاهد القمر فى صورته عندما يتجلى". ولقد أراد "ساتنى خع إم واس" الحصول على المتعة الأبدية، بمشاهدته لتجلى القمر عند بزوغه؛ بالإضافة أيضًا إلى تأكده من أنه لن يفقد هيئته التى كان عليها فوق الأرض. وبذا، فقد أصبحت رغبته فى الحصول على الكتاب السحرى .. بمثابة المحرك الرئيس فى الرواية.

ولذلك، فإن السحرة وممارستهم، لم يكونوا هم فقط الذين يتقاربون من السحر. وسواء رغب أم لم يرغب، فإن كل إنسان، ولد فى مصر من أم مصرية، كان، خلال حياته، وأيضًا بعد مماته، خاضعًا، قدريًا لعقائد السحر ومبادئه وصيغه. وكان من المعتقد فعلاً، أن الحياة البشرية ترتبط بروابط ضرورية بحياة الكون، والآلهة.

ويتبين أن الآلهة، لم يُبْدوا دائمًا تجاه الطبيعة البشرية هذه اللامبالاة المشوبة بالازدراء، التى كانوا قد درجوا عليها منذ عصر "مينا" فقد هبطوا، فى الأزمنة الموغلة فى القدم إلى عالم الخلق الذى كان قد تكون حديثًا. وبكل ألفة، اختلطوا بالشعوب التى خُلقت لتوها. وتجسد الأرباب بأجسام من اللحم والعظم. وخضعوا لشهوات الجسد وأهوائه، وميوله. وهكذا، شوهدوا وهم هائمون حبًا؛ وهم يتصارعون؛ وأيضًا وهم يحكمون ثم يختفون؛ وينتصرون أو ينهزمون تناوبًا ودوريًا. واجتاحت مشاعر الغيرة، والغضب والكراهية نفوسهم الإلهية، كما تجتاح أفئدة البشر العاديين البسطاء. فها هى "إيزيس"، وقد أصبحت أرملة، وحيدة، تبكى بدموع حقيقية مثل أية امرأة على زوجها الذى اغتيل[1]. كما أن طبيعتها الإلهية لم تنقذها أبدًا من متاعب الولادة. وفى إحدى ثورات غضبه[2]، دمر "رع" البشر الأوائل. وتمكن "حورس"، بقوة السلاح فى يده من انتزاع عرش مصر[3].

بعد فترة ما، انسحب الأرباب من الأرض. وحقيقة أنهم، كانوا فى الماضى يحبون التجلى فى هذه الحياة الدنيا، ولكنهم، حينئذ، أصبحوا يميلون إلى التخفى فى غموض ألوهيتهم. فمن عساه، ضمن الأحياء، يستطيع أن يتباهى بأنه لمح وجه إله ما؟!!

ومع ذلك، فإن الأحداث السعيدة أو الشؤم فى إطار حياتهم الجسدية، كانت، تقرر، عن بُعد سعادة أو بؤس كل جيل، بل وكل فرد. ففى السابع عشر من شهر أمشير فى سنة ما ضاعت تمامًا فى غياهب الماضى البعيد؛ وبذا لا نعرف بالضبط كم مضى من القرون .. قام "ست" بجذب أخيه "أوزيريس" عنده، وقتله غدرًا وعدوانًا، خلال مادبة

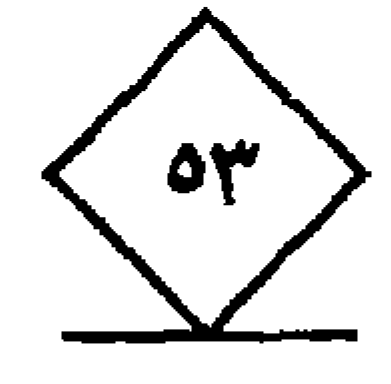
(١) كتاب "تأوهات إيزيس ونفتيس"، أصدره "م. حوراك".

(٢) يُنظر "نافيل"، "تدمير البشرية بواسطة الآلهة" فى:

Transactions of the Society of Biblical Archaeology, t. IV, p. 1-19.

(٣) أ. نافيل، "أسطورة حورس"، in folio، جنيف، ١٨٧٠.

Brugsch, Die Sage der geflugelten Sonne, in-4, 1871, Gottingen.



كبرى (١). وفى كل عام، فى مثل هذا اليوم، يبدو أن التراچيديا التى وقعت من قبل فى القصر الدنيوى الخاص بالإله، كانت تُعرض ثانيًا فى أعماق السماء بمصر. وكما هو الحال فى لحظة مقتل "أوزيريس"، تضاءلت مقدرة الخير، وتعاظمت على كل شىء قوة الشر. فها هى الطبيعة بأسرها، وقد سلمت لآلهة، متمرين هذا الإنسان. ولذا، فإن أى عابد متدين، كان لا يمكنه أداء أى شىء فى هذا اليوم؛ فكل ما أراد استهلاله، كان سيفشل. ومن يخرج إلى ضفة النهر، فسرعان ما يهاجمه تمساح مثل التمساح الذى أرسله "ست" لمهاجمة "أوزيريس". ومن أراد السفر فى رحلة، كان يمكنه أن يقول وداعًا إلى الأبد لعائلته وبيته؛ لأنه على يقين من عدم الرجوع ثانيًا !

وكان الأجدى أن يمكث المرء فى منزله، وينتظر؛ وقد اجتاحه الخوف، والتجمد واللافاعلية، حتى تمر ساعات الخطر، وتمضى الواحدة بعد الأخرى، وأن تعمل شمس اليوم التالى، عند مشرقها، على دحر الشرير وهزيمته.

وفى الرابع من كيهك تقابل "تحوت" مع "ست" فأحرز عليه نصرًا كبيرًا. وبذا، ففى هذا التاريخ من كل عام، كان البشر يحيون الأعياد فوق الأرض، وكانت هناك أعياد بين الآلهة فى السماء.. واستتباب الأمان(٢). وتوالت الأيام، سواء زاهية ميسرة أو نحس وشؤم، وفقًا للحدث الذى رأوه فى زمن الأسرات الإلهية.

"الرابع من طوبة طيب، طيب، طيب(٣). مهما رأيت فى هذا اليوم، سيكون بالنسبة لك فألاً حسنًا. إن من يولد فى هذا اليوم يموت وهو أكثر الناس تقدمًا فى العمر، بيته سيحظى بحياة مديدة ويتلو أباه".

---

(١) De Iside et Osiride, c, 13 (edit Parthey, p. 21-23).
نجد أن تأكيد النص الذى كتبه "بلوتارخ"، يوجد فى الكثير من فقرات النصوص السحرية أو الدينية (بردية هاريس السحرية، edit. Chabas, p1,IX, L.2 sqq., etc).

(٢) بردية "ساليية"، IV, p1.101, t. 8-10.

(٣) قسم المصريون ساعات النهار الاثنتى عشرة، بداية من شروق الشمس وحتى الغروب، إلى ثلاثة أقسام، كل منها يتكون من أربع ساعات. ويُلاحظ أن الأوصاف الثلاثة التى توجد بعد كل تاريخ فى تقويم "ساليية" يتطابق كل منها مع أحد الأقسام، وعادة. كان الفأل يتناسب مع اليوم بأكمله. وبذا، نجد الملحوظة: طيب، طيب، طيب،؛ أو، سيئ، سيئ، سيئ، وقد يحدث أحيانًا أن يكون أحد الأقسام شؤمًا، أما القسمان الآخران، فهما جيدان.

"*الخامس من طوبة سيئ، سيئ، سيئ. إنه اليوم الذى أُحرق فيه الزعماء من جانب الربة "سوخت" القائمة فى البيت الأبيض. وعندما عاثوا فسادًا، تحولوا، وجاءوا*[1]*: حلوى وفطائر القرابين من أجل "شو"، و"بتاح"، و"تحوت"، وبخور فوق النار من أجل "رع" وآلهة حاشيته، ومن أجل "بتاح" و"تحوت"، و"حوساو" فى هذا اليوم، إن كل ما تراه فى هذا اليوم سيكون سعيدًا*[2].

"*فى السادس من طوبة حسن، حسن، حسن، كل ما تراه فى هذا اليوم سيكون سعيدًا*.

"*فى السابع من طوبة ردىء، ردىء، ردىء، لا ترتبط بالنساء أمام عين حورس*[3]*. والنيران (المشتعلة) فى بيتك، الحارس من التعرض لأضرارها الشؤم*".

"*فى اليوم الثامن من طوبة جيد، جيد، جيد، مهما رأيت فى هذا اليوم، بعينك، فإن الدورة الإلهية ستستجيب لك. تعضيد وتقوية الأشلاء*[4] ".

"*فى التاسع من طوبة حسن، حسن، حسن، الآلهة تهتف لربة الجنوب، فى هذا اليوم. تقدم حلوى وفطائر العيد، وخبز طازج، تبهج قلب الآلهة وأرواح الموتى*".

"*فى العاشر من طوبة ردىء، ردىء، ردىء، لا توقد نارًا من الأسل فى هذا اليوم. ففى هذا اليوم، انبثقت النار من الإله "سوب حو" فى الدلتا، فى هذا اليوم*[5] ".

---

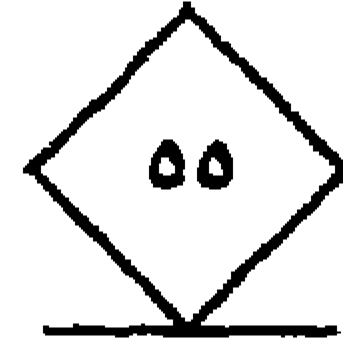
(١) لا أعلم إلى أية واقعة من صراعات أوزيريس تشير هذه الفقرة.

(٢) بردية سالييه IV, pl.13, t.6-7.

(٣) الشمس.

(٤) آخر جزء من الجملة يشير إلى ما قامت به "إيزيس" من إعادة لجسم "أوزيريس" المقطع إربًا. وتقول الأسطورة، إن «أوزيريس"، قد قُطعت أوصاله بيد "ست". ثم عملت "إيزيس" على جمع أشلائه؛ ووضعته فوق سرير جنازى بمساعدة "تفتيس"، فاستعاد "أوزيريس" كيانه وحيويته للحظة واحدة، وأنجب "حورس".

(٥) لا أعرف من هو الإله "سوب حو" وبأية مناسبة أشعل الدلتا نيرانًا.



"فى الحادى عشر من طوبة سيئ، سيئ، سيئ. لا تقترب من المرأة فى هذا اليوم. فإن "رع"، مُتع بالحياة والصحة والقوة، قد وجهها لتدمير أعدائه. ومن يقترب منها فى هذا اليوم، لن يكون أبدًا فى حالة حسنة طوال حياته" .

إن ضابطًا ما رفيع الشأن، قام فى الثالث عشر من طوبة بمجابهة سن أسد ما بكل ثقة وفخر بشجاعته، واقتحم المعركة بدون أن يخشى لدغة السهام السورية (١). ولكنه، فى الثانى عشر، قد اجتاحه الرعب عند رؤية فأر، وأخذ يرتعش، وقد أدار ناظريه بعيدًا(٢).

لابد أن كل يوم له مؤثراته. وأن المؤثرات المتراكمة، تكون، لكل إنسان مصيره وقدره. فإن المصير كان يولد مع الإنسان، وينمو معه، ويرشده عبر شبابه وشيخوخته. وهكذا، فإنه يلقى بالحياة كلها فى القالب الثابت اللا متغير الذى كانت الآلهة قد أعدته منذ بداية الزمن. وكان الفرعون يخضع للقدر. وكذلك كان يخضع لقدرهم زعماء البلاد الأجنبية (٣). إن القدر يتبع رجله حتى الموت. ويكون حاضرًا مع الحظ فى لحظة محاكمة الروح (٤)، سواء من أجل أن يقدم لهيئة المُحلفين الجهنمية التقرير الصائب عن الحسنات أو الخطايا؛ أو لكى يمهد لأحوال حياة جديدة.

وكذلك، فإن السمات التى كان يعتقدها البعض عن القدر، لم تكن مرعبة أو رهيبة. إنها الإلهة، "حتحور". أو بالأحرى سبع ريات شابات جميلات(٥)؛ الحتحورات ذوات الوجه الوردى اللون وأُذُنى النعجة. إنهن

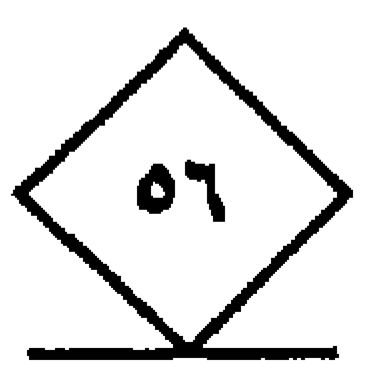
(١) كان ذلك، بالفعل يومًا سعيدًا (بردية ساليبه، IV, p1. 14, t.4).

(٢) بالفعل، توجد بالنسبة للثانى عشر من طوبة الملحوظة التالية (بردية ساليبه Iv, p1.14, t.3,): "فى الثانى عشر من طوبة سيئ، سيئ، سيئ - حاول الا ترى أى فأر - لا تقترب منه فى بيتك".

(٣) قيل إن أحد أمراء "خيتا" قد منحه "قدره" أخًا ليكون خليفته (معاهدة رمسيس الثانى مع أمير خيتا)، (t.10-11)

(٤) كان هذا بالفعل يومًا سعيدًا (بردية ساليبه، IV, p1. 14, t.4).

(٥) شامبليون، آثار مصر والنوبة، ويُلاحظ أن النص الذى قدمه شامبليون لا يذكر أى أسماء للأرباب. أما الحتحورات المثلات مع الملكة على سرير الوالدة فإن عددهن: تسع.

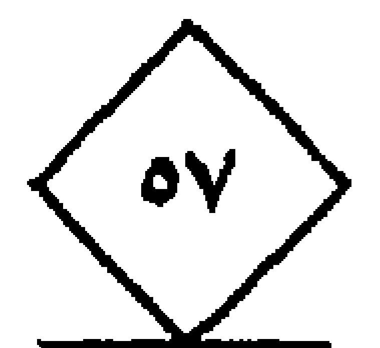


لطيفات رقيقات دائمًا، سواء إذا كن سوف يعلنَّ عن السعادة والبهجة، أو يتنبأن بالبؤس والشقاء!.. وعلى غرار العرابات فى العصور الوسطى، كن يُهرعن حول سرير النساء الموشكات على الولادة. وينتظرن وصول الوليد، لكى يضفين عليه الخير والثراء أو يهدمنه بهباتهن !!.. وتصورهن لنا الرسوم الملونة فى معبد الأقصر، وكذلك بأحد معابد إسنا[1]، وهن يقمن بدور المولِّدات بجوار الملكة "موت إم ويا" زوجة تحتمس الرابع؛ وكذلك على مقربة من "كليوپاترا" ذائعة الصيت.

فها هن بعضهن يسندن، بكل حنان الأم الشابة، وينعشنها بواسطة تعازيمهن ورُقاهن. أما الأخريات، فهن يستقبلن المولود، ويتبادلنه من واحدة إلى أخرى .. ويجرين له أوجه العناية الأولية .. ويتنبأن له بكل الهناء والسعادة. ولقد استعانت بهن كثيرًا ومثلتهن الروايات والحكايات. فها هو "خنوم"، قد صنع زوجة من أجل "بيتيو"، بطل "قصة الأخوين". وجاءت الحتحورات السبع لرؤيتها. وتفحصنها للحظة واحدة. ثم صحن فى صوت واحد: "فلتفنَ وتُدمر بواسطة السيف[2]". وكذلك ظهرن عند مهد الأمير المحتوم القدر وأعلنَّ أنه سوف يُقتل بلدغة ثعبان أو عقرة التمساح أو الكلب.

إن مجرد رؤيتهن وسماعهن فى لحظة إصدارهن لأحكامهن، كان بمثابة حظوة لا ينالها إلا عظماء هذا العالم. أما العامة من الناس، فلم يحظوا عادة بمعرفة أسرارهن. ولكنهن عرفن فقط، من خلال تجربة العديد من الأجيال، أنهن يوزعن بعض أنماط الموت، على البشر الذين يولدون فى أيام معينة:

"الرابع من بابة سيئ، سيئ، سيئ. لا تخرج أبدًا من بيتك فى هذا اليوم. إن من يولد فى هذا اليوم يموت بعدوى المرض، فى هذا اليوم".



---

(١) شامپليون، نُصب ومنشآت، pl.CXLV, t.1-2-3.

(٢) بردية أوربينى، pl. IX, t.5.

"فى الخامس من بابة ردىء، ردىء، ردىء. لا تغادر منزلك أبدًا فى هذا اليوم. ولا تقترب من النساء. إنه يوم تقديم قربان الأشياء أمام الإله؛ و"مونتو"(١)، يستريح فى هذا اليوم. ومن يولد فى هذا اليوم، سوف يموت من الحب".

"فى السادس من بابة جيد، جيد، جيد. يوم سعيد فى السماء. والآلهة تستريح أمام الإله. وتقوم الدورة الإلهية بأداء الشعائر أمام ...(٢). ومن يولد فى هذا اليوم يموت من السكر".

"فى السابع من بابة شؤم، شؤم، شؤم. لا تفعل شيئًا مطلقًا فى هذا اليوم. ومن يولد فى هذا اليوم يموت فوق الحجر(٣)".

فى التاسع من بابة بهجة فى محيط الآلهة. والبشر يحتفلون، لأن عدو "رع" قد هُزم. ومن يُولد فى هذا اليوم فسوف يموت هرمًا".

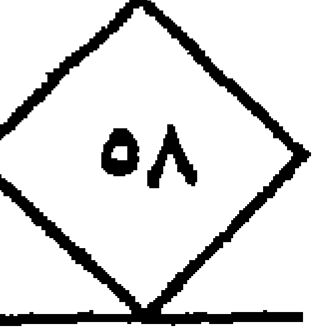
"فى الثالث والعشرين من بابة حسن، حسن، ردىء. من يولد فى هذا اليوم يموت بسبب التمساح".

فى السابع والعشرين من بابة عدوانى، عدوانى، عدوانى. لا تخرج من بيتك فى هذا اليوم. ولا تمارس أى عمل يدوى: إن "رع" يستريح. والذى يولد فى هذا اليوم يقتله الثعبان".

فى التاسع والعشرين من بابة طيب، طيب، طيب. الذى يولد فى هذا اليوم، سوف يموت وسط تبجيل جميع أهله وأقربائه".

نجد إذًا؛ أيامًا لم تكن تتساوى فى مناسبتها لهذا النمط من التنبؤ. فإن من يولد فى شهر بابة كان لديه الفرصة بنسبة ثمانية على ثلاثين، ليعرف، من خلال يوم مولده، نوع الموت الذى سيلقاه !.. ويُلاحظ

(١) "مونتو"، إله طيبة وأرمنت، إنه إله محارب بكل معنى الكلمة.
(٢) ينقص هنا اسم أحد الآلهة.
(٣) ربما: "كل من يولد فى هذا اليوم.. سوف يموت على الأرض الأجنبية".



أن شهر هاتور الذى يتبع مباشرة بابة لا يتضمن سوى ثلاثة أيام مقدرة (١).

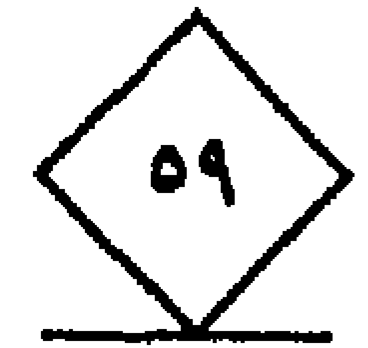
إن الإنسان المصرى الذى تلده أمه فى التاسع أو التاسع والعشرين من شهر بابة كان عليه أن يبتهج ويُسر ويستمر فى حياته: وسوف ينعم بسعادته. أما عن الذى يولد فى السابع أو السابع والعشرين من الشهر ذاته، فعليه ألا يقلق كثيرًا. فإن أسلوب موته، قد تحدد منذ ذاك الحين. ولكن بالنسبة للحظة وفاته: "لا". فهو حقيقة قد حُكم عليه بالموت، ومع ذلك، كان له الحرية فى التأخير، وفقًا لرغبته إلى حد ما، وقت تنفيذ القتل. إنه، قطعًا، على غرار "الأمير المحتوم القدر"، المهدد من تمساح ما، أو ثعبان، إن لم يتوخَّ الحذر؛ وأيضًا، إذا كان أبواه لم يحافظا عليه إبان فترة طفولته .. فإنه، فى مثل هذه الحال لن ينتظر طويلاً فوق هذه الأرض: إن أول تمساح أو أول ثعبان يزحف نحوه .. سوف ينفذ العقاب !..

ومع ذلك، كان يستطيع أن يتسلح بالحذر ضد مصيره وقدره. وذلك، بابتعاده عن القنوات المائية والنهر، وألا يبحر أبدًا فى أيام معينة؛ حيث تسود خلالها التماسيح وتهيمن على مياه النهر(٢). ثم، بعد ذلك، يعمل على إنارة مركبه بواسطة العاملين لديه.. وكان من المعتقد، أن أكثر التماسيح مرونة ورشاقة وضراوة أسنان، يصبح بلا حراك ولا حول له أو قوة (٣) .. لمجرد ملامسته لريشة من طائر الإبيس. ومن ناحيتى، لن

(١) يوم ١٤، و ٢٠، و ٢٣. فمن يولد فى اليوم الرابع عشر، سوف يموت بسلاح قاطع (بردية سالييه، IV, p.8, t.3) ومن يولد فى العشرين منه، فسوف يموت بعدوى الأمراض السنوية (ID., p.8,t.9) ومن تلده أمه فى الثالث والعشرين من الشهر ذاته، فسوف يموت فى النهر (Id.,p.9,t.12).

(٢) بخصوص تاريخ الثانى والعشرين من بابة، سجلت بردية سالييه، الجزء الرابع، هذه الملحوظة: "لا تغتسل فى أية مياه فى هذا اليوم: فإن من يبحر فى النهر، فقد حان يومه بأن يقطعه أشلاء لسان Levek (التمساح)".

(٣) Horapoolon, Hieroglyph, II, LXXXI, edit, Leemans, p 94-95.
إن الهيروغليفى الذى جاء ذكره فى نص المؤلف اليونانى كان دارجًا فى الحقبات المتقدمة.

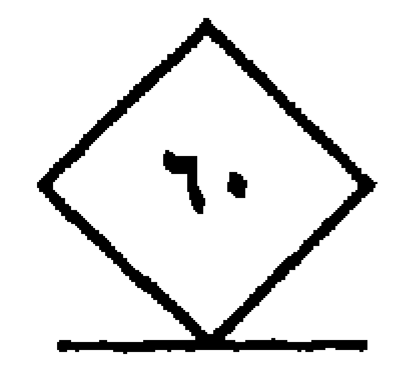


أتكل على ذلك أبدًا !!.. ولكن المصرى الذى كان يعتقد فى قوة الأشياء وفضائلها، لم يكن هناك ما يمنعه من أن يكون لديه دائمًا بعض ريشات من طائر الإبيس.. ويتصور أنه ضمان وكفيل !

وإضافة إلى الاحتياطات الإنسانية، لم يكن من الخطأ أبدًا أن يُضاف إليها، عدة تحذيرات إلهية، مثل: التعازيم والرُّقى، والتعاويذ والطلاسم، ومراسم الشعائر السحرية.

لقد رددت التراتيل الدينية كثيرًا، من خلال مقاطع ضخمة رنانة: "*لأن الإله لا ينحت أبدًا فى الحجر، ولا فى تماثيل تُتوج بالتاج المزدوج. فلا أحد يمكن أن يراه ولا تصل إليه أية خدمات، ولا قرابين. ولا يمكن استقطابه فى مراسم غامضة مبهمة. فلا يعرف أين مكانه. ولا يمكن العثور عليه بقوة الكتب المقدسة*[1]". وهذا حقًا فيما يتعلق بإله مثالى؛ الإله المطلق، الإله المكتمل. جملة القول، الذى يقر يُعتبر الإقرار بوجوده بمثابة أول بند من بنود الإيمان؛ ولكن، لا يفكر فيه إلا قليلاً فى الحياة المعتادة. فلم يكن أبدًا من الآلهة. إن "رع"، و"أوزيريس"، و"شو"، و"آمون"، وجميع من صُوروا على التوالى فى الأسرات الإلهية، لم يكن من المتعذر الوصول إليهم. لأنهم قد احتفظوا، من مرورهم لفترة ما على الأرض، بنوع من الضعف والنقص الذى يعيدهم دائمًا إلى الأرض. وقد نحتوا فى الحجر؛ وكان من الممكن الاقتراب منهم بواسطة المراسم الدينية ومن خلال القرابين. بل كان يتحتم جذبهم بداخل المعابد وفى المقابر ذات الرسوم الملونة. وإذا كان ماضى حياتهم البشرية قد أثر على أحوال البشر؛ فإن الإنسان قد أثر، بدوره على حاضر حياتهم الإلهية ..

ثم كانت هناك أيضًا بعض الكلمات التى إذا نطقها صوت بشرى، تنفذ إلى أعمق الأغوار؛ وكذلك عدة صيغ ذات قوة فعالة وجاذبية لا تُقاوم على العقول فوق الطبيعية؛ وأيضًا، بعض التمائم والطلاسم التى



(١) Pap. Sallier II, p.12, t.6-8, et Pap. Anastasi VII, p.9, t.13.

يستطيع تكريسها السحرى لحصر شىء ما من القوة السماوية. ومن خلال قوتها وخاصيتها، كان الإنسان يستطيع أن يستحوذ على الآلهة. فيلحق "أنوبيس" بخدمته، أو "تحوت"، أو "باستت"، أو "ست" ذاته. ويطلقهم ثم يستعيدهم، ويرغمهم على العمل والمحاربة من أجله !!

ويتبين أن هذه القوة الخارقة التى كان الساحر يعتقد أنه يمتلكها .. كان البعض يستعينون بها من أجل تعاظم ثرواتهم أو إرضاء شهواتهم السيئة. فقد رأينا، من خلال مؤامرة دُبرت ضد "رمسيس الثالث"، أن المتآمرين قد استعانوا بكتب التعازيم السحرية، لكى يصلوا حتى حريم الفرعون ذاته[1]. وكان القانون يفرض عقوبة الموت على من يسيئون الاستعمال بمثل هذه الكيفية. أما جميع من يمارسون، بواسطة سحرهم عملاً لا ضرر فيه وطيبًا .. فإنه يتركهم آمنين.

منذ ذاك الحين، لم يكن الإنسان الذى يهدده القدر، هو الوحيد الذى يراقب ويحذر. فقد كانت الآلهة أيضًا تقوم بالمراقبة والرعاية. بل ويدعمون عجزه وضعفه بواسطة تيقظهم وانتباههم الذى لا يخيب أبدًا. كمثال: تميمة تمثل صورة لـ"أمون" بأربعة رؤوس كبش، مرسومة فوق شقفة من الفخار؛ وهو يطأ بقدميه أحد التماسيح؛ وهناك ثمانية أرباب يتعبدونه، ويقفون عن يمينه ويساره[2]. ويتلون عليه التعويذة التالية: *"إلى الوراء، أيها التمساح، ابن "ست"! لا تسبح بذلك. لا تمسك بذراعيك الاثنتين، لا تفتح فمك !! فلتتحول المياه إلى مساحة من النيران أمامك! إن سحر الآلهة السبعة والثلاثين كامن فى عينيك. إنك ترتبط بالناب والسن الكبير الخاص بـ"رع"، وأنت مربوط بالأعمدة الأربعة البرونزية فى الجنوب، فى مقدمة مركب رع، توقف، أيها التمساح، ابن "ست" !! احمنى أيا أمون، زوج أمك "!!* عمومًا، إذا كنت قد ولدت فى الثانى والعشرين

(١) Chabas, Papyrus magique Harris, p. 170-174; Deveria, La Papyrus judiciaire de Turin, P.124-137.

(٢) بردية هاريس السحرية: pl.6, t. 8-9.

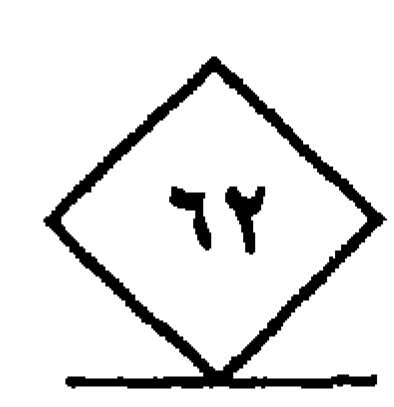
أو الثالث والعشرين من بابة فإن "أمون" ملزم بحمايتك ضد التمساح ومخاطر المياه.

ثم هناك صيغ أخرى وتمائم مغايرة تعمل على الوقاية من النيران، والعقارب، ومن المرض(١). وفى أى شكل كان يتخفى القدر، فإنه كان يلقى إلهًا مسلحًا من أجل الحماية. وأكيد، أن الإنسان مهما فعل، فإن حكم القدر لن يتغير. بل إن الآلهة نفسها، كانت تبدو لا حول لها ولا قوة فيما يتعلق بنهاية الصراع. وقد يتوارى ضوء النهار، بدون أن يفلح أى شىء: حرص وحذر، وسحر، وحماية إلهية !!.. فقد كان القدر هو الأقوى ! وعلى الأقل، أن الإنسان قد نجح فى الاستمرار، ربما حتى سن الشيخوخة، أو ربما حتى سن المائة وعشر السنوات؛ أى النهاية القصوى للحياة. هذا العمر الذى كان حكماء المصريين يتمنون الوصول إليه .. وأن أيًا من البشر وُلد من أم بشرية، لا يجب أن يتعداه(٢).

هكذا كان الأمر بالنسبة للحياة. ولكن، ماذا بعد الموت؟!!.. لا شك أن السحر، بعد الموت، لم يكن يفقد حقوقه أبدًا. فها هو يتبع الإنسان إلى ما بعد مقبرته .. ويستمر فى الاستيلاء عليه !.. ويبدو، أن العالم كما تصوره الإيمان الأعمى فى نفوس الشعب، والعلوم التى ترتكز على اعتقادات باطلة من جانب الكهنة .. كان يتراءى وكأنه مسرح ذو طابقين متناضدين. ففى الطابق العلوى، ترى مصر الخاصة بالأحياء، وهى تمتد متألقة الضياء. فها هو ريح الشمال يبعث نفثاته العذبة، والنيل تجرى أمواجه وراء بعضها بعضًا. وكذلك، الأرض السوداء الخصبة، التى ترتوى دائمًا وأبدًا، تنتج الكثير من المحاصيل، والزهور، والغلال والفاكهة. أما

(١) Le papyrus I, 348, de Leyde, publié par Pleyte (Etudes égyptologiques, t.I, Leyde, 1866) est un recueil de formules dirigées contree diverses maladies.

(٢) بخصوص سن المائة وعشرة الأعوام، يُنظر المذكرات العجيبة التى كتبها "جودوين"؛ "منوعات مصرية قديمة"، 2em serie, p.231-237.



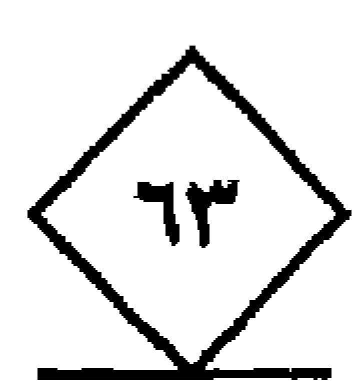
عن الفرعون، ابن الشمس، رب الأكاليل، ملك القطرين، فهو قائم فوق عرشه فى منف. فى الحين ذاته، يحرز قادة جيشه، فى المناطق النائية انتصارات على السوريين. وأيضًا، فى الوقت نفسه، يبذل النحاتون فائق جهدهم، من أجل أن ينحتوا فى الحجر الجرانيتى المعابد المرتبطة بورعه وتدينه ..

وهنا، فى مملكته، تقع أحداث معظم الحكايات والروايات. فنلاحظ أن رواية "ساتنى" يدور جزء من وقائعها بالطابق الثانى من هذا العالم .. أى طابق المقابر والظلمات. كما أن المياه الأبدية، بعد أن كونت قبة السماء، أخذت تنهمر نحو الغرب فى هيئة شلال فائق المدى؛ ثم تغوص فيه من خلال فوهة "بيجة (١)، إلى أحشاء الأرض، وهى تسحب معها مركب الشمس وموكبها المكون من الآلهة المضيئة (٢). وعلى مدى الساعات الاثنتى عشرة، كان الأسطول الإلهى يجوب الممرات الممتدة المظلمة. حيث يوجد عدد من الآلهة: البعض منهم عدوانيون؛ أما الآخرون فطيبون. وقد يعملون أحيانًا، بكل جهدهم على تعطيله؛ وأحيانًا أخرى يساعدونه على قهر مخاطر الرحلة ودحرها.

ومن مسافة إلى أخرى، كان يُفتح أمام الأسطول باب يقف على حراسته ثعبان عملاق، ويتيح له دخول قاعة فسيحة الأرجاء، مليئة بالنيران والدخان ووحوش بشعة الشكل، وجلادون يقومون بتعذيب

(١) الـ Ro Pega أو Ro Pegart كـان يقع فى الـ Ouou Pegat أو الـ Ouou Pegart، ويقع هو نفسه فى غرب أبيدوس. وحرفيًا تعنى العبارة: "فوهة الشق". وتشير إلى الشق، أو الشرخ، الذى تنزل الشمس من خلاله إلى عالم الليل.

(٢) وصف جولة الشمس الليلية يوجد فى "كتاب التعرف على ما يوجد فى نصف الكرة السفلى"، الذى حُفظ نصه بالبرديات، والتوابيت، وعلى جدران بعض المقابر. وأمكن إصلاحه وترميمه كله بداية من الآن. إنه يشرح، ساعة، بعد ساعة، مع الأشكال اللازمة للشرح، مختلف مراحل جولة الشمس، واسم كل من القاعات التى يتم التجول بها؛ واسم كل من الآلهة التى تقابلها، وصور لتعذيب الملعونين، وأحاديث الشخصيات الصوفية الذين يستقبلون الشمس.



الملعونين. ثم بعد ذلك، تُستهل الممرات، الضيقة، المظلمة، وكذلك السياق بغير هدى فى الظلمات، والصراعات ضد الأرباب الأشرار؛ ثم الاستقبال البهيج من جانب الآلهة الطيبين. وبداية من منتصف الليل، يتم الصعود إلى سطح الأرض. وعند الصباح، تصل الشمس إلى أقصى حدود المنطقة المظلمة. وتخرج عند الشرق من أجل أن تنير يومًا جديدًا [١].
وغالبًا، كانت مقابر الملوك، والأمراء، والخاصة الأثرياء من الناس تُبنى كما هو سائد فى العالم الجهنمى. فهى تحظى، هى الأخرى بآبارها، حيث يستطيع الميت، من خلالها أن ينزلق إلى القبو الجنازى. وبها كذلك دهاليز متعمقة حتى أعمق أعماق الصخور. وفيها أيضًا قاعات كبرى ذات جدران مزينة برسوم ملونة ذات قبة مستديرة الشكل[٢]، وزُخرفت جدرانها برسوم ملونة، تمثل شياطين وآلهة الجحيم[٣].

كان جميع ساكنى هذه "البيوت الأبدية"[٤]، يرتدون، بكل ما يتألق به من جمال غير مألوف، رداء الموت المصرى: قماط من الأربطة الرقيقة الناعمة، وتجليدات مبرقشة بألوان متعددة وذهبية؛ وكذلك القناع ذو العينين الكبيرتين المصنوعتين من الميناء، المفتوحتين دائمًا وأبدًا !!.. فلا تعتقدوا أنهم جميعًا موتى. إذًا، يمكننا أن نقول، بصفة عامة، إن المصريين لا يموتون بنفس المعنى الذى يتسم به موتنا نحن. فإن نفثات الحياة، التى ضُمخت بها الأنسجة فى لحظة الميلاد، كانت لا تختفى فجأة مع آخر دقات قلوبهم !.. فإن هذه النفثات كانت تبقى وتدوم حتى لحظة التحلل الكامل. ولكن، لا بد أن حياة الجثمان هذه كانت تتسم بالكآبة وعدم الإدراك. ولذا، كانت الضرورة تحتم عدم تركها تخبو وتنطفئ. وهكذا نجد، أن أساليب التحنيط، كانت تحدد شكل المومياء وتحجُّرها .. إذا جاز التعبير!.. ولذا، فإن وسائل السحر والدين، كانت

---

(١) فى بلاد "بُقت"، "الولادة".
(٢) ما تسميه النصوص بـ "كليل" Klil (Kerirt)، أفران وقاعات مستديرة القبب.
(٣) فهكذا تبدو مقبرة "سيتى الأول"، و "رمسيس الخامس".
(٤) ساد هذا التعبير منذ عهد الأسرات الأولى.

تضفى عليها نمطًا من الانسيابية المستترة، لتكون قادرة دائمًا أن تنمو وتتطور فى يوم ما .. وتتجلى !

وبذا، فقد كان القائم بالتحنيط، ساحرًا، وكاهنًا، وجراحًا فى ذات الحين. فهو خلال نقعه اللحم، ولفه للأربطة، كان يتلو بعض الدعوات والصلوات، ويؤدى عدة شعائر غامضة، ويكرس عددًا من الطلاسم والتعاويذ العظمى. وكل عضو من أعضاء الجثمان، كان يتلقى منه، على التوالى، الزيت الذى يجعله غير قابل للفساد والصلوات التى تغذى خميرة الحياة [(١)]. ثم ها هو أيضًا قرص من الكرتون المُذهَّب، يتضمن عدة أساطير صوفية، قد وُضع تحت الرأس، لكى يعمل على اتقاء بعض مما تبقى من الحرارة الحيوانية [(٢)]. أما عن الجُعل المصنوع من الحجر، المحوط بالذهب، فقد حل مكان القلب فى الصدر: بحيث يحافظ على سلامة المكان حتى يجىء اليوم، الذى يعود القلب للبحث عن مكانه[(٣)]. وكذلك، هناك: كميات ضئيلة من القش، والزهور المجففة، ولفائف من البردى، وتماثيل لطيفة صغيرة من الطين المطلى قد أُخفيت ما بين طبقات الربطة. وأيضًا: عدة أساور، وحلقات، ولوحات صغيرة يتألق فوقها بعض الكتابات الهيروغليفية. أى باختصار: هذه الآلاف من الأشياء الضئيلة، التى تزدحم بها فى وقتنا هذا خزانات العرض فى متاحفنا؛ وكانت لازمة أساسًا لحماية الجزء، والذراعين، والساقين.. وكأنها قطع وآلات الوقاية المعدنية (درع، خوذة، إلخ).

وعن الروح، من ناحيتها، فإنها لم تكن تفتقر إلى الحماية عند وصولها إلى حياة فيما وراء الموت. فإن فصول "كتاب الموتى"، والكتابات الثيولوجيّة الأخرى، التى كانت توضع نسخ لكل منها فى كل تابوت، كانت

(١) "شعائر التحنيط"، ماسبيرو، ملحوظات عن بعض برديات اللوفر.

(٢) ما يُسمى بالـ hypocéphale "الكتاب المقدس" المتعلق بالـ Mormon هو الـ hypocéphale للمومياء المصرية، التى نُقلت إلى أمريكا واشتراها "جوزيف سميث".

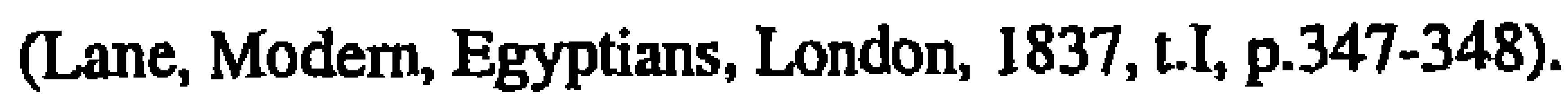
(٣) كتاب الموتى، الفصل الثلاثون، والثانى والسبعون.

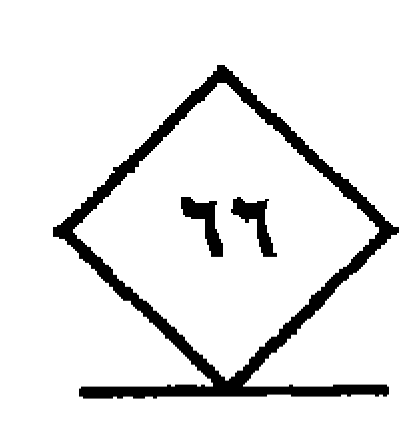
تُعد بالنسبة لها بمثابة سحر يفتح أمامها الأجواء الجهنمية ويبعد عنها أخطارها وأهوالها. وإذا كانت هذه الروح، عندما كانت لا تزال مندمجة بالجسم الحى، قد اهتمت مسبقًا بتعلم هذه الكتابات، لكان ذلك أفضل لها كثيرًا. أما إذا كان الفقر والعوز، والجهل، والتكاسل، وعدم المقدرة على التفكير أو أى أسباب أخرى، قد عاقتها عن تلقى هذا العلم الضرورى لأمنها وسلامتها، حتى بعد الموت .. فإن أى قريب أو صديق عَطوف خيِّر، يمكن أن يقوم بتعليمها. وهكذا، يكفى الأمر أن تُتلى كل صلاة بجوار المومياء، أو فوق التعاويذ، لكى تصل المعرفة، من خلال عملية دقيقة .. إلى الروح المتجردة عن الماديات.

إذًا، لقد كان القدر عامًا ومشتركًا بين الجميع. وربما أن البعض قد يتمكنون من الهروب منه، سواء بفضل مكانة رفيعة سامية أو بواسطة السحر. فنجد أن الشخصيات التى التقى بها "ساتنى" مجتمعين فى مقبرة "نفركابتاح" لا يعدون أمواتًا إلا فيما يتعلق بما يرتدون وبمظهرهم. وإذا أردنا، فهم فحوى مومياوات؛ فإن الدماء لم تعد تجرى فى عروقهم. كما أن أعضاءهم قد تصلبت بسبب التقميط الجنازى. أما لحومهم فقد تشبعت وتيبست بسبب عطور التحنيط؛ وجماجمهم فارغة. ومع ذلك، فهم يفكرون، ويتحدثون، ويتحركون. جملة القول، إنهم يتصرفون وكأنهم فى قيد الحياة. وربما إننى أميل إلى القول بأنهم أحياء. فإن كتاب "تحوت" قد تخلل فيهم واستوعبهم !.. فها هى "مدام دى سيفينيه"، بعد قراءتها لدراسة عن هذا الكتاب، حررها "م. نيقول"، تقول: "إنها تريد أن تعمل منه حساء وتشربه" !!

ولقد قام "نفركابتاح" بنسخ صيغ الكتاب السحرى فوق ورق بردى نقى لم يُستعمل من قبل. وأذابها فى قليل من المياه، ثم ابتلع هذا المشروب[1]،

(١) حتى يومنا هذا، يُستعمان فى مصر، من أجل التخلص من مرض ما، بكتابة بعض سور القرآن، بداخل وعاء مصنوع من الطين النضج، أو فوق قطع من الورق، ويُسكب فوقها بعض المياه، ثم تُرج جيدًا حتى تذوب الكتابة تمامًا. وبذا، فإن المريض يشرب، مع المياه، الخصائص الطبية المفيدة التى تضمنتها الكلمات الذائبة.


(Lane, Modern, Egyptians, London, 1837, t.I, p.347-348).



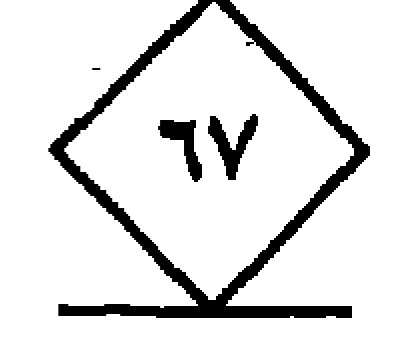
بدون أى استياء. وبذا، ها هو قد أصبح من المستحيل تدميره. وربما أن الموت عندما جاءه، قد غير بعض أحوال معيشته. ولكنه، مع ذلك، لم ينل من وجوده ذاته. فنجده، وهو يستحضر فى مقبرته .. روحَىّ زوجته وابنه. ثم ينفث فيهما قوى وخصائص الكتاب؛ ويستعيد معهما الحياة العائلية، التى كانت قد فُصمت للحظات من جرَّاء شكليات وإجراءات التحنيط. وأيضًا، ها قد واتته الفرصة، لكى يخرج ويدخل كما يريد، وأن يظهر ثانيًا خلال النهار، ويتراءى فى كافة الهيئات التى يريدها.

وهاهى إذًا أمور مصرية، ولا شىء آخر سوى مصرية. ويحتمل أن الفكرة الأصلية، قد تكون غريبة على مصر؛ ولكن، علينا أن نقر، بأن مصر قد استوعبتها، لدرجة أنها أصبحت خاصة بها تمامًا. وخلاف ذلك، قد نجد، على سبيل المثال: عائلات من الأشباح، وجمعيات من المتوفين، و"مجلس" من المومياوات.. وكل ذلك، لا يمكن أن يحدث إلا فى .. وادى النيل !!.. ثم بعد ذلك، يفاجئنا ظهور شبح ما، من خلال مقطع أدبى قصير جدًا، فى متحف فلورنسا. وقطعًا، لن يثير ذلك عجب أحد(١). ونجد أن هذا الشبح، أو بالأحرى، وفقًا لاسمه المصرى، هذا الـ"خو" لم يتخلَّ عما اعتاد عليه أمثاله .. فأخذ يحكى حكايته الشخصية التى تقول: إنه ولد خلال عهد الملك "رع حتب" من الأسرة السابعة عشرة. كما تحدث عن نمط الحياة التى عاشها. وكان، هو الآخر، كما سنلاحظ، مصرى الأصل تمامًا.

(٥)

ربما يكفى ما ذُكر آنفًا، ليبين مدى أمانة بعض النصوص الشعبية وصدقها، وهى تصف التقاليد والعادات والخرافات لدى المصريين فى مصر. ومما يثير الدهشة أن نقرأ فى حكايات أخرى عن انطباعات

(١) نشره Golénischeff فى كتاب عن الأعمال المتعلقة بالآثار المصرية والآشورية، t.III، ١٨٨١.



الإنسان المصرى عند سفره. وربما يتعجب الكثيرون، عندما أذكر، مع التمعن والاعتبار، أن المصريين كانوا شعبًا ميالاً إلى السفر والترحال. وقد اعتاد البعض على تصويرهم كأفراد ملازمين لديارهم، ملتزمين بما تعودوا عليه، متشبثين برفعة وسمو أصلهم؛ لدرجة أنهم لا يودون زيارة أى جنس آخر. ويعشقون بلدهم لدرجة أنهم لا يريدون الخروج منه، إلا بالقوة ! وربما كان هذا الأمر حقيقة خلال العصر اليونانى الرومانى؛ بالرغم من أن وجود الكهنة الجوالين، والحواة، والبحارة المصريين، فى مختلف أنحاء الإمبراطورية القيصرية، يؤكد أن جزءًا ما على الأقل من الأهالى، لم يأنفوا مطلقًا فكرة السفر؛ إذا كان هذا يعود بالفائدة، ولكن إذا كان هذا حقيقيًا بالنسبة لمصر التى شاخت وتدهورت؛ فهل كان كذلك أيضًا فيما يتعلق بمصر الفرعونية ؟!

وأكيد، أن جيوش الفراعنة، كانت، بالضرورة تجر خلفها أعدادًا من العاملين، والتجار وأفرادًا من كافة الأنواع. ولا شك أن المعارك كانت تتكرر تقريبًا كل عام. وبالتالى، ففى كل عام، كان الآلاف من المصريين يغادرون بلدهم، وراء الغزاة. ثم يعودون حالما تنتهى الحملة (١). وبفضل هذا الخروج الدورى، وجدت فكرة السفر لها مكانًا مألوفًا فى عقل الشعب. وهكذا، لم يتردد الكتبة مطلقًا فى اتخاذها كموضوع فى تدريباتهم على الأسلوب والإبداع الأدبى. ولقد خصص أحدهم عشرين صفحة من الأسلوب الأدبى لوصف خط السير لجولة عبر الأقاليم السورية المتضمنة بالإمبراطورية (٢). ويُلاحظ أن الوقائع المعتادة فى أية

---

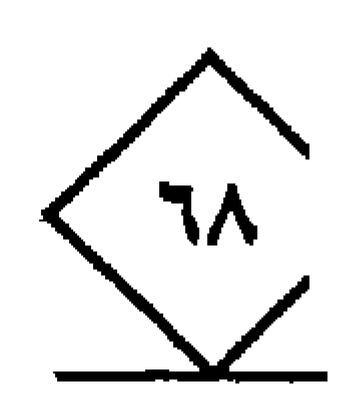
(١) بداية من الأسرة الثانية عشرة، تراءت بعض الإلماحات إلى مخاطر الرحلات البعيدة المدى.

(Maspero, Du genre epistolaire, p. 59-60).

(٢) يوجد هذا النص فى "بردية أناستازى"، رقم ٤، وقام بتحليله Hincks ثم ترجمه وناقشه "شاباس". " رحلة أحد المصريين".

Paris, Maisonneuve, in-4, 1866.

ولقد اعتقد "شاباس" أن الرحلة قد تمت بالفعل. ولقد بين "هـ. بروجش"، فى مقال بالـ Revue Critique، ١٨٦٦؛ إنه لا صلة له مطلقًا بالحقيقة. وأن النص برمته لا يعدو أن يكون سوى تدريب بسيط على البلاغة والفصاحة.



رحلة، فى ذلك الحين قد أُشير إليها باختصار. فقد جابه البطل غابات مليئة بالحيوانات الكاسرة، واللصوص، والطرقات الوعرة، وبلادًا كلها جبال ومرتفعات لدرجة أن عربته قد تحطمت. وعن المدن التى مر بها، فقد ذُكرت وفقًا لترتيبها الجغرافى. ومع ذلك، فهناك بعض التفاصيل الجديرة بالرسم والتصوير التى تقطع، هنا وهناك، رتابة السرد: إنها "صُور" المشمسة، بأسماكها التى تُعد أكثر غزارة من ذرات رمل البحر؛ وسفنها التى تجلب إليها المياه من الساحل. وأيضًا "جبيل" ورتبها العظمى، و"يافا" وبساتينها المتعددة ذات الجمال الساحر الأخاذ. جملة القول: إن كل ذلك، يمكن، بكل سهولة أن يكون لوحة "كانفاه" لرواية جغرافية، شبيهة ببعض الروايات البيزنطية، مثل: أثيوبوهليودور أو "غراميات كليتوفون وليوسيب".

إذًا، فلن نتعجب أبدًا، إذا لاحظنا أن أبطال رواياتنا، يسافرون كثيرًا إلى الخارج، وتقول قصة "الأمير المحتوم القدر"، إن ابن أحد الفراعنة، قد ذهب يبحث عن حظه فى "نهارينا"، فى قلب منطقة شمال سوريا. وكذلك، ففى جنوب سوريا فى "يافا" وجد "تحوتى" الفرصة مواتية لكى يستعرض كفاءاته كجندى ماكر خبيث. ولقد قاد النفى والابتعاد عن الوطن "سنوهى" إلى "إيدوم" . ونرى أن وصف العادات والتقاليد ليس له أى دور فى إطار القصتين الأولى والثانية من هذه الحكايات. وكذلك، ليست هناك أية تفاصيل تثبت أن المؤلف قد ذهب بالفعل إلى البلد الذى قاد إليه شخصياته. .. فهو، فى الواقع لم يعرف سوى اسمه فقط لا غير. كما أن الشخص الذى سرد مغامرات "سنوهى"، ربما كان قد سافر شخصيًا إلى تلك المنطقة التى وصفها، أو قد يكون قد استفهم عنها من بعض الأشخاص الذين سافروا إليها فعلاً.

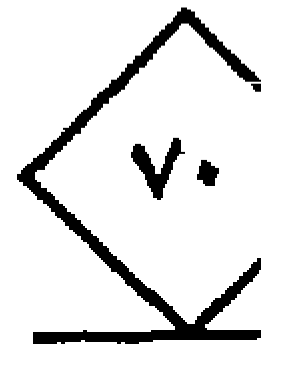
وربما، كان عليه أن يعبر الصحراء، ويشعر بهولها، لكى يتحدث عن جزع "سنوهى" وغمّه وهو يعبرها: "لقد انقض الظمأ علىّ. وثقل الإنهاك على أعضائى. وأخذت أقول لنفسى: ها هو طعم الموت. وفجأة بدأت



أنعش قلبى، وأقوى من أعضائى؛ وسمعت الصوت الرخيم الذى تصدره القطعان". ونرى هنا، أن عادات وتقاليد أهالى "إيدوم" قد التُقطت بواقعية واضحة. وهكذا، سرد النص المتعلق بالمعركة الغريبة الشأن بين "سنوهى" وبطل "تونو"، يرد أمينًا للغاية .. لدرجة إننا نتصور إنه بمثابة وصف لصراع بين عنتر وربيعة .

لم يتبق لنا الآن، لإكمال سلسلة روايات السفر والترحال، سوى العثور على رواية بحرية النمط. إن القصة البحرية التى كانت تنقصنا، قد اكتُشفت لتوّها فى "سان بطرسبرج [(١)]". ولعلنا نلاحظ أن الكتاب الإغريق واللاتينيين قد قالوا لنا وأفاضوا: أن البحر بالنسبة للمصريين كان يُعتبر غير نقى أو طاهر. ولم يحاول أحد منهم أبدًا، أن يتوغل فيه بكامل رغبته. ثم، ها هم الكتاب الحديثون، حتى وقتنا هذا، قد نجحوا فى أن يقنعوا أنفسهم، وفقًا لاعتقاد القدامى: أن مصر، لم يكن لديها أبدًا أية بحرية قومية، أو بحارة من الأهالى المصريين ..

وكذلك، فإن الرحلة الاستكشافية التى أطلقتها الملكة "حتشبسوت"؛ والانتصارات البحرية التى أحرزها "رمسيس الثالث"، كانت، وفقًا لهذا الادعاء، من إنجازات الفينيقيين الذين كانوا يحاربون أو يُبحرون تحت اللواء المصرى .. وليس المصريين بكل معنى الكلمة !!.. ولكن، ها هى البردية المحفوظة فى "سان بطرسبرج" ترغمنا على نبذ تلك النظرية. فإنها ترجعنا، إلى الأسرة الثانية عشرة، وليس السابعة عشرة .. أو بالأحرى، فى الزمن الذى لم تكن مصر تحاول غزو سوريا .. وفى الزمن، الذى لم يكن يوجد فيه بعد، فينيقيون على سواحل البحر المتوسط. وأيضًا، قبل ذلك، قد أعلمتنا النُصُب والمنشآت، أنه خلال عهد أحد



(١) بخصوص قصة مصرية قديمة:

Notice lut au Congrés des Orientalistes à Berlin par W. Golénischeff, 1881; cfr. p, 135 sqq. De ce volume.

ملوك الأسرة الحادية عشرة، قامت حملة بحرية بالإبحار إلى بلاد بونت[١]. وتبين لنا رواية "سان بطرسبرج"، أن البحارة الذين أوكل إليهم الفرعون بمهمة التوجه للبحث فى المناطق النائية، عن العطور، والسلع الغذائية من الجزيرة العربية .. كانوا مصريين أصلاً وثقافة !!

ربما يبدو إخراج بداية القصة غريبًا للغاية !.. فها هو شخص ما قد بُعث فى مهمة بأمر من الملك. إنه يقدم تقريرًا رسميًا لرئيسه المباشر. ومن الواضح أن العبارات التى يستعملها تتطابق تمامًا بتلك التى يستعين بها الكتبة، عندما يُلزمون بتقديم تقرير عن أحد أعمال الدائرة أو القسم، حيث يقول: "ذهبت إلى مناجم .. "حون حن"[٢] ونزلت البحر فوق سفينة طولها مائة وخمسون ذراعًا؛ أما عرضها فهو أربعون ذراعًا. وتتضمن مائة وخمسين من أكثر ملاحى مصر براعة وكفاءة؛ الذين رأوا السماء والأرض؛ وقلوبهم أكثر صلابة من قلب الأسد"[٣]. ويبدو أن الحاكم "أمونى أمنمحات" الذى عاصر، تقريبًا زمن تحرير قصتنا هذه، لم يختلف ما قاله، فى السرد الذى قدمه لنا فى حياته؛ حيث قال: "لقد صعدت النيل، لكى أتوجه لجلب منتجات مختلف أنواع الذهب، من أجل جلالة الملك "خبركارع" . ثم صعدته مرة أخرى مع الأمير الوريث، الابن الأكبر الشرعى للملك، "أمونى"، حياة، وصحة، وازدهار. ثم صعدته أيضًا بمصاحبة عدد من الرجال، لا يقل عن أربعمائة رجل، من صفوة جنودنا[٤]".

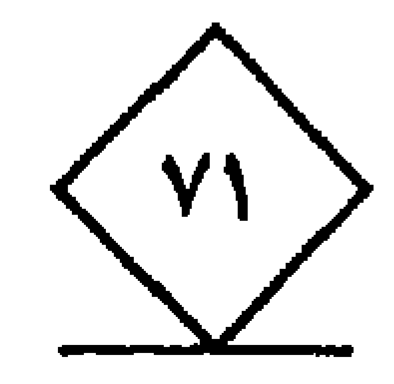
وربما، بسبب إحدى تلك الحوادث المزعجة، التى اعتدنا عليها فى مجال علم المصريات: أن المخطوط كان قد تمزق فى هذا المكان، وتبددت

(١) خلال حكم الملك "أمونى سعنخ كارع" (Lepsius, Denkm, II, p1.130).

(٢) حون حن: لقب ملكى. ومناجم "حون حن" هى مناجم الفرعون.

(٣) Cfr. P. 140-141.

(٤) الكتابات الكبرى الخاصة ببنى حسن فى المجموعة:
Travaux relatifs à l'Archéologie Egyptianne et Assyrienne, t.I, p.172.



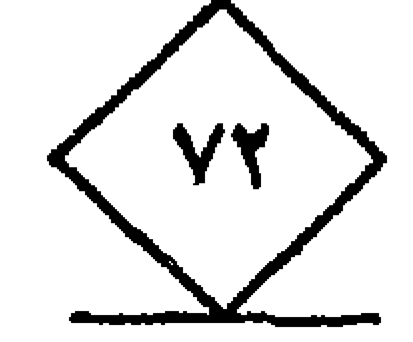
النهاية !.. ففى هذا الحال، كان يحق لنا الاعتقاد أنه كان يتضمن جزءًا تاريخيًا، كما حدث بخصوص بردية ساليه رقم (١) التى تتناول حكاية "أبوفيس وسقننرع"(١). ولكن، يالفرحتنا وسعادتنا، فإن المخطوط قد بقى سليمًا لم يُضرا وهكذا، يتبين لنا، بكل وضوح إن البطل قد انتقل، بدون أى تمهيد من مجال الواقع إلى أجواء الخرافة .. فها هنا عاصفة عاتية قد أغرقت سفينته، وألقت به فوق إحدى الجزر. إذًا، فالأمر فى حد ذاته يبدو طبيعيًا. ولكن بالنسبة إلى الجزيرة التى وصل إليها، هى الوحيدة بين نظيراتها .. ليست جزيرة عادية. فهناك ثعبان هائل الضخامة يسكنها مع عائلته. إنه ثعبان ذو صوت إنسانى. وقد استقبل الغريق عنده، ووفر له العناية والرعاية، وأطعمه. وتنبأ له بعودة سعيدة إلى بلده. وأفاض عليه بالهدايا فى لحظة رحيله ..

وفى هذا الصدد، نجد أن "جولنيشيف" قد أشار إلى رحلات السندباد البحرى(٢). وقطعًا، إن هذا التقريب الذى ذكره .. يُفرض بغتة على ذهن القارئ. ولكن، على ما يُعتقد أن الثعابين التى قابلها سندباد فى الجزر، ليست لينة الجانب .. مثل الثعبان المصرى !! .. ولا تعمل أبدًا على التسرية عن الأجانب، من خلال سحر وجاذبية حديث طويل المدى .. بل التهامهم بشهية فائقة !!

عامة، إننى، بالرغم من ذلك لا أود أن أستخلص من هذا التشابه، أن القصة المصرية هى ترجمة قديمة لحكاية سندباد. وأكيد أن قصص الرحلات العجيبة، تنبعث طبيعيًا فى أفواه الملاحين. ولا بد أنها، تتشابه معًا فى سمات مشتركة، مثل: الرعود، والغريق الذى ينجو، باستثناء جميع أفراد طاقم السفينة؛ وكذلك الجزيرة التى يعيش بها بعض الغيلان الناطقة، ثم العودة التى كانت غير منتظرة، بحمولة ضخمة من النفائس

(١) Cfr. P, 185-196.

(٢) قصة مصرية قديمة، ص ١٤-١٨.



النادرة. وربما قد يبدو الرحالة، وفقًا لمهنته، قليل النقد واللوم، ولكن مَعين خياله لا ينضب أبدًا. فإنه، حالما يخرج من محيط الحياة العادية التى يعيشها سامعوه، فإنه يدخل بكل قوة فى أجواء الخرافة والخارق للمألوف.

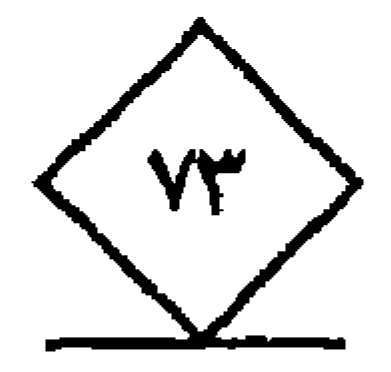
ولا ريب أن كلاً من كتاب "عجائب الهند"(١)، و"علاقات التجار العرب"(٢)، و"مروج الذهب للمسعودى"، سوف تعلم محبى الاستطلاع ما كان الأفراد الحسنو النية يحاولون رؤيته فى "يافا" وفى الصين، والهند منذ بضعة قرون قريبة. فإن الكثير من الوقائع التى ذُكرت بهذه المؤلفات، قد أُدمجت كما هى فى مغامرات سندباد، أو بالرحلات المدهشة التى قام بها الأمير سيف الملوك. وبذا، فإن قصص ألف ليلة وليلة، ليست أكثر كذبًا من الحكايات الجادة، خلال العصر الوسيط الإسلامى. وهكذا، فإن البرجوازى الذى يعيش فى القاهرة؛ وكتب رحلات السندباد السبع، لم يكن فى حاجة مطلقًا لأن يستعرض المعلومات من قصة سابقة. فلم يكن عليه سوى أن يقرأ للمؤلفين الأكثر جدية، أو يستمع إلى البحارة والتجار القادمين من مناطق نائية .. لكى يجد بغزارة المادة اللازمة لكتابة قصة خارقة للمعقول.

فى الواقع أن مصر القديمة لم يكن لديها أى داعٍ، فى هذا الصدد، لكى تحسد مصر الحديثة. كما أن الكاتب الذى ندين له بمعرفة حكاية "سان بطرسبرج"، كان يعتمد على وقائع عجيبة مدهشة .. سُردت طوال عصره.

---

(١) "عجائب الهند"، مُؤلَّف عربى غير مطبوع، فى القرن العاشر. تُرجم للمرة الأولى، بمقدمة، وهوامش، وفهرس تحليلى وجغرافى، من جانب "مارسيل ديفى"، باريس. أ. لومير.

(٢) علاقة الرحلات التى قام بها كل من العرب والفرس، فى الهند والصين، إبان القرن التاسع، بالحقبة المسيحية. وهو نص عربى، طُبع فى عام ١٨١١ ونُشر بواسطة "م.رينود". عضو المعهد، باريس، المطبعة الملكية، ١٨٤٥.



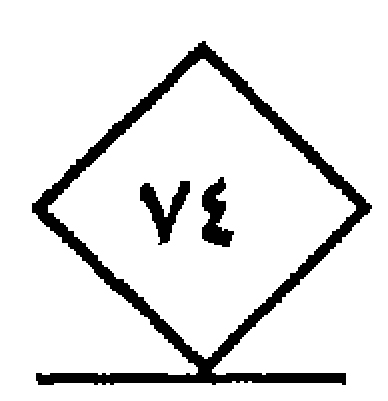
بداية من الأسرة الثانية عشرة، كانت السفن تبحر عبر البحر الأحمر، لتصل إلى بلاد العطور. الواقعة من ساحل البحر المتوسط حتى جزر آسيا. وتبين الأسماء الجغرافية المتناثرة فى النص، أن البطل كان يوجه رحلته نحو الجنوب، لكى يصل إلى مناجم الفرعون: وتحيطنا علمًا السيرة الذاتية الخاصة بـ"أمونى أمنمحات" أن مناجم الفرعون كانت تقع فى إثيوبيا. ومن الممكن الوصول إليها عن طريق النيل. وبذا، فقد حرص الغريق على إعلامنا: بأنه قد وصل إلى أطراف بلاد "واوات"، بجنوب النوبة. وأنه مر أمام جزيرة "بيجة"، عند الشلال الأول. إذًا، فقد صعد النيل، ومن النيل دخل البحر: وبعد إبحار طويل المدى، وصل بسفينته إلى جوار بلاد بونت. وقطعًا، أن أى عالم جغرافيا فى وقتنا الحالى، لن يفهم شيئًا مطلقًا من أسلوب الترحال هذا !.. ومع ذلك، يكفى مجرد الاطلاع على بعض الخرائط التى ترجع إلى القرنين السادس عشر والسابع عشر: لكى نتصور ما أراد أن يقوله الكاتب المصرى.

فسوف نجد بها قلب أفريقيا الذى تحتله بحيرة ضخمة. ومنها يتفرع، من ناحية الكونغو وزامبيا ومن الناحية الأخرى: النيل. وكان التجار العرب فى العصور الوسطى، يعتقدون أنهم بصعودهم مجرى النيل، كان يمكنهم الوصول إلى زامبيا ليصلوا إلى المحيط الهندى(١). ولقد اشتق معاصرو "هيرودوت" "النيل" من "النهر المحيط"(٢). عمومًا، لم يكن العرب والإغريق هم فقط الذين ابتكروا هذا الاقتداء: فإنهم، لم يعملوا إلا على ترديد عرف مصرى، استعان به مؤلف قصتنا هذه.

بالنسبة للجزيرة التى رسا إليها بطل الرواية، هل يحق لها، بالمقابل، أن تُمثل فى إطار جغرافى جاد، بالعالم المصرى؟!.. لقد صُورت لنا باعتبارها أرضًا أسطورية .. لم يكن مقدرًا للجميع أن يعرفوا طريقها.

(١) Quatremere، مذكرات جغرافية وتاريخية عن مصر، وبعض المناطق المجاورة. المسعودى, t.II, p. 181-182.

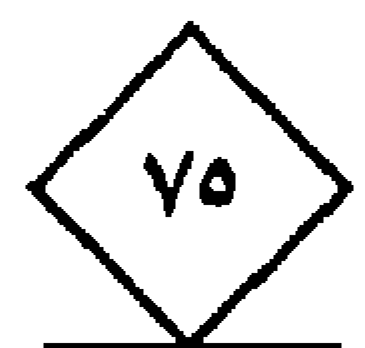
(٢) هيرودوت، (٢) - ٢١.



وأن من يخرج منها، لا يمكنه الرجوع إليها أبدًا: لأنها سرعان ما تتحول إلى أمواج !.. وتختفى بين مياه البحر !.. وربما يُعتبر ذلك بمثابة استهلال بعيد الأمد لتلك الجزر المسحورة، مثل جزيرة "سان برندان": التى كان ملاحو العصور الوسطى، يلمحونها أحيانًا بالآفاق البعيدة .. ثم سرعان ما تتلاشى، عند محاولة الاقتراب منها !.. وربما يبدو أن الاسم الذى سُميت به هذه المنطقة الغامضة التى وصفها المؤلف يبدو موحيًا تمامًا فى هذا الصدد: إنها تُسمى بجزيرة الازدواج [1]. ولذا، فإننى أتردد، أن أتحدث عنه مرة أخرى. بمجرد كلمتين: الازدواج هو روح ما، يجب إلباسها، وإسكانها، وإطعامها فى نطاق العالم الآخر. إذًا، فإن جزيرة الازدواج هى جزيرة تعيش بها روح الموتى. إنها نمط من الجزر الفردوسية، تتماثل بـ"الجزر السعيدة" إبان العصر القديم الكلاسيكى.

وعن الثعبان الذى يعيش فيها، هل عساه هو ذاته بمثابة ازدواج، أم أنه حارس مأوى المزدوجين؟!.. من ناحيتى، إننى أميل كثيرًا إلى هذا التفسير الثانى. ففى جميع الكتب المقدسة، و"كتاب الموتى"، و"كتاب ما هو موجود فى العالم السفلى"، نجد أن حماية الأماكن، التى تعيش بها أرواح الموتى، يوكل بها غالبًا، إلى ثعابين مختلفة النوع. وغالبًا، كان المزدوجون مهيئين جدًا، ولا تستطيع عينا أحد البشر الأحياء العاديين أن تلمحهم. فهكذا، هو الحال فى قصة "سان بطرسبرج". أما عن الحارس، فقد شُكل بهيئة أكثر صلابة وقوة، ولذلك، ارتبط الغريق معه برابطة الصداقة.

ونرى أن "لوسيان" فى كتابه "التاريخ الحقيقى"، لم يتردد فى ذلك: فحالما هبط إلى جزيرة الشانزليزيه، فسرعان ما تصادق مع أرواح الموتى وأخذ يتردد على أبطال "هوميروس"؟!.. وربما أنه كان يفعل ذلك لمجرد

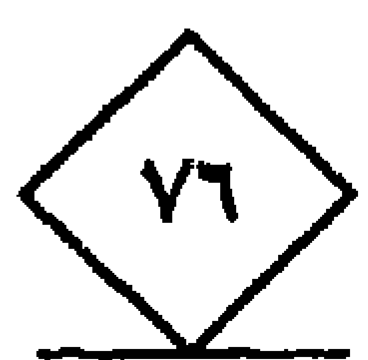


(١) دراسات مصرية: t.I, p. 191-194.

المزيد من السخرية من الحكايات البحرية التى ظهرت فى عصره. وعن الكاتب المصرى، الذى كان يعتقد فى وجود الجزر التى يعيش بها السعداء المبرؤون، فكان يوفق ما بين مغامرات بطله وبين قوانين الدين ومبادئه!

ألا يبدو ذلك كنكتة فائقة المبالغة؛ موجهة إلى المجال الثيولوچى؟!.. أى بمعنى أوضح هذه الرحلة التى يقوم بها ملاح بسيط إلى جزيرة الازدواج؟!.. فإن الإنسان المصرى، حالما يُتوفى، لا يمكنه الوصول إلى العالم الآخر إلا إذا قام برحلة عبور طويلة المدى. وبذا، فهو يبدأ إبحاره من النيل، فى يوم دفنه ذاته، ويتوجه نحو غرب أبيدوس، حيث تعمل "فوهة الشرخ" على إتاحة مروره إلى العالم الآخر(١). ولقد قدمته لنا النُّصب والمنشآت ممثلاً وهو يقود مركبه بنفسه، وينطلق ناشرًا جميع القلوع، فوق صفحة بحر الغرب الغامض. ولكن، لا يُقال لنا شىء عن هدف انطلاقه هذا. وحقيقة إننا نعرف، بصفة عامة، إنه يصل، فى نهاية الأمر إلى البلد الذى يخلط ما بين البشر(٢). وهناك، كان يعيش حياة مشابهة لحياته الدنيوية. ولكن، ليس لدينا سوى إلماحات باهتة عن موقع هذا البلد.

تُرى، هل يُعد الاعتقاد بوجود بحر الغرب، مجرد مفهوم ميثولوچى بحت؟!.. وهل يمكن أن نرى فى ذلك ذكرى لا شعورية عن الحقبة الموغلة فى القدم؛ عندما لم تكن أعمق أعماق الصحراء الليبية، أو ما تُسمى الآن "البحر بلا ماء"، قد جفت بعد. وكانت تكوِّن حول "وادى النيل" ما يشبه حزامًا من الأنهار والمستنقعات؟ عمومًا، مهما كانت الإجابة عن هذه الأسئلة، فإننى أعتقد تمامًا: إنه يوجد تشابه لا شك فيه مطلقًا بين رحلة جزيرة الازدواج، والرحلة التى يقوم بها المُتوفَّى فى بحر الغرب.



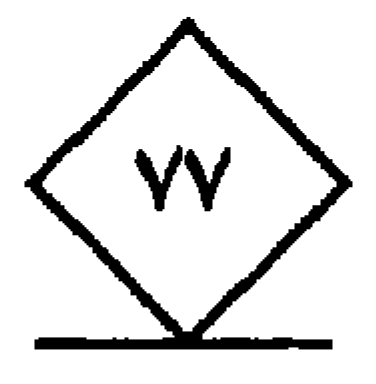
(١) دراسات مصرية: t.I, p. 121.

(٢) إنها نفس العبارة التى جاءت بالنصوص المصرية. "دراسات مصرية" t.I, p.135.

إن حكاية "سان بطرسبرج"، ليست، فى واقع الأمر سوى تحويل لبعض المعطيات الثيولوچية إلى معطيات روائية !!.. إنها الأولى، زمنيًا، ضمن تلك النصوص، التى ارتضى الخيال الشعبى المصرى من خلالها، بأن يمثل، بلا عاقبة أحد البشر الأحياء .. عند الموتى !.. ولعلنا نتساءل: هل عساه كان مضمونها الأول، مصرى المنبت؟!.. عمومًا، إذا لم يكن هكذا، فعلى الأقل، علينا أن نقر بأن النهج الذى عولج به، بداية من عهد الأسرة الثانية عشرة: يتطابق من كافة نواحيه بالمشاعر، والأعراف والتقاليد لدى الشعب المصرى.

قطعًا، إن المستقبل سوف يعطينا بعض بقايا هذا الأدب الروائى. ولكن، هل عساها ستعمل الاكتشافات الجديدة هذه لإرغامنا على الرجوع عن الاستنتاجات التى استُمدت من الدراسة التى عرفناها حتى يومنا هذا؟ وأنا أعرف جيدًا أن أى عالم مصريات، إذا تحدث لصالح مصر .. فإنه يُتهم فورًا بالترافع لصالح بيته. ومع ذلك، فهناك بعض الاقتراحات التى يمكن عرضها، دون أن يستنزل علىَّ لوم المتحيزين:

النقطة الأولى: التى لن يفكر أحد فى معارضتها، ألا وهى: أن التراجم المصرية لبعض الحكايات، تُعتبر أكثر قدمًا من تراجم القصص ذاتها التى عُرفت عند شعوب أخرى. وكذلك، فإن المخطوطات التى حفظت "حكاية الأخوين"، وقصة "نزاع أبوفيس وسقننرع" ترجع إلى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر من عصرنا الحالى. أما عن: "الغريق"، و"الحكاية الأسطورية ببرلين"، و"مغامرات سنوهى"، فقد حُررت، على أبعد تقدير، ما بين الألفية الثالثة والرابعة. ولعلنا نلاحظ أيضًا أن هذه التواريخ تُعد بمثابة الحد الأدنى لأننا نعرف جيدًا أن البرديات التى وصلت إلينا، هى فى الواقع.. نسخ من برديات أكثر قدمًا !!



والنقطة الثانية: إن الدراسة التى قمت بها، أتمنى أن تكون كافية لإقناع القارئ بأمانة وصدق هذه الحكايات، الشهيرة المعروفة؛ فيما

يتعلق بالتعبير عن عادات مصر وتقاليدها. وليس فقط الأحياء، بل وكذلك الأموات التى تتضمنها هذه القصص: يتصفون بسمات خاصة بالجنس المصرى، ولا يمكن أبدًا خلطهم مع الأحياء والموتى بأى جنس آخر من الأجناس.

جملة القول، مادام الأمر هكذا: يتحتم اعتبار مصر، إن لم تكن بمثابة أحد بلاد المنشأ للقصص الشعبية، فهى، على الأقل تُعد من البلاد التى تطبَّعت وتجنَّست فيها هذه القصص، من أكثر الأزمنة قدمًا: حيث اتخذت شكلاً أدبيًا فعليًا.

أعتقد أن الأكثر تخصصًا ودراية .. سوف يوقعون بإمضائهم على هذا الاستنتاج.

حكاية الأخوين

النسخة الأصلية من هذه القصة قد اشترتها فى إيطاليا مدام "إليزابث دوربنى"، من لندن. وفى عام ١٨٥٧، حصلت عليها إدارة المتحف البريطانى. ونُشرت بطريقة "الفاكسميلى"، تحت رعاية السيد "بيرش"، فى منشورات .Select papyri, in-folio t.II, pl. IX-XIX (1860). وتمت إعادة نشر موجزة لهذا "الفاكسميلى"، من الصفحات ٢٢-٤٠ بالـ l'Ae-gyptiche Chrestomatie للسيد" ليورينيش"، بڤيينا، فى عام ١٨٧٥، فى كتاب موجز صغير.

وتمت ترجمة النص وتحليله، للمرة الأولى، بواسطة: "أ. دى روچيه":

Notice sur un manuscrit égyptien en ecriture hiératique, écrit sous le régne de Merienphtah, fils du grand Ramsès, vers le XV siècle avant l'rechrtienne

ونُشر فى مجلة "Revue Archéologique" السلسلة الأولى t.VIII صفحة ٣٠، بطبعة منفردة، لدى Leleux فى عام ١٨٥٢ .in-8, 15 pp. E It pl.

ثم تتابعت بعد ذلك الترجمات والتحليلات من جانب كل من:

- C.W. Goodwin, "Hieratic Papyri", p.232-239, 1858, Cambridge Essays.



- "Lepage Renouf": on the Decypherment and Interpretation of Dead languages", in-80, London, 1863.

- Chabas, "Etude analytique d'un text difficile", dans "les Mélanges Agyptologiques", II serie, 1864, p. 182-230.

- Brugsch, "Aus dem Orient", 1864, p. 7, sqq.

- Ebers, "Aygypten und die Bücher Moses, in-8, 1868.

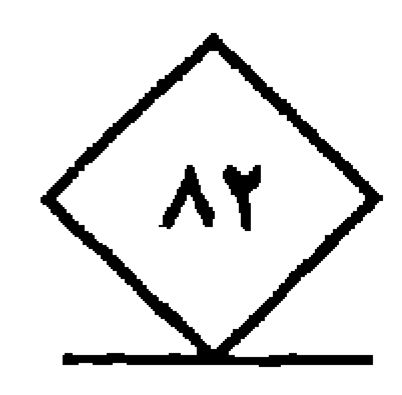
- Maspero, "le conte des deux freres", dans la Revue des cours litteraires, 1871, numero du 28 février, p. 780, sqq.

- Lepage Renouf, The Tale of the Two Brothers", dans les "records of the Past", t.II, p.137-152.

- Maspero, "Le Conte des deux fréres" dans la Revue Archeologique, II serie, XIX année (mars 1878), Tirage à part, chez Didier, Paris, in 8, 16, p.

يتكون المخطوط من تسع عشرة صفحة؛ بكل منها عشرة أسطر. ويُلاحظ أن الصفحات الخمس الأولى قد شُوهت إلى درجة فائقة. وبذا، فقد سُدت بعض الثغرات بمكان أو آخر، بالحبر، من جانب واحد من أوائل المالكين الحديثين للبردية. ولقد أُشير بكل دقة لهذه التصويبات غير الموفقة تمامًا، من خلال "الفاكسميلى". ولن تشكل أية صعوبة بالنسبة للمترجم.

لقد ذُكر بالبردية، لمرتين اثنتين اسم مالكها الفائق القدم: الأمير "سيتى مرنبتاح"، الذى اعتلى العرش فيما بعد باسم "سيتى الثانى". ويظهر إحدى الورقات، يبدو أن أحد معاصرى "سيتى"؛ أو ربما "سيتى" نفسه، قد دوّن سريعًا هذا البيان:

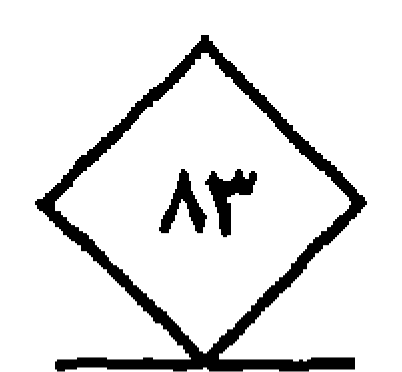


خبز كبير ١٧

خبز أقل جودة ٥٠

خبز من أجل المعابد ٦٨

الذى حـرر المخطوط هو الكاتب المدعـو: "أنانا" الذى قـدم لنا أيضًا "بردية أنستازى ٤". وهو من معاصرى حكم "رمسيس الثانى"، و"مرنبتاح"، و"سيتى الثانى". ولا بد أنه قد بلغ اليوم أكثر من ثلاثة آلاف سنة من عمره !!



قصة الأخوين

(الأسرة التاسعة عشرة)

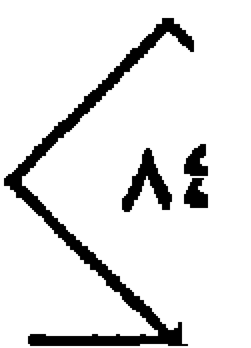
يُحكى، ذات مرة، أنه كان يوجد أخوان من أم واحدة وأب واحد[1]: (أنوب) "أنوبو"[2]، كان اسم الأكبر. أما الأصغر، فاسمه (باتا) "بيتيو"[3]. وكان لأنوبو بيت، وزوجة. أما أخوه، فكان يعيش معه كخادم. فهو المكلف بصناعة الملابس؛ ويُهرع خلف المواشى فى الحقل، ويقوم بالفِلاحة، وهو

---

(١) كان تعدد الزوجات مسموحًا به. بالرغم من أنه لم يُمارس كثيرًا فى أجواء العامة من الناس. وغالبًا، نجد أن أحد أثرياء القوم، بعد أن ينجب العديد من الأبناء من زوجة شرعية أو محظية؛ قد يزوجها لأحد تابعيه، الذى كان لديه هو الآخر بعض الأبناء. إذًا، ربما كان أمرًا ضروريًا، عند الإلماح إلى أخوين، أن نذكر: "أنهما كانا من أم واحدة وأب واحد". وكذلك، فإن حق تصدر الأم على الأب قد نص عليه القانون العام فى مصر: سواء كان الأمر يتعلق بالنبلاء أو العامة من الناس؛ فإن كل فرد يجب أن يبين بنوته لأمه قبل أبيه. فعلى سبيل المثال، قد يُسمى أحدهم: "أوسرتاسم" ابن السيدة "منخيت"؛ أو "سنوسرت" الذى أنجبته السيدة "تا-إمن". وقد يُهمل غالبًا اسم الأب.

(٢) السمة الأصلية للاسم الإلهى، الذى حوله اليونانيون واللاتينيون إلى "أنوبيس".

(٣) "بيتيو": اسم لملك أسطورى فى العصور السابقة للملك "مينا" وقد عرفه اليونانيون باسم "بيتيس".



الذى يدرس السنابل وينفذ كافة أعمال الحقل. لأن هذا الأخ الصغير كان عاملاً ممتازًا. ولم يكن له مثيل فى "الأرض كلها"(١). [فهذا ما كان يفعله].

وبعد عدة أيام(٢) كان الأخ الأصغر واقفًا خلف ثيرانه، وفقًا لعادته، كل يوم، عائدًا إلى بيته كل مساء، محملاً بكافة أنواع أعشاب الحقول. وهذا هو ما كان يفعله عند رجوعه من المزارع: فكان يضع العشب أمام أخيه الأكبر الذى يجلس مع زوجته. وكان يأكل ويشرب، وينام فى حظيرته، مع أبقاره وثيرانه الممتازة(٣). وعندما كانت الأرض تُضاء، ويتجلى يوم جديد، وبعد أن يتم خبز الخبز، كان يضعه أمام أخيه الأكبر. ثم يحمل بعض الخبز معه إلى الحقول. وكان يدفع ثيرانه وأبقاره لكى يجعلها تأكل فى الحقول. وحينما كان يسير خلف ثيرانه وأبقاره، كانت تقول له: "العشب الطيب فى هذا المكان". وعنه هو، فإنه كان يسمع كل ما تقوله. وكان

(١) كانت مصر مقسمة إلى جزءين (بس حوى)؛ إلى أرضين (تاوى) حيث يفترض أن كلاً منهما، تكون بلدًا متباينًا عن الآخر؛ بلد الشمال (تاميرى) وبلد الجنوب (تاريس أو تاكمت) وقد سُمى الاتحاد ما بين هذين القطرين، أحيانًا "كِمِت" أى الأرض السوداء، وأحيانًا أخرى "تاإترو": "الأرض قاطبة".

(٢) لا يجب أن تُفهم هذه العبارة حرفيًا، أى "الكثير من الأيام بعد ذلك"؛ لأنها لا تحتم بالضرورة فترة زمنية مديدة. فإنها صيغة غير أكيدة التحديد: لمجرد الإشارة إلى أن حدثًا ما قد لحق بحدث آخر، على الأقل بيوم واحد. ومن أجل التعبير عن الانتقال من يوم إلى آخر: كان يُقال: "عندما أُضيئت الأرض، وأهلَّ يوم آخر". وللاستمرار إلى ما بعد ذلك، يُضاف: "العديد من الأيام بعد ذلك".

(٣) فى إطار المشاهد الزراعية، قد يُرى غالبًا راعى البهائم وهو يسوقها أمامه. ومن هنا جاءت عبارة: "سيسير خلف الثيران"، أو "يقود الثيران" وهو يحمل على كتفيه نمطًا من السروج الشبيهة بتلك التى يضعها حاملو المياه فى أيامنا هذه: حيث تتدلى منها بعض القفف المملوءة بالعلف أو الحشائش، كما هو الحال بالنسبة لـ"بيتيو". وأحيانًا، قد يحمل بعض الأقفاص التى تحوى بداخلها أرنبًا بريًا أو قنفذًا أو صغير غزالة، أو إوزة، أو أى حيوان آخر، تم اقتناصه خلال اليوم. وعندما يعود راعى البهائم إلى بيته، كان يضع حمله أمام سيده. وغالبًا، قد يُمثل هذا الأخير واقفًا، أو جالسًا فوق مقعد وثير بجوار زوجته، مثل "أنوبو"، فى قصتنا هذه.



يقودها إلى مرعاها الجيد الذى ترغبه. ولذا، فإن البهائم، التى كانت معه قد أصبحت جميلة، جدًا، جدًا. وتكاثرت ولاداتها، كثيرًا كثيرًا.

وعندما قَدِم موسم الحرث، قال له أخوه الأكبر: "جهز لنا مركبتنا بدوابها المقرنة من أجل أعمال الحرث. فإن الأرض قد خرجت من الماء[1]. فهى جيدة للحرث. وبذا، فسوف نذهب إلى الحقل ومعنا البذور. فإننا سوف نبدأ الحرث غدًا صباحًا". فهذا ما قاله له أخوه الأكبر أن يفعله. وعندما أُضيئت الأرض، وانبثق يوم جديد، ذهبا إلى الحقل بعربتهما التى تجرها ثيرانهما المقرنة. وأخذا يحرثان؛ وامتلأ قلب كل منهما بالبهجة كثيرًا، كثيرًا، لعملهما. ولم يتخليا عن العمل.

وبعد عدة أيام، ذهبا إلى الحقل. وأخذا يحرثان الأرض. وهنا، استعجل الأخ الأكبر أخاه الأصغر، قائلاً: "اجرِ .. وأحضر لنا البذور من القرية!". ووجد الأخ الصغير زوجة أخيه الكبير، أثناء تمشيطها شعرها. وقال لها: "قفى!.. وأعطينى كمية من البذور، لكى أعدو إلى الحقول، فإن أخى الأكبر عندما بعثنى، قال لى: "لا تتأخر أبدًا !". فقالت له: "اذهب وافتح المخزن، وخذ ما يروق لك؛ حتى لا تتعطل تسريحتى". ودخل الشاب إلى حظيرته. وأخذ جرة ضخمة، فإنه كان يهدف إلى حمل الكثير من البذور، وملأها بالقمح، والشعير؛ وخرج فورًا.

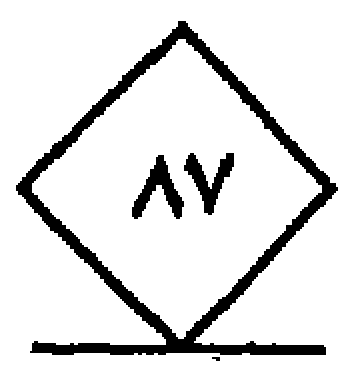
قالت له: "ما الكمية التى تحملها فوق كتفك؟!". فأجابها: "الشعير، ثلاثة مكاييل، والحنطة، خمسة مكاييل، والإجمالى ثمانية. فهذا ما أحمله فوق كتفى". هنا، وجهت إليه قولها: "قطعًا، هذه بطولة كبيرة تتمتع بها. فإننى ألاحظ قواك كل يوم". واجتاحت قلبها رغبة عاطفية. فقامت من مكانها. وأمسكت به، قائلة: "هيا، تعال!.. فلنسترح معًا، لمدة ساعة !.. وإذا منحتنى ذلك، قطعًا، سأحيك لك ملابس جميلة".

(١) إيماء إلى انحسار الفيضان.

ثار الفتى وكأنه نمر من الجنوب. واجتاحته ثورة عارمة، بسبب الكلمات السيئة التى قالتها له. واجتاحها خوف كثير كثير، فتحدث إليها قائلاً: "ولكنك قطعًا، بالنسبة لى كأم!.. ولكن زوجك بالنسبة لى كأب !.. ولكنه باعتباره أخى الكبير، فهو الذى يوفر لى معاشى وقوتى !.. آه !!.. هذه العبارات البشعة التى ألقيتها على مسامعى، لا تقوليها لى ثانيًا. وأنا، من ناحيتى، لن أقول لأحد، ولن أفشيها من فمى لأى إنسان" وحمل حمولته وتوجه نحو الحقول. وعندما وصل عند أخيه، أخذ الاثنان يؤديان عملهما.

فى وقت المساء، عندما رجع الأخ الكبير إلى بيته؛ وكان الأخ الأصغر خلف ثيرانه، بحمولته المكونة من كافة منتجات الحقل؛ ويسوق بهائمه أمامه، لكى يقودها لتنام فى حظائرها القائمة بالقرية. عندئذ، شعرت زوجة الأخ الكبير بالخوف من الكلمات التى تفوهت بها. وهنا، أخذت بعض الطلاء الأسود اللون، وعملت على أن تبدو، وكأن أحد الأشرار قد ضربها؛ حتى تقول لزوجها: "إنه أخوك الصغير هو الذى اغتصبنى!!"، حين يعود زوجها مساء، وفقًا لعادته كل يوم ..

وعندما حضر إلى بيته، وجد زوجته ممددة منتحبة ومكتئبة، وكأنها تعانى من عنف وقسر. ولم تسرع بسكب المياه فوق يديه، كالعادة كل يوم. ولم تضئ المكان أمامه؛ وبدا الظلام الدامس يخيم على أنحاء منزله. أما هى، فقد تمددت، وقد لُطخت ووسخت. هنا، قال لها زوجها: "من ذا الذى تكلم معك؟!"، فأجابته: "لم يتحدث معى أحد، سوى أخيك الصغير، عندما جاء ليأخذ لك البذور. وعندما وجدنى جالسة بمفردى، قال لى: "تعالى، أنت .. فلنسترح معًا لمدة ساعة، فلتزينى شعرك إذًا". لقد تحدث معى بهذه الكيفية. ولكننى، من ناحيتى، لم أنصت إليه أبدا!". وقلت له: "ألست أمك؟!.. وأخوك الأكبر، ألا يُعتبر بالنسبة لك كأب؟!". فاجتاحه الخوف وانهال علىّ ضربًا حتى لا أروى لك أبدًا ما حدث. ولكنك، إذا سمحت له أن يبقى فى قيد الحياة، فإننى أموت. فعليك أن تعرف: أنه



عند رجوعه مساء؛ وعرف إننى قد شكوت من عباراته السيئة .. فإن ما سوف يفعله، لأكيد!!".

وثار الأخ البكرى وكـأنه أحـد نمور الجنوب. وأخـذ يسن سكينه. وأمسكها فى يده. ووقف الشقيق الكبير خلف باب حظيرته؛ لكى يغتال أخاه الصغير، عند قدومه مساء لإدخال مواشيه فى الحظيرة. وعندما مالت الشمس للمغيب، وحمل الأخ الأصغر كافة أنواع أعشاب الحقول، وفقًا لعادته كل يوم، وتقدم، قالت له البقرة التى تمشى فى المقدمة، عند مدخل الحظيرة، لحارسها: "ها هو أخوك الأكبر يقف فى مواجهتك، ومعه سكينه، لكى يقتلك. اهرب إذًا من أمامه!!". وعندما سمع ما قالته البقرة التى تسير فى المقدمة، حدثته التالية بالمثل. فنظر من أسفل باب حظيرته، فتراءت له قدما أخيه الأكبر الذى كان يقف خلف الباب، وقد أمسك بسكينه فى يده. فوضع حمله على الأرض. وأخذ يركض بسرعة هائلة، وانطلق أخوه الأكبر وراءه ومعه سكينه، وصاح الأخ الأصغر نحو: "رع حورآختى"(1) وقال: "يا إلهى الخيِّر الطيب، إنك أنت الذى تحكم ما بين الباطل والحق!". واستمع "رع" لكافة ابتهالاته. وعمل "رع" على خلق مساحة هائلة من المياه، ما بينه وبين أخيه الكبير .. وكانت غاصة بالتماسيح. وكان أحدهما يقف بناحية، أما الآخر، فبالأخرى. ولمرتين متتاليتين، مد الأخ الكبير يده ليطعن؛ ولمرتين اثنتين لم يقتل أخاه: فهذا ما كان منه. وهنا، نادى عليه أخوه من الجانب الآخر، قائلاً:

---

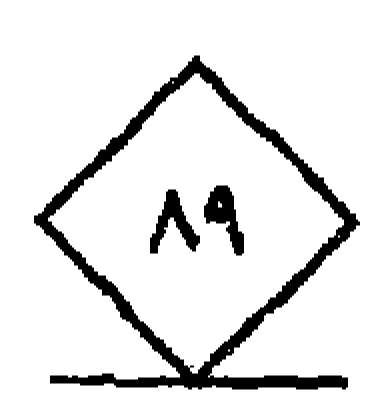
(1) كان المصريون يطلقون على الشمس اسم "رع"، مضافًا إليه حرف التعريف . وكانوا يعتقدون أن كل مرحلة فى دورتها بمثابة تجلٍّ خاص بكيانها، يتطابق به شكل ورسم متباين. فهم يسمونها "آتوم" قبل مشرقها؛ حر إم آخت (حورس فى الأفقين) عند بزوغها ثم غروبها؛ وكذلك "خبرى" (أى التى تتحول) أو "حريوقراط"، (حورس الطفل) عند الشروق، ثم "رع"، و"شو"، و"انحور"، و"حور"، فى الظهر، وكذلك "آتوم" عند غروبها. إذًا، فإن "رع حورآختى" هو بمثابة أسلوب أسطورى للتعبير عن الشمس. ومن خلال عبارة "حر إم آخت" كون الإغريق "حرماخيس" . ويُلاحظ أنه قد جُسد من خلال أبى الهول العظيم فى الجيزة، بجوار الأهرام.



"ابق هنا، حتى مطلع الفجر. وعندما يشرق قرص الشمس، سوف أترافع ضدك أمامه، حتى أعيد الحقيقة إلى نصابها. فإننى، لن أكون معك أبدًا. ولن أتواجد مطلقًا فى الأماكن التى ستمكث بها: سوف أذهب إلى "وادى السنط""(١).

عندما أُضيئت الأرض، وانبثق يوم آخر، أشرق "رع حورآختى" فلمح كل منهما الآخر. ووجَّه الشاب اليافع كلامه إلى شقيقه الأكبر، قائلاً: "لماذا أتيت ورائى لكى تقتلنى غدرًا، بدون أن تسمع ما يجب أن يقوله فمى؟! .. ولكننى، على أية حال أخوك الصغير!.. ولكنك أنت تُعتبر بالنسبة لى بمثابة أب. وكذلك زوجتك، أم لى! إذًا، فإنك عندما بعثتنى لكى أحضر بعض البذور .. بادرتنى زوجتك قائلة: "تعال. فلنُمض ساعة، ونضطجع معًا!!". ولكنها، قالت لك؛ على عكس ذلك". وأعلم أخاه الأكبر بكل ما حدث بينه وبين الزوجة وأقسم بـ"رع حورآختى" قائلاً لأخيه: "إنك تعقبتنى لكى تغتالنى غدرًا، وأمسكت بخنجرك فى يدك، وأنت واقف خلف الباب، متربصًا!!". وأخرج سكينًا خاصًا بقطع البوص .. وقطع عضوه الذكرى، وألقاه فى الماء، حيث التهمته سمكة كبيرة. ثم تداعى وأُغمى عليه! وهنا، أخذ الأخ الأكبر يلعن قلبه كثيرًا، كثيرًا !. وأخذ يبكى بصوت مرتفع. فإنه لم يكن يعرف كيف يمكنه الوصول إلى الضفة التى يقف عليها أخوه الأصغر .. بسبب التماسيح! .. وناداه أخوه الصغير قائلا: "إذًا، فقد تخيلت عملاً مشينًا !.. وهكذا، لم تتذكر صنيعًا طيبًا واحدًا، فقط من الأعمال التى فعلتها من أجلك!.. آه!!.. إذًا، فلتذهب إلى بيتك، وقم بنفسك برعاية مواشيك. فإننى لن أمكث أبدًا فى المكان الذى ستمكث فيه. وسوف أتوجه إلى "وادى السنط". ولذا،

(١) "وادى شجرة السنط": ربما يرتبط بالوادى الجنازى، حيث كان "امون"، إله طيبة، يتوجه لزيارته كل عام: لكى يبجل أباه ويجله؛ وكذلك أمه. فمن المعتقد أنهما قد دُفنا بالجبانة الواقعة هناك. ويُحتمل أن: "وادى شجرة السنط"، هو بمثابة اسم تصوفى للعالم الآخر.



إليك ما يمكنك عمله من أجلى: عليك أن تحضر لرعايتى والعناية بى، إذا علمت أنه قد وقع لى أمر ما. لأننى سوف أسحر قلبى. وسأضعه فوقف قمة زهرة شجرة السنط. وإذا اقتطفت السنط، وسقط قلبى على الأرض، عليك الحضور للبحث عنه. وإذا قضيت سبعة أعوام فى البحث عنه، فلا تمل ذلك. ولكن، حالما تجده، عليك أن تضعه فى آنية بها ماء بارد. وعندئذ، سأعيش ثانيًا، وسأرد الضرر الذى وُجِّه إلىّ. وكذلك، ستعرف أنه قد حدث لى أمر ما، إذا جاء أحد ما ووضع فى يدك جرة جعة تفيض بالفوران: هنا، لا تنتظر لحظة واحدة، بعد أن يحدث ذلك".

ورجع إلى وادى شجرة السنط. أما أخوه الأكبر، فقد عاد إلى منزله واضعًا إحدى يديه فوق رأسه؛ وقد غطاه التراب. وعند وصوله إلى بيته، قتل زوجته، وألقاها للكلاب، وبقى فى أسى وحزن على أخيه الصغير.

بعد مرور أيام عديدة على ذلك؛ كان الأخ الصغير فى "وادى السنط"، بدون أحد معه. وكان يمضى يومه فى صيد حيوانات هذه البقاع؛ ثم يتوجه للنوم مساء تحت شجرة السنط التى توجد على قمتها الزهرة التى وضع قلبه فوقها. وبعد مرور أيام عديدة، بنى لنفسه، بيده، فى "وادى السنط" منزلاً منفردًا بحديقة؛ مفعمًا بكل الأشياء الجميلة، لكى يستقر به. وفى ذات مرة، أثناء خروجه من بيته هذا، تقابل مع "تاسوع الآلهة"[1]؛ التى كانت متوجهة لتحديد مصائر أرضهم بأكملها[2]. وتحدث "تاسوع الآلهة" جميعًا فى وقت واحد، قائلين له: "آه !.. "بيتيو"، أيا ثور

---

(١) "الثالوث المصرى"، ثُلث كل من أفراده الثلاثة. وبذلك كون مجموعًا نظريًا، من تسع شخصيات إلهية. أُطلق عليها اسم "با أوت نترو" أى: "التاسوع الإلهى"، أو بعبارة أخرى، غير محددة تمامًا: "دورة الآلهة". وهذا التاسوع، كان كل فرد فيه يستطيع أن يتجزأ، لا نهائيًا إلى أشكال ثانوية. كما أنه يمثل الألوهية المصرية، من خلال وحدة متعددة؛ وفقًا لفكر ومفهوم المدارس الكهنوتية.

(٢) La Terre Entiere : مصر: الأرض كلها.

تاسوع الآلهة(١)، إنك تقيم بمفردك، بعد أن تركت بلدك أمام زوجة "أنوبو"، أخيك الأكبر؟!.. ها هى زوجته قد قُتلت. لأنك كشفت له عن الجناية التى ارتُكبت ضدك". وكان قلبهم يتألم من أجله كثيرًا .. كثيرًا. وهنا، قال "رع حورآختى" لـ"خنوم": "أوه !! فلتصنع امرأة من أجل "بيتيو" حتى لا يبقى وحيدًا"(٢). وصنع "خنوم"، من أجله رفيقة، لكى تمكث معه. وكانت مكتملة الأعضاء أكثر من أية امرأة على الأرض كلها. فإن كافة الآلهة نفخت فيها. وأقبلت الحتحورات السبع(٣)، لرؤيتها، وقلن جميعًا فى صوت واحد: "فلتمت ميتة شنيعة" وكان "بيتيو" يحبها كثيرًا .. كثيرًا: وأثناء وجودها بمنزله، حينما كان يقضى نهاره فى صيد حيوانات المنطقة، لكى يضعها أمامها، قال لها: "لا تخرجى من البيت؛ حتى لا يختطفك النهر. ولن أتمكن من إنقاذك منه. فإنى امرأة مثلك(٤). كما أن قلبى قد وضع فوق قمة زهرة شجرة السنط، وإذا ما وجده شخص آخر، فسوف أقاتله". وفتح لها قلبه بكافة أشكاله.

بعد ذلك ببضعة أيام، خرج "بيتيو" إلى الصيد، وفقًا لعادته كل يوم. وعندما كانت الزوجة الشابة خارج البيت للتنزه عند شجرة السنط،

(١) ربما يبدو أن صفة "ثور"، تبدو غريبة إلى حد ما، عندما يوصف بها شخص خصى. ولكن، علينا الا ننسى أن "بيتيو"، هو "أوزيريس". وحقيقة أنه، وهو فى الحياة الدنيا، قد استُوصلت مقدرته الذكورية؛ ولكن بالرغم من ذلك، فباعتباره إلهًا، لم يمنعه ذلك، من ممارسة التناسل. فمن خلال إحدى مراحل الأسطورة، أن "أوزيريس"، الذى شُوِّه ذكوريًا قد تمكن من تخصيب "إيزيس"، وأصبح أبًا لـ"حورس".

(٢) يتراءى فى هذه الجملة تغير مباغت للأشخاص. ففى الجزء الأول، نجد أن "رع" يخاطب "خنوم" ويقول له: "اصنع امرأة من أجل بيتيو"؛ وفى الجزء الثانى منها، يلتفت فجأة نحو "بيتيو" ويقول له: "حتى لا تكون وحيدًا".

(٣) "الحتحورات السبع"، اللاتى سوف نقابلهن ثانية فى حكاية "الأمير والقدر المحتوم"، يقمن، فى إطار الأسطورة المصرية بنفس الدور الذى تقوم به الجنيات فى حكاياتنا الخرافية.

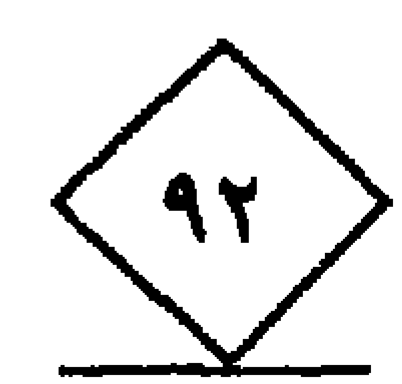
(٤) عسى الا ننسى أن "بيتيو" قد أصبح خصيًا.



القائمة على مقربة من بيتها.. هنا لمحت النهر يمتد ناحيتها، فأخذت تجرى أمامه. ودخلت منزلها. ونادى النهر على شجرة السنط؛ قائلاً لها: "يجب أن أستحوذ عليها". هنا قدمت شجرة السنط خصلة من شعرها، فحملها النهر معه إلى مصر.. ووضعها فى بيت الغسالين العاملين لدى الفرعون(1). وانبعث أريج خصلة الشعر فى ملابس الفرعون. ووقع عراك مع غسالى الفرعون؛ حيث قيل: "رائحة عطر فى ملابس الفرعون؟!!.. واستمر النزاع معهم كل يوم. ولم يعرفوا ماذا يفعلون. وهنا، جاء رئيس الغسالين إلى رصيف النهر. فإن قلبه، كان قد سئم كثيرًا، كثيرًا النزاعات التى تُثار ضده كل يوم؛ وتوقف. وبقى على حافة النهر، تحديدًا أمام خصلة الشعر الملقاة فى الماء. وجعل أحد الأفراد ينزل إلى النهر، وأُحضرت إليه خصلة الشعر. ووجد أن عبقها رائع كثيرًا، كثيرًا. فأخذها إلى الفرعون. واستدعى الكتبة ـ السحرة التابعين للفرعون. وقالوا لفرعون: "خصلة الشعر هذه، صاحبتها إحدى بنات "رع حورآختى" التى يُفعم فى كيانها رحيق جميع الآلهة؛ وأنت، يا من تبجلك الأرض الأجنبية، فليتوجه عدد من المراسلين نحو كافة الأراضى الأجنبية لإحضار هذه الفتاة. وعن المراسل الذى سوف يذهب إلى "وادى شجرة السنط"، فليصاحبه الكثير من الرجال من أجل إحضارها". وهنا، قال جلالته:

"هذا حسن جدًا، ما ذكرناه". وتم بعث المراسلين. وبعد مرور أيام عديدة. عاد الرجال الذين كانوا قد ذهبوا نحو "الأرض" الغربية ليقدموا تقريرًا لجلالته. أما عن الذين انطلقوا نحو "وادى شجرة السنط" .. فإنهم لم يعودوا: لقد قتلهم "بيتيو". ولكنه ترك واحدًا فقط لكى يقدم

(1) تعد كلمة "فرعون" بمثابة شكل مهوَّد، ثم محوَّر، للقب "برعا" أى "البيت الكبير". حيث وصف به جميع الملوك. وعن الأحرف: v . s . f فهى اختصار لعبارة: الحياة، والصحة، والقوة: التابعة دائمًا لاسم الملك أو لقبه.



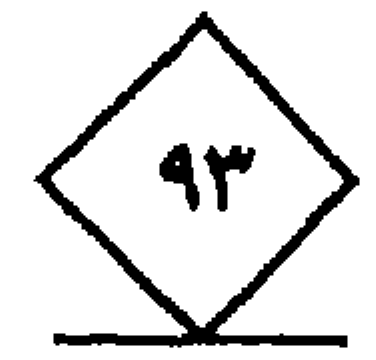
تقريرًا لجلالته. وأمر جلالته بأن يسافر عدد كبير من الرجال، والنبالين، ومحاربى المركبات .. لإحضار ابنة الآلهة. وقد صحبتهم إحدى النساء، وقدمت لها كافة الحُلى الرائعة التى تروق لكل امرأة ..

ووصلت هذه المرأة إلى مصر مع ابنة الآلهة. وابتهج الجميع فى كافة أنحاء الأرض. وأحبها جلالته كثيرًا، كثيرًا. وقُدمت[1]، لها التحية باعتبارها "المحظية المعظمة". وتحدث إليها الكثيرون لكى يبينوا لها المرتبة العظمى التى يتبوأها زوجها. وقالت لجلالته: "فلتُقطع شجرة السنط، وتُدمر!!". فأرسل عدة رجال ونبالين بكل الأدوات اللازمة من أجل بتر شجرة السنط. ووصلوا عند شجرة السنط. وقطعوا الزهرة التى كان يوجد فوقها قلب "بيتيو". وسقط ميتًا فى هذه الساعة الشؤم.

وعندما أُضيئت الأرض، وتبدَّى يوم جديد، بعد أن قُطعت شجرة السنط؛ وبينما كان "أنوبو" الشقيق الأكبر لـ"بيتيو" يدخل بيته، ويجلس، ثم يغسل يديه؛ قُدمت له جرة مليئة بالجعة، وكانت تجيش بالفوران والفقاعات. وأُعطيت له جرة أخرى من النبيذ: تعكرت أيضًا وتكدرت !!

هنا، سارع بأخذ عصاه وخُفيه، وكذلك ملابسه، ومعها أدواته. واتخذ طريقه نحو "وادى شجرة السنط". ودخل فى "البيت المنفرد ذى الحديقة" الخاص بأخيه الأصغر، فلمح أخاه الأصغر ممددًا فاقدًا الحياة. وأخذ يبكى وينتحب عندما شاهد أخاه الصغير مسجى ميتًا. وانطلق للبحث عن قلب أخيه الأصغر، تحت شجرة السنط، حيث كان أخوه الصغير يضطجع مساء. واستمر فى بحثه طوال ثلاث سنوات .. دون أن يعثر على شىء ..

وكان قد استهل العام الرابع، عندما رغب قلب أخيه الصغير فى الحضور إلى مصر؛ وقال: "سوف أذهب غدًا؛ فهذا ما قاله فى سريرة



(١) إشارة إلى: أن الفرعون قدم لها التحية.

قلبه[1]. وعندما أُضيئت الأرض؛ وطلع فجر يوم جديد، توجه "أنوبو" إلى أسفل شجرة السنط، وأمضى كل وقته فى البحث. وعاد فى المساء، وأخذ يتلفت حوله، للتفقد ثانيًا. فعثر على كرمة عنب صغيرة وأخذ يقلبها رأسًا على عقب. وهنا .. تبين أنها: قلب أخيه الصغير !.. فأحضر قدحًا من المياه الباردة وسكبها عليها. وجلس، كالمعتاد كل يوم. وعندما أسدل الليل ستره، كان القلب قد امتص المياه. وهنا، انتفض "بيتيو" بكافة أعضائه. وأخذ يحدق النظر فى أخيه الأكبر. ثم أُغمى عليه[2]. عندئذ، أمسك "أنوبو"، الأخ الأكبر بقدح الماء البارد حيث يوجد قلب أخيه الصغير. وتشرب هذا الأخير. ورجع قلبه إلى مكانه. وأصبح، بالنسبة له كما كان سابقًا. وعانق كل منهما الآخر. وأخذ كل منهما يتحدث مع صاحبه. وقال "بيتيو" لأخيه الكبير: "ها أنا، سوف أتحول إلى ثور ضخم، ذى شعر جميل. ولن يعرف أحد طبيعته[3]. أما أنت، فلتجلس فوق ظهرى

(١) جزأ المصريون القدماء الإنسان إلى عدة عناصر مختلفة متباينة؛ حتى حظى كل منها بحياة منفصلة عن الأخرى. فها هو القلب، وقد استدعاه "أوزيريس"، قاضى العالم السفلى، يحضر، بعد الوفاة، لكى يشهد على أفعال المتوفى. إذًا، فليس أمرًا مستغربًا مطلقًا، أن نجد أن قلب "بيتيو" وهو مازال فى قيد الحياة، بعد انهيار الشجرة التى كان قد وضع فوقها؛ ويقول: "سوف أذهب غدًا إلى مصر". وهنا، يضيف النص قائلاً: "فهذا ما قاله فى سريرة قلبه"؛ وهذا يُعد بمثابة تعبير اصطلاحى دارج فى مصر؛ ولكن، فى حالنا هذه، يتراءى غريب الشأن. وربما، يُفترض أن "القلب" ذاته هو الذى قال هذه الجملة "فى سريرة قلبه"!!

(٢) حرفيًا: "تهاوى قلبه"، أو "سقط قلبه". ولا شك أن التعبير الاصطلاحى، الذى يبدو كأمر طبيعى جدًا، يُعد هنا بمثابة لغو فعلى !!.. فإن قلب "بيتيو"؛ فى حالتنا هذه، لم يكن قد استقر بعد فى مكانه .. وبالتالى، لا يمكن أن يسقط متهاويًا !

(٣) هذا الثور هو أحد "الإبيس". كما أن "بيتيو" نفسه لم يكن سوى شكل شعبى لأوزيريس. وأيضًا، فإن الضرورة تحتم، أن يكون بجسم الإبيس بعض العلامات التصوفية المميزة، حُددت وصُورت بواسطة مختلف الألوان. وكان يجب أن يكون أسود اللون، وتبدو على جبهته بقعة بيضاء مستطيلة الشكل. أما على ظهره، فلابد أن يبين عن صورة نسر أو عُقاب منبسط الجناحين. وفوق لسانه شكل لجُعل. وبالنسبة لوبر ذيله، فإنه مزدوج. وفى واقع الأمر، أن الجُعل، والنسر، وكافة العلامات لم تكن توجد حقيقة ولكن الكهنة الذين كانوا قد أحاطوا بأسرار الإبيس، كانوا يتعرفون عليها.

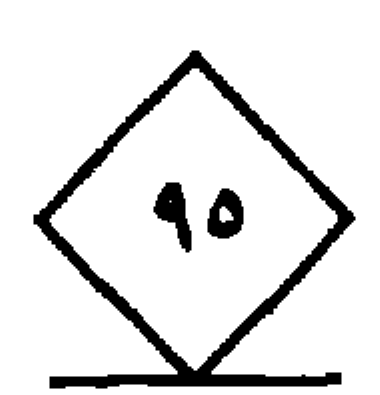
عند شروق الشمس. وعندما نصل إلى المكان الذى توجد به زوجتى، سوف أرد كل الأذى الذى أُلحق بى. ولتقم أنت بإرشادى إلى المكان حيث توجد به. وسوف تؤدى لك كافة الأشياء الطيبة. ستجمل بالفضة والذهب لأنك أحضرتنى إلى الفرعون: لأننى سأكون بمثابة معجزة كبرى. وسيسعد الجميع بى فى "الأرض- قاطبة"[1]؛ ثم تعود ثانيًا إلى بلدتك".

وعندما أُضيئت الأرض، وجاء يوم جديد، تحول "بيتيو"، إلى الهيئة التى كان قد ذكرها لأخيه الأكبر. وجلس "أنوبو" الشقيق الكبير، فوق ظهره، فى لحظات الفجر، ووصلا إلى المكان المحدد. وأعلن عن وجوده لجلالته. ونظر إليه جلالته كثيرًا، كثيرًا. وأمر بأن تُقام من أجله احتفالات كثيرة، كثيرة. وقال: "إنه لمعجزة كبرى قد تحققت!!". وساد السرور به فى الأرض قاطبة. وحمّل الشقيق الكبير بالفضة والذهب، ثم وصل إلى بلدته. كما مُنح الكثير من العاملين والماشية والممتلكات المتعددة. وقد أحبه الفرعون كثيرًا، كثيرًا؛ أكثر من أى إنسان آخر فوق "الأرض- كلها".

بعد عدة أيام، دخل الثور إلى مكان الحريم. ووقف بالمكان الذى تجلس به المحظية. وأخذ يتحدث إليها قائلاً: "انظرى، ها أنا بالرغم من ذلك فى قيد الحياة". فأجابته:

"أنت، من تكون؟". فقال لها: "أنا، بيتيو. لقد عرفت كيف تعملين على اقتلاع شجرة السنط بأمر الفرعون. حيث كنت أعيش؛ لكى لا أستمر فى الحياة. ولكن، انظرى، فإننى، بالرغم من ذلك ما زلت أحيا، إننى ثور".

(١) خلال الوقت الذى ينقضى ما بين موت أحد الإبيس، وتنصيب إبيس آخر، كانت مصر قاطبة تمر بفترة حداد. ولكن، عندما يُنصب الإبيس الجديد، سرعان ما ينقضى الحداد، وتُقام الأعياد الكبرى. فها هى القصة، تنقل، فى هذا الموضع صورة للعادات والتقاليد فى الحياة الواقعية.



واجتاح الخوف كيان المحظية كثيرًا، كثيرًا، من الحديث الذى ألقاه عليها زوجها. ثم خرج الثور من "الحريم". وحضر جلالته، لقضاء يوم سعيد معها: ودُعيت إلى مائدة جلالته. وكان طيبًا ودودًا معها، كثيرًا، كثيرًا. وقالت المحظية لجلالته: "أقسم بالإله، وقل: "ما سوف تقولينه، سأصغى إليه من أجلك". واستمع إلى كل ما قالته: "أتسمح لى بأكل كبد هذا الثور، فإنه ليس لازمًا لأى شىء". هذا إذًا ما قالته لجلالته. لقد ساد الحزن والأسى لما قالته كثيرًا، كثيرًا! بل وتسبب ذلك فى اعتلال قلب الفرعون، كثيرًا، كثيرًا ..

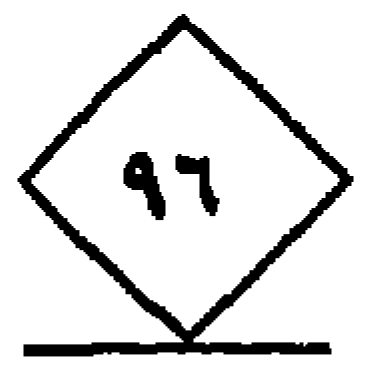
وعندما أُضيئت الأرض، وجاء يوم جديد، تم إحياء احتفال ضخم للقرابين إكرامًا للثور. كما بعث بأحد كبار ضباط جلالته، من أجل ذبح الثور .. وبعد أن ذُبح، وبينما كان محمولاً فوق أكتاف عدد من الرجال .. أخذ يحرك رقبته .. وأسقط قطرتَىْ دماء عند درجتَى المدخل الكبير الخاص بجلالته: أولاهما بإحدى ناحيتَى الباب الكبير المخصص للفرعون؛ أما الثانية، فمن الناحية الأخرى. ونبتتا فى هيئة شجرتَىْ سنط[1] ضخمتين، فائقتَى الجمال والروعة. وعلى الفور، قيل للفرعون:

"لقد بسقت شجرتا سنط ضخمتان وكأنهما معجزة لجلالته؛ خلال الليل، بجوار الباب الكبير الخاص بجلالته. إن الفرحة والبهجة قد سادت الجميع بسببهما، فى "الأرض - كلها"، كما تُقدم لهما القرابين.

وبعد مرور عدة أيام، خرج جلالته من البوابة [2]، المصنوعة من اللازورد؛ وقد أُحيطت عنقه بأكاليل من كافة أنواع الزهور. وكان واقفًا بعربته القرمزية؛ وخرج من فناء القصر الملكى، لكى يرى شجرتَى السنط

(١) كُرس السنط من أجل أوزيريس.

(٢) حرفيًا: "أشرق من البوابة". كان الملك هو ابن الشمس. ومن أجل الإشارة إلى أفعاله وتحركاته، تُستعمل العبارات ذاتها التى يُستعان بها عند التحدث عن مختلف مراحل الشمس.

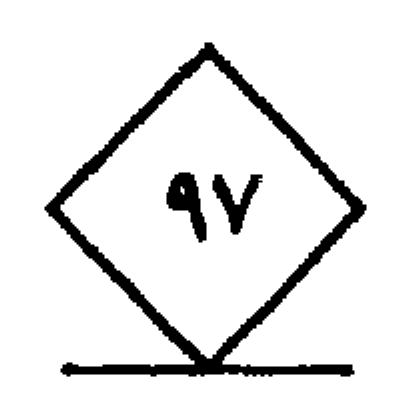


وخرجت المحظية فوق عربة يجرها جوادان، وراء الفرعون. وجلس جلالته تحت إحدى شجرتى السنط وجلست المحظية تحت الشجرة الأخرى. وعندما استقرت جالسة، أخذت الشجرة تتحدث إلى زوجته قائلة: "آه .. أيتها الغادرة الخائنة. ها أنا "بيتيو". وأنا فى قيد الحياة رغمًا عنك. لقد عرفت كيف تجعلين الفرعون يأمر باقتلاع شجرة السنط حيث كنت أعيش تحتها. ثم تحولت إلى ثور؛ وعملت على قتلى". وبعد عدة أيام، وخلال وجود المحظية أمام مائدة الطعام بجوار جلالته؛ وكان عطوفًا طيبًا إزاءها، قالت لجلالته: أقسم بالإله، وقل: "ما سوف تقوله لى المحظية، سأنصت إليه من أجلها". قل ! "واستمع إلى كل ما قالته. وقالت أيضًا: "فلتقطع شجرتى السنط. ولنصنع منهما ألواحًا خشبية جيدة!". واستمع إلى كل ما قالته. وبعد مرور عدة أيام، أرسل بعض العمال الماهرين؛ وتم اقتلاع الشجرة الخاصة بالفرعون. وكانت الزوجة الملكية، المحظية تقف، وقتئذ، فى هذا المكان، وتشاهد هذا العمل. وهنا، تطايرت قطعة نشارة صغيرة، ودخلت بفم المحظية. وابتلعتها وحملت. وتمت صناعة العروق الخشب؛ وأُعد منها ما كانت ترغبه المحظية.

وبعد أيام عديدة، وضعت طفلاً ذكرًا. وذهب البعض لإخبار جلالته: "لقد وُلد لك طفل ذكر". وأُحضر، وخُصصت من أجله عدة مراضع، وعدد من المهدهدات[1]. وعمت الفرحة فى "الأرض قاطبة". وبدأ الإعداد لإقامة احتفال. واستُهلت استعارة اسمه[2]. ولقد أحبه جلالته

(١) هذه المهمة المتعلقة بالمحركات أو المهدهدات، كان يقوم بها أحيانًا بعض الرجال، كمثل عدد من كبار موظفى الأسرة الثامنة عشرة، كانوا يُكلفون بها. ونجد أن كلمة خنوم التى تشير إليها، تعنى: "ينام"، أو "يغفو". إذًا، فإن الخنوم هو الشخص المنوط به تنويم الطفل. أما عن المونيت، فهى التى ترضعه.

(٢) ربما تعنى هذه الجملة الغامضة: بدء إضفاء اسم الأمير الشاب على الأطفال الذين وُلدوا من بعده. أو ربما، استُهل وضع اسمه فى بروتوكول المراسم العامة.



كثيرًا، كثيرًا، فور رؤيته. وتمت المناداة به: "ابنًا ملكيًا لـ"كوش"(1). وبعد عدة أيام، بوَّأه جلالته أميرًا ووارثيًا لـ"الأرض كاملة". ثم بعد ذلك، بعد أيام أخرى كثيرة، عندما مكث لسنوات مديدة أميرًا ووارثيًا "للأرض جمعاء"، حلَّق جلالته نحو السماء(2). وقال "بيتيو": "فليحضر إلىّ كبار مستشارى جلالته لكى أُعلمَهم بكل ما حدث بخصوصى. وأُحضرت إليه زوجته. فترافع ضدها أمامهم؛ فنفذوا حكمهم. وأُحضر إليه أخوه الأكبر، فبوأه أميرًا ووارثيًا "للأرض قاطبة". واستمر طوال عشرين عامًا ملكًا لمصر؛ ثم غادر الحياة الدنيا. وخلفه أخوه فى الحكم، منذ يوم تشييع الجناز.

لقد انتهى فى سلام هذا الكتاب بالأصالة عن الكاتب

حارس الخزانة "كاجابو"، المختص

بخزينة الفرعون؛ وكذلك الكاتب

"حورى" والكاتب مر إم آبت

وأعده الكاتب "إنانا"، رئيس

الكتب. وكل من يتحدث

عن هذا الكتاب سيكون

"تحوت" حليفه.

(1) أحد ألقاب أمراء العائلة المالكة. وتحديدًا، كان "الابن الملكى لكوش"، هو حاكم "كوش"، أى إثيوبيا.

(2) إحدى صيغ التورية الدارجة فى إطار الأسلوب المصرى الرسمى .. للدلالة على موت الملك.



حكاية
الأمير والقدَر المحتوم

تعد قصة "الأمير والقَدَر المحتوم"، إحدى المؤلفات التى تتضمنها "بردية هاريس، برقم ٥٠٠"، فى المتحف البريطانى. لقد تم اكتشافها، ثم ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية بفضل "م. جودوين"، بالـ:

- Transactions of the Society of Bibliocal Archeology, t.III, p.149-359.

وأيضًا بـ:

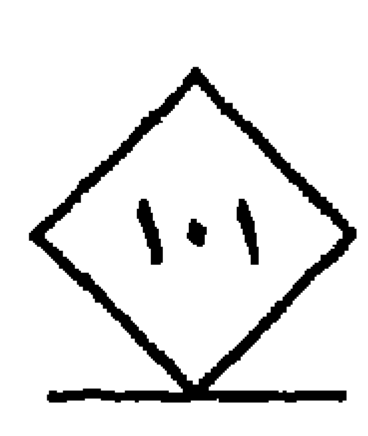
- Records of the Past, t.II, p.153-160.

ثم دُرست ثانيًا دراسة سريعة من جانب "م. شاباس"، وفقًا لترجمة "م. جودوين"،

- Comptes-rendus de l'Academie des inscriptions et belles-lettres, 1874, p.118-120.

وتم نشر هذا النص المصرى بواسطة "م. ماسبيرو"، بالجريدة الآسيوية، فى عام ١٨٧٨/١٨٧٧ ، وكذلك فى: "الدراسات المصرية"، t.I,p.1-47 .

ويُقال إن المخطوط كان سليمًا عند اكتشافه، فربما أنه قد شُوه، بعد ذلك بعدة سنوات، من جراء انفجار مصنع بارود، هدم جزءًا من المنزل، حيث كان يُحفظ، بالإسكندرية، فى مصر. وربما أن الاستنساخ الذى خطه "هاريس"، قبل هذه الكارثة، قد عمل على حفظ الأجزاء التى شُوهت فى الأصل. ولكن، لا يعرف أحد الآن، مكان تلك النسخة. وفى



الوقت الحالى، يتضمن "قصة الأمير والقَدَر المحتوم"، فى أربع صفحات ونصف. ولكن، يُلاحظ: أن السطر الأخير بالصفحة الأولى، والثانية، والثالثة؛ وكذلك السطر الأول بالصفحة الثانية، والثالثة والرابعة .. قد تلاشت. كما أن النصف الأيمن كله بالصفحة الرابعة، بداية من السطر الثامن حتى السطر الرابع عشر، قد مُحى أو أُتلف تقريبًا. وأخيرًا، فإن الصفحة الخامسة، بخلاف إصابتها ببضعة تخريقات طفيفة، قد فقدت، بالناحية اليسرى، ثلاثة أرباع كافة أسطرها.

بالرغم من ذلك، فإن لهجة هذا النص تبدو متناهية البساطة. كما يتراءى تسلسل الأفكار، سهل المتابعة. وبذا، فمن الممكن جدًا، سد معظم الثغرات؛ بل وإحياء رسالة السرد ذاته كاملاً. أما عن النهاية، فيمكن تخيلها، بفضل الدلالات التى تقدمها القصص المماثلة فى طبيعتها، والتى قد نقابلها فى بلاد أخرى.

وربما قد يصعب تحديد الحقبة التى يرجع إليها هذا النص تحديدًا دقيقًا. وعن مكان "المسرح"، فهو، على التوالى بمصر وشمال سوريا حيث يُكتب اسمها "نهارينا"، كما هو الحال فى بردية "أنستازى رقم(٤) 1.4., PL.xv". كما لا يمكننا تحديد تاريخ تأليف هذا العمل، أقرب من الأسرة الثانية عشرة؛ أى القرن السابع عشر قبل الميلاد. وخلاف ذلك، فإن شكل الأحرف، والاستعانة ببعض أساليب الربط، وظهور أنماط جديدة من تركيب الكلمات نحويًا ـ تشير بكل تأكيد إلى برديات طيبة فى عصر آخر الرعامسة.

إذًا، فإننى أميل إلى تحديد التحرير الأول لهذه القصة، أو على الأقل النقل الذى قدمته لنا "بردية هاريس"، وكتابة المخطوط - إلى حوالى أواخر أو وسط الأسرة العشرين.

الأمير والقدَر المحتوم

(الأسرة العشرون)

فى مرة من ذات المرات، كان هناك ملك(1)، لم ينجب أبدًا أبناء ذكورًا. ولذلك، اجتاح قلبه الحزن والأسى. ولهذا، طلب ولدًا من آلهة زمانه. وبذا، قضوا بأن ينجب ولدًا. ونام مع زوجته أثناء الليل؛ وعندئذ حملت منه. وفى نهاية أشهر الولادة، ولد طفل ذكر. وعندما حضرت الحتحورات لكى يقدِّرن له قَدَره، قلن: "فليمت بسبب التمساح، أو الثعبان، أو حتى الكلب!!..". وعندما استمع إليهن الناس الذين كانوا يرافقون الطفل، أسرعوا ليخبروا "جلالته". ولذلك، حزن قلب جلالته وتألم. ولجأ جلالته، من ناحيته لبناء منزل شاهق فوق الجبل. وأمده بالرجال وكافة الأشياء الطيبة من دار المُلك .. لأن الطفل لم يكن يخرج منه أبدًا. وعندما نما عود الطفل، صعد فوق سطح بيته(2). ورأى كلبًا

(1) لا يذكر الراوى هنا: ما البلد المعنىّ. ولكنه يحدد، والد بطل القصة، فقد استعان بكلمة: "سوتون" أى اللقب الأصلى لملوك مصر. إذًا ففى مصر تدور كافة الأحداث التى سُردت فى بداية القصة.

(2) تميزت أسطح البيوت المصرية بأنها مستوية تمامًا. وتكون مثل تلك الخاصة بالمعابد، أسطحًا منبسطة تتيح الجلوس واستنشاق النسيم. وأحيانًا قد يُقام فوقها بعض الجواسق الخفيفة. بل وأحيانًا، كما هو الحال فى معبد دندرة، بعض الأبنية الصغيرة الحجرية لتكون بمثابة مقصورة؛ للمراقبة.



يسير خلف رجل ماش فى الطريق. فقال لوصيفه المرافق له: "من الذى يسير خلف الرجل الماشى فى الطريق؟!". فقال له الوصيف: "إنه كلب!". وقال له الولد: "فلتحضروا لى مثيلاً له!". فتوجه الوصيف ليخبر جلالته بذلك. وهنا، قال جلالته:

"أحضروا له كلبًا صغيرًا عاديًا، حتى لا يجتاح الحزن قلبى!". وبذا، أحضروا له الكلب.

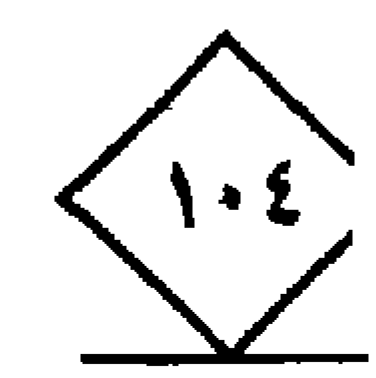
وبعد أن توالت الأيام على هذا الأمر، وعندما اكتملت كافة أعضائه، بمرور الزمن، بعث برسالة إلى أبيه، يقول فيها:

"هيا !!.. لماذا أكون مثل التنابلة؟! بما أننى قد قُدرت لى ثلاثة أقدار مكدرة ومزعجة .. فلماذا، لا أتصرف وفقًا لإرادتى؟! وأما عن الإله، فليتصرف وفقًا لما يريد "!. واستمع جلالته لكل ما قال. ومنحه كافة أنواع الأسلحة، وأعطاه أيضًا كلبه لكى يتبعه. وتم نقله إلى الشاطئ الشرقى(١). وقيل له: "حسنًا، اذهب إلى أى مكان ترغبه !". ولقد كان كلبه معه. ومضى فى سبيله إذًا، وفقًا لنزوته، عبر كافة أنحاء البلد. حيث كان يعيش على باكورة طرائد البلد: ووصل سريعًا إلى أمير "نهارينا". ولم يكن أميرها، قد أنجب سوى ابنة فقط. وفى هذه الحال، شيد من أجلها بيتًا، كانت نوافذه السبعون ترتفع عن سطح الأرض بمسافة سبعين ذراعًا. وأمر بإحضار جميع أبناء أمراء بلاد "خارو"(٢).

---

(١) الساحل الشرقى هو سوريا، بالنسبة لمصر. وسوف نلاحظ، فيما بعد أن الأمير قدم إلى: "نهارينا" ويلاحظ أن Nabaranna الشهيرة باسم "نهارينا"، وليست كما اعتقد البعض أن بلاد النهرين هى سوريا الشمالية، بشمال حمص ؛ ما بين نهر الفرات ونهر العاصى.

(٢) فلسطين.



وقــال لهم: "إن الذى ســوف يصل إلى نافــذة ابنتى، ســوف تُمنح له كزوجة"(١).

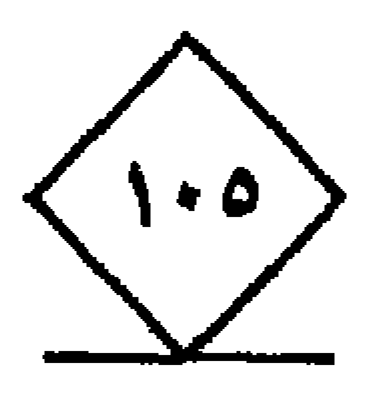
وبعد مرور أيام كثيرة على هذه الأحداث، بينما كان أمراء سوريا منهمكين فى مشاغلهم اليومية، مر أمير مصر، مصادفة بالمكان الذى كانوا يوجدون فيه. واصطحبوا الأمير إلى دارهم. وأخذوه إلى الحمام، وقدموا خليط العلف لجياده. وعملوا كل شىء من أجل الأمير: فقد عطروه بالطيب.. وضمخوا قدميه بالزيوت العطرية. ومنحوه بعضًا من خبزهم، وقالوا له وهم يتبادلون معه الحديث: "من أين جئت، أيها الشاب الطيب؟!". فقال لهم: "إننى ابن أحد ضباط المركبات الحربية (٢)، فى مصر. وقد تُوفيت أمى وتزوج أبى بامرأة أخرى. وعندما أنجبا أطفالاً، بدأت، تضمر لى الكراهية والبغضاء. ولذلك، فقد هربت منها". فاحتضنوه بين أذرعهم؛ وأشبعوه تقبيلاً.

وهكذا، فبعد أن مر على ذلك أيام كثيرة، قال للأمراء: "ماذا عساكم تفعلون هنا؟!". فقالوا له: "إننا نمضى وقتنا فى عمل ذلك: وإننا نطير؛ ومن يصل إلى نافذة ابنة أمير "نهارينا"، فسوف تُمنح له كزوجة". فقال لهم: "إذا سمحتم، سوف أتضرع إلى الآلهة. وسأذهب للطيران معكم".

---

(١) ربما قد نتعجب، أن الأمير، الذى كان يجهل حكاية أميرة نهارينا .. قد حضر إلى البلد التى تقيم بها، لكى يطير من أجل الفوز بها. وبذلك، نرى أن المؤلف المصرى، قد فكر فى أن يهمس، مسبقًا فى أذن القارئ بما سوف يحدث! .. وذلك، على غرار ما وقع فى "قصة الأخوين": حيث كان السحرة التابعون للفرعون، يجهلون تمامًا المكان المحدد الذى توجد به التى يرغب فيها الفرعون. ولذلك، بعثوا بمراسلين إلى كافة المناطق، وأمروا، بوجه خاص بتعيين مصاحبين لكل مراسل يتجه إلى "وادى السنط" .. وكأنهم كانوا يعرفون أنه المكان الذى تقيم به ابنة الآلهة هذه.

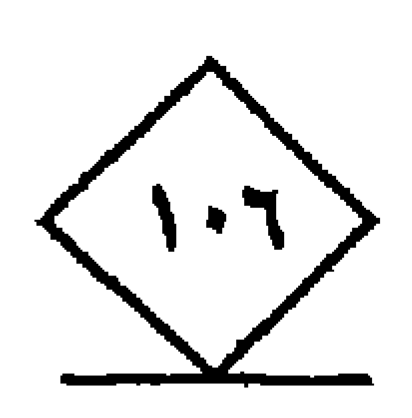
(٢) ترجمها "جودوين"، إلى كلمة "فارس" . أما عن كلمة "سينى" فى النص، فهى تشير إلى ضابط مركبات، أقل مستوى. ولكننا، لا نستطيع الآن، تحديد مكانه فى إطار التدرجات العسكرية فى مصر.



فتوجهوا للتحليق طائرين؛ كما اعتادوا على ذلك كل يوم. ووقف الأمير بعيدًا لكى يشاهد. وأدارت ابنة زعيم "نهارينا" وجهها نحوه. وبذا، فبعد أن مر على ذلك عدة أيام، توجه الأمير لكى يطير مع أبناء الزعماء. وبدأ يطير محلقًا. ووصل إلى نافذة ابنة زعيم "نهارينا". فمنحته قبلة، بل وقبلت جميع أعضاء جسمه.

واتجه الجميع لكى يسعدوا قلب والد الأميرة. وقالوا له: "لقد استطاع أحد الرجال أن يصل إلى نافذة ابنتك. وهنا سأل الزعيم المبعوث قائلاً: "ابن أىٍّ من الأمراء؟!". فقيل له: "إنه ابن أحد ضباط فرَق الفرسان الحربية، جاء لاجئًا من مصر؛ هربًا من زوجة أبيه، عندما أنجبت أبناء". وهنا، استشاط أمير "نهارينا" غضبًا، وقال: "هل أعطى ابنتى لهارب من مصر؟! .. فليعد إلى بلده!". وذهب البعض ليقولوا للأمير، ارجع إلى المكان الذى أتيت منه. ولكن الأميرة تشبثت به، وأقسمت بالإله، قائلة: "بحق رع حورآختى إذا انتزعه أحد من بين يدى، فلن آكل أبدًا، ولن أشرب مطلقًا، وسأموت فورًا". وتوجه المراسل ليردد كل ما قالته على مسامع أبيها. وهنا، أرسل الأمير بعض الرجال لقتل الشاب الصغير، وهو فى بيته. عندئذ، قالت لهم الأميرة: "قسمًا بـ"رع" إذا قُتل، عند مغرب الشمس، فسوف أموت. ولن أبقى ساعة واحدة فى قيد الحياة، بدلاً أن أبقى بعيدًا عنه!". وذهب البعض لإخبار أبيها. حينئذ، أمر الأمير بإحضار الفتى مع الأميرة. وهنا، انتاب الشاب رعب شديد، عند وصوله أمام الأمير. ولكن، ها هو هذا الأخير، قد احتضنه، وانهال عليه تقبيلاً. ثم قال له: "قُص علىّ: من تكون. فإنك الآن، بمثابة ابنى!". فرد عليه الشاب:

"إننى ابن أحد ضباط فرقة الفرسان العسكرية بمصر. ولقد تُوفيت والدتى. وتزوج أبى بامرأة أخرى. ولكنها بدأت تضمر لى البغضاء والكراهية. وأنا، من ناحيتى، هربت منها". فمنحه الزعيم ابنته كزوجة



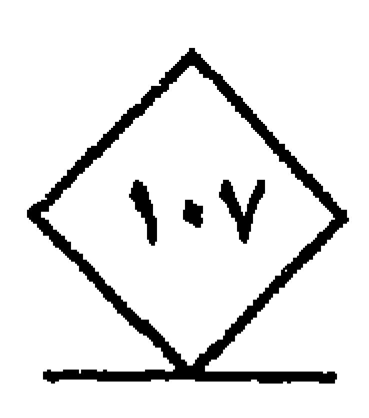
له. ووهبه بيتًا وبعض الأتباع، وحقولاً ومزارع، ومواشى وبهائم؛ وكافة أنواع الأشياء الطيبة.

وبعد مرور الأيام على هذا النحو، قال الشاب لزوجته: "لقد قُدرت لى ثلاثة أقدار منذ الأزل: التمساح، والثعبان، والكلب". فقالت له: "فليُقتل الكلب الذى معك". فأجابها: "من فضلك؛ لن أقتل كلبى، الذى ربيته وهو ما زال صغيرًا !". ولكنها كانت تخشى من كل شىء على زوجها كثيرًا، كثيرًا . ولم تتركه يخرج بمفرده. ثم [.. ....] تمت مرافقة الأمير الشاب إلى أرض مصر، حتى يتنزه فى أنحاء هذا البلد[1]. ولكن، ها هو تمساح النهر .. [يخرج من النهر[2]] ويصل إلى وسط الضاحية التى يوجد بها الأمير الشاب. وتم حبس التمساح فى مكان .. يوجد به عملاق جبار. ولم يكن هذا الأخير ليسمح مطلقًا بخروج التمساح. وعندما كان التمساح يخلد إلى النوم، كان العملاق يخرج للتنزه. وحالما تشرق الشمس، كان العملاق يرجع إلى البيت. وهكذا الحال كل يوم. بحيث تكون هناك إجازة مداها شهر ويومان.

وبعد مرور الأيام على هذا الشأن، مكث الأمير فى منزله لكى يتسلى وينشرح. وعندما أرخى الليل ستره، نام الأمير فوق حصيرته. وغلب النوم على كل أعضائه. وقامت زوجته تملأ [....]. وحينئذ، خرج ثعبان من جحره، لكى يلدغ الأمير. وهنا، فإن زوجته كانت بجواره، ولكن غير نائمة. وقدمت الخادمات بعض اللبن للثعبان فشربه. وانتشى، وبقى راقدًا وبطنه إلى أعلى. وبذا، قامت الزوجة بقتله بطعنات من حربتها. بعد ذلك، أُوقظ الزوج الذى شمله العجب والدهشة. وقالت له الزوجة:

(١) ربما من أجل الصيد فى هذا البلد.

(٢) وكما هو الحال فى قصة الأخوين، لم يطلق المؤلف المصرى اسمًا على النهر المعنىّ هنا. واستعمل كلمة "إيام"، أى: النهر. واكتفى بذلك. وقطعًا، لم تحظ مصر بنهر آخر خلاف النيل. وبذلك، فإن القارئ المصرى، كان يفهم فورًا، من خلال العبارة النوعية "إيام" .. أن الأمر يتعلق بكل تأكيد بنهر النيل.

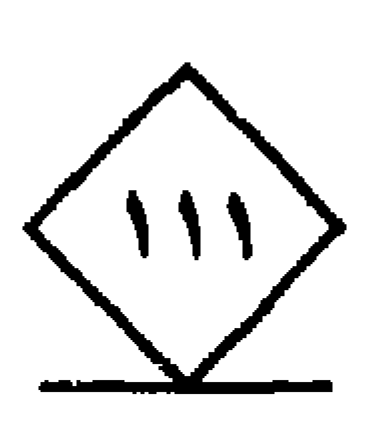


حكاية ساتنى - خع إم واس

يحمل مخطوط هذه القصة تاريخ العام الخامس والثلاثين لحكم أحد الملوك .. الذى لم يُكتب اسمه أبدًا !!.. فربما قد يتعلق الأمر هنا بـ"بطلميوس الثانى، فيلادلفوس"، (٢٨٤-٢٤٦ ق.م.)، أو "بطلميوس الثامن، سوتير الثانى"، (١١٧-٨١ ق.م.). فهذان الاثنان قد مكثا، الواحد، تلو الآخر على العرش فترة تزيد على خمسة وثلاثين عامًا. وربما أن نمط الكتابة، وخصائص اللغة يجعلاننى أميل إلى أول هذين الأميرين.

ولقد عُثر على هذا المخطوط فى طيبة، عام ١٨٦٤، بجبانة دير المدينة. ثم نُشر فى شكل "فاكسميلى" من جانب "مارييت": بردية متحف بولاق، ١٨٧١، t.I, pl.29-32. وهو يتكون، بدئيًا من ست صفحات مرقمة من ١-٦ .. وفُقدت الصفحتان الأوليان. أما فى بداية كافة أسطر الصفحة الثالثة، فقد تلاشت .. وقد أُشير إليه، وتُرجم للمرة الأولى من جانب كل من:

- Brugsch, *Le roman de Stnau contenu dans un papyrus démotique du Musée égyptian à Boulaq,* dans la Revue archéologique, IIe serie, t.XVI (sept. 1867), p.161-179.



ثم فيما بعد:

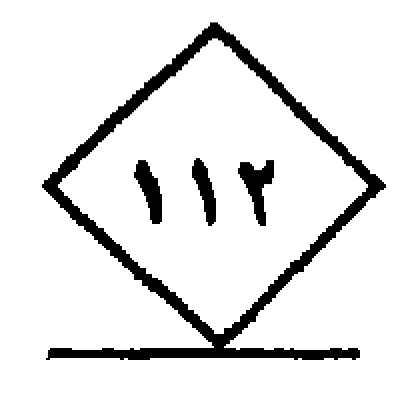
- Lepage-Renouf, *The Tale de Setnau* (from the version of Dr. Heinrich Brugsch-Bey), dans les *Records of the Past,* 1875, t.IV, p. 129-148.

- E. Révillout, *La Roman de Setna, Etude philologique et critique avec traduction mot à mot du texte démotique introduction historique et commentaire mot à mot du texte démotique, introduction historique et commentaire grammatical.* Paris, Leroux, 1877, in-8 (autographié), 224 p., 2e 3e livraisons (la Ire livraison n'apoint paru).

- G.Maspero, *Une page du Roman de Satni, transcrite en hieroglyphes, dans la Zeitchrift fur Aegptische Sprache und Alterthumskunde, 1877, p.132-146; 1878, p.* 72-84; 1880, p. 15-22.

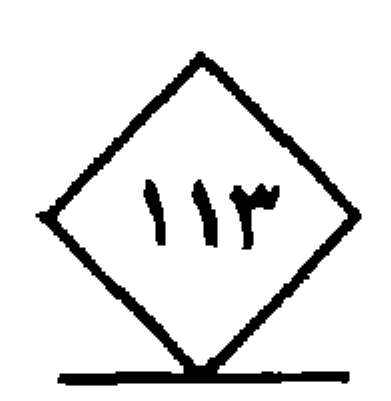
- Brugsch, *Setna, ein altaegyptischer Roman von H. Brugsch-Bey, Kairo-Sendschreiben an D. Heinrich Sachs-Bey zu Kairo,* dans la Deutsche Revue, III, I (novembre 1878), p. 1-21.

- G.Maspero, traduction du conte entier, moins les huit premières lignes du premier feuillet restant, dans le *Nouveau fagment de commentaire sur le second livre d'Hérodue.* Paris, Chamerot, 1879, in-80, de la page 22 a la page 46. Lue à l'Aassociation pour *l'encouragment des études grecques en France*, en mai-juin 1878, publiée dans *l'Annuaire* de cette Siciéte pour 1878.



- E. Révilout, *Le Roman de Setna,* dans la *Revue archéologique*, 1879. Paris, Didier, in-80, 24 p.et I planche, Tirage à part.

- Tout le dèbut, jusqu' au point ou le manuscrit commence, est restitué, autant que possble, avec les formules mêmes employées dans le reste du récit. Une not indique ou finit la restitution et ou commence ce qui subsiste du conte original.



قصة "ساتنى - خع إم واس"

(العصر البطلمى)

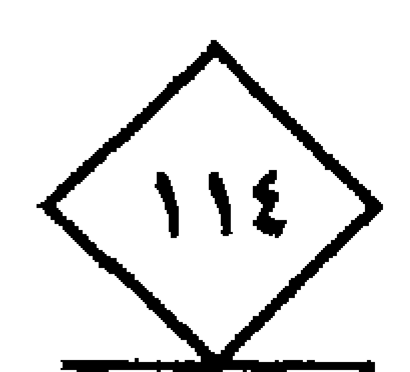
فى مرة من ذات المرات، كان يوجد ملك، اسمه "أوسر ماعت رع"(١). وكان يوجد لهذا الملك ابنان، من أم واحدة. والابن الأكبر، كان اسمه: "ساتنى خع إم واس". أما اسم الثانى، فهو "عن حاحوررو" . وكان "ساتنى"، مثقفًا للغاية، فى كافة المجالات. فكان يمكنه قراءة الكتب المدونة بالكتابة المقدسة، وكتب "بيت الحياة المزدوج"(٢). وكذلك الكتابات المنقوشة فوق اللوحات، وجدران المعابد. كما كان عليمًا بقوة التمائم والطلاسم. ويفهم فى إعدادها وتحرير كتابات قوية المفعول. فقد كان ساحرًا لم يوجد له مثيل أبدًا على أرض مصر.

وفى ذات يوم، كان بصحبة علماء الملك. وكان يتحدث معهم عن الكتابات والقوة الكامنة بها. وفجأة، انطلق أحدهم وهو رجل مسن للغاية ضاحكًا مقهقهًا. فقال له "ساتنى":

---

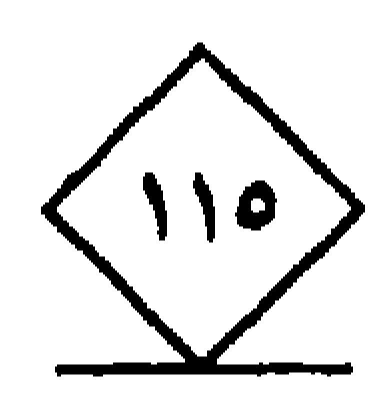
(١) أذكر، مرة أخرى للقارئ، أن هذه البداية هى بمثابة تصويب وإصلاح، وأن النص الأصلى للصفحتين الأوليين قد دُمر.

(٢) يعنى: "الكتب السحرية بالمكتبة الكهنوتية.



"لماذا تضحك منى؟! .. ألا يمكننى أنا أيضًا أن أضحك عندما تتحدث عن بعض الكتابات المنعدمة التأثير والقوة؟!..". "إذا كنت حقًا ترغب فى قراءة مكتوب فعال ومؤثر، تعال معى، سوف أقودك إلى المكان الذى يوجد به هذا الكتاب: الذى كتبه "تحوت" بخط يده ذاته .. وسوف يبوّئك فورًا مكانة تحت الآلهة. فهو يتضمن وصفتين مكتوبتين به: إذا تلوت أولاهما، فسوف يمكنك سحر السماء، والأرض، والجحيم، والجبال، والمياه؛ وستتعرف على طيور السماء، والزواحف، جميعها، مهما كانت. وسترى الأسماك، لأن القوة الإلهية ستجعلها تطفو على سطح الماء. أما إذا قرأت الصيغة الثانية، وحتى إذا كنت فى المقبرة، فسوف تتخذ الشكل الذى كنت عليه فوق الأرض. بل وسترى الشمس وهى تشرق فى السماء، فى دورتها الإلهية؛ والقمر وهو يبدو فى هيئته عند ظهوره". هنا قال "ساتنى" للرجل المسن: "بحق الحياة فلتقل لى ما ترغب فيه، وسآمر بإعطائه لك. ولكن، خذنى إلى حيث يوجد هذا الكتاب !". فقال العجوز لـ"ساتنى": "إن الكتاب الذى أحدثك عنه ليس ملكى. إنه موجود فى وسط الجبانة فى مقبرة "نفركابتاح"، ابن الملك "مرنبتاح"(١). وإياك أن تأخذ منه هذا الكتاب. لأنه سوف يجعلك، ترده وقد أمسك بمذراة فى يده؛ وآتون مشتعل فوق رأسه". وفى الوقت الذى كان العجوز يتحدث خلاله إلى "ساتنى"، كان هذا الأخير .. لا يعرف فى أى مكان بالعالم، كان يوجد !!.. وتوجه إلى الملك. وقال أمام الملك كافة العبارات التى قالها له الكاهن. فقال له الملك: "ماذا عساك ترغب؟!" فأجابه: "اسمح لى بالنزول إلى قبر "نفركابتاح"، ابن الملك "مرنبتاح"، وسوف أصطحب "عن حاحوررو (٢)، أخى؛ وسأحضر هذا الكتاب. وتوجه إلى جبانة منف مع أخيه. وأمضيا

(١) من خلال ترجمته الأخيرة، ذكر "بروجش"، اسم "مرخبريتاح باعتباره اسم هذا الفرعون. ولكن، يبدو لى أن القراءة الأولى "مرنبتاح" أو "مينى بتاح" هى الصائبة.
(٢) ذكر "بروجش"، "عان بوحررو" (١٨٦٧) أو: "عن بوحررو" (١٨٧٨) : وهذا مجرد تباين فى النسخ.



ثلاثة أيام وليالٍ فى البحث بين المقابر القائمة فى جبانة منف. حيث كانا يقرآن لوحات بيت الحياة المزدوج، ويتلوان الكتابات التى نُقشت عليها. وفى اليوم الثالث، تعرفا على المكان الذى يرقد به "نفركابتاح". وعندما تبينا المكان المسجى به، ألقى "ساتنى" عليه، مكتوبًا ما. وهنا، تراءى فراغ بالأرض. وهبط "ساتنى" إلى المكان الذى يوجد به الكتاب.

عندما هبط "ساتنى" فى المقبرة حيث يرقد "نفركابتاح"، وجدها مضاءة وكأن الشمس تدخلها. فإن الضياء كان ينبعث من الكتاب؛ وكانت تضىء كل ما حوله(١). ولم يكن "نفركابتاح" بمفرده فى المقبرة. ولكن زوجته "أحورى" و"ماع خونسو"(٢)، ابنه كانا معه. فبالرغم من أن جثمانيهما كانا مسجَّيين فى "قفْط"، فإن قرينيهما(٣) كانا معه.

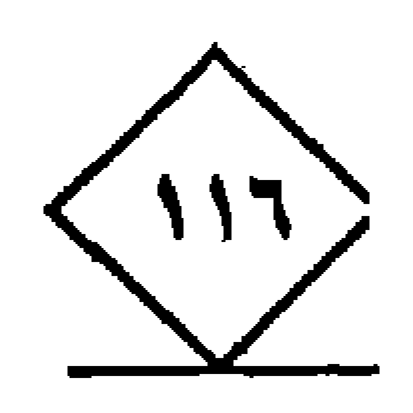
بفضل خاصية وميزة كتاب "تحوت"، فعندما دخل "ساتنى"، إلى المقبرة، قامت "أحورى" وقالت له: "أنت، من تكون ؟!"، فرد عليها: "إننى "ساتنى خع إم واس"، ابن الملك "أوسرماعت رع". ولقد حضرت من أجل الحصول على كتاب "تحوت"، هذا، الذى أراه قائمًا ما بينك وبين "نفركابتاح". فأعطينى إياه. وإلا فسوف أنتزعه بالقوة". فقالت: "أرجوك؛ لا تنفعل. ولكن، عليك بالأحرى أن تستمع إلى ما سأقوله لك عن المصائب والنكبات التى حلت بنا بسبب هذا الكتاب الذى تتحدث عنه قائلاً: "فلتعطوه لى !".. فلا تقل ذلك أبدًا. فبسببه، سُلبنا الزمن الذى كان يجب أن نعيشه فوق الأرض..

---

(١) فيما بعد عندما أخذ "ساتنى" الكتاب، حيث كان الظلام يسود فى المقبرة؛ ثم بعد ذلك، عندما أُعيد الكتاب.. عاد الضياء !!

(٢) بالنسبة لاسم الطفل، قرأه "بروجش": "مريو" أو "مريونفر". ولا شك أن هذه القراءات ليست صائبة، أما التى أقترحها، فليست مؤكدة.

(٣) "الكا"، أو القرين هو جزء من الكائن الحى البشرى الذى يبقى بعد الموت. ويسكن المقبرة. وتحتم الضرورة تغذيته، وكسوته، وتسليته: ولذلك، تُخصص القرابين الجنازية من أجله.

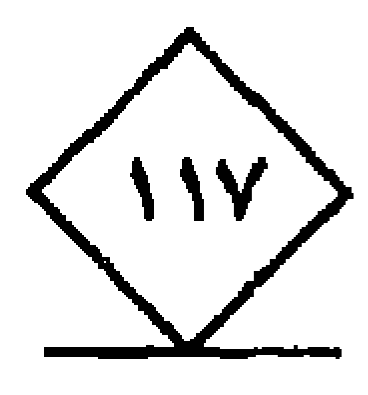


"إن اسمى: "أحورى" ابنة الملك "مرنبتاح". أما من تراه مُسجًى هنا، بجوارى فهو أخى "نفركابتاح". لقد ولدنا من أب واحد وأم واحدة. ولم يُرزق أبوانا بأبناء آخرين غيرنا. وعندما وصلت إلى سن الزواج، أُحضرت فى وقت التسلية واللهو أمام الملك[1]. وكنت فى أكمل زينتى؛ واعتُبرت فاتنة جميلة. وقال الملك: "ها هى "أحورى" ابنتنا قد كبرت، وحان الوقت لتزويجها. بمن إذًا سوف نزوج "أحورى" ابنتنا؟!". ووقتئذ، كنت مغرمة بـ"نفركابتاح" أخى، إلى درجة فائقة، ولم أكن أرغب فى زوج آخر سواه[2]. وقلت ذلك لأمى. فذهبت لمقابلة الملك "مرنبتاح". وقالت له: "أحورى"، ابنتنا، تحب أخاها، كما العرف السائد". وعندما استمع الملك لكل الكلام الذى قالته أمى، أجاب: "إنك لم تنجبى سوى ابنين، وتريدين تزويجهما، الواحد بالآخر؟!.. ألا يستحسن تزويج "أحورى" بابن أحد قادة فرق المشاة. أما "نفركابتاح" فيقترن بابنة قائد آخر بفرق المشاة؟". فقالت أمى: "هل أنت الذى ترفض طلبى[3]، إننى لم أنجب أبناء بعد هذين الابنين؛ وبذا، فإن القانون يقر بتزويجهما. إذًا، فسوف أزوج "نفركابتاح" من ابنة أحد قادة الفرق العسكرية؛ وأحورى بابن قائد عسكرى آخر، كما يحدث دائمًا فى عائلتنا!! وعندما حان وقت التسلية واللهو، أُحضرت إلى مكان التسرية هذا. وكنت فى كامل زينتى، ولكن

(١) تبين مشاهد "بافيون" مدينة هابو، أن الملك، كان يتوجه، فى كل يوم، إلى الحريم لكى يسرِّى عن نفسه مع زوجاته. ولا شك أن هذه هى اللحظات التى تطلق عليها قصتنا هذه اسم "لحظة التسرية مع الملك".

(٢) كان العرف السائد فى مصر، يسمح بأن يتزوج الأخ من إحدى شقيقاته. ولقد أعطت الآلهة والملوك المثال على ذلك. وربما أن قيام هذه الزيجات التى تبدو لنا بشعة مرعبة، كان راسخًا قويًا. ولذا، فإن البطالمة، بالرغم من جذورهم الإغريقية، على التوالى خضعوا له. فها هى كليوباترا الذائعة الصيت قد تزوجت من أخويها.

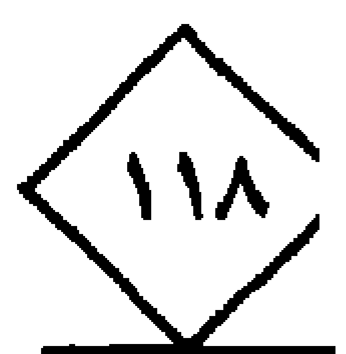
(٣) هنا يبدأ الجزء المحفوظ من النص. ومن خلال التصويب السابق، حاولت، بقدر الإمكان، ألا أستعين سوى بالتعبيرات والمعلومات المأخوذة من الأوراق المتبقية. عمومًا، لقد التزمت بإعادة تكوين بداية عامة، تتيح فهم القصة.



سيمائى كانت تختلف عما بدت عليه بالأمس. ولذا، فإن الملك بادرنى قائلاً: "ألست أنت التى بعثت إلىّ لتذكرى كلمات عدم الطاعة هذه: "أن أتزوج بأخى "نفركابتاح" أخى الأكبر؟". فقلت للملك: "حسنًا، فلأزوج إذًا بابن أحد قادة فرق المشاة. وليُزوج "نفركابتاح" بابنة قائد مشاة آخر. كما حدث ذلك دائمًا فى عائلتنا". وضحكت. وضحك الملك. وهنا، قال الملك لرئيس القصر الملكى: "فلتوصل "أحورى" إلى بيت "نفركابتاح" فى هذه الليلة. ولتحمل معها كافة أنواع الهدايا الجميلة". واصطحبونى، كزوجة إلى بيت "نفركابتاح"، كما أمر الملك بأن يحضر إلىّ إرث كبير مصنوع من الذهب والفضة من ممتلكات القصر الملكى. وقد أمضى "نفركابتاح" يومًا سعيدًا معى. وتلقّى كافة الأشياء المرسلة من القصر الملكى. واستراح معى خلال الليل؛ ولكن بدون أن يعرف من أنا[1]. وعندما وجد أنه قد استراح معى .. فلم يكن بوسعنا نحن الاثنين سوى أن يحب كل منا الآخر. وعندما جاء موعد طمثى، لم يأتِ الطمث. وسرعان ما أُعلن الملك بذلك. فابتهج قلبه كثيرًا. وأمر بأن تحضر إلىّ كافة الأشياء النادرة النفيسة، وأمر بأن تحضر إلىّ هدايا جميلة، من الذهب والفضة، وقماش من الكتان الناعم الرقيق. وعندما حان وقت الولادة، ولدت هذا الطفل الصغير الذى تراه أمامك. وأُطلق عليه اسم "مى خونسو"، وسُجل اسمه فى دفاتر "بيت الحياة المزدوج".

وبعد مرور أيام كثيرة على ذلك، بدا واضحًا أن "نفركابتاح" كان همه الوحيد فى هذه الحياة الدنيا، الانطلاق وراء النصوص الموجودة فى مقابر الملوك، ولوحات الكتبة بـ"بيت الحياة المزدوج"؛ وكذلك الكتابات المنقوشة فوقها. فإنه كان يُولى اهتمامًا فائقًا بالنصوص. بعد ذلك، نُظم

(١) كان الملك قد تحدث عن رغبته فى أن يزوج "نفركابتاح" بابنة أحد القادة. وربما أن "نفركابتاح" لم يظن أن المرأة التى أحضرت إليه، وكانت منتقبة، هى أخته. وبالتالى لم يعرف الحقيقة إلا فى اليوم التالى .. بعد أن تم الزواج !

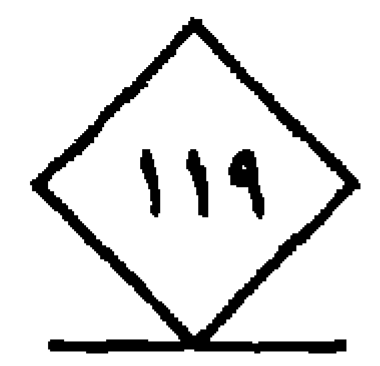


موكب لـ"بتاح". ودخل "نفركابتاح" إلى المعبد لكى يتعبد أمام الإله. وتتبع الموكب؛ وعمل على فك رموز الكتابات القائمة فوق مقاصير الأرباب. وهنا، سمعه أحد كهنة "بتاح" فاستهزأ به وضحك ساخرًا منه. فقال له "نفركابتاح": "لماذا تهزأ بى؟". فأجابه الكاهن: "إننى لا أهزأ بك ولكن، لم أستطع الاقتناع، وأنا أراك هنا، تقرأ بعض الكتابات الفاقدة تمامًا لأى قوة أو تأثير !!.. فإذا كنت حقًا ترغب فى قراءة مكتوب ما؛ فتعال معى. فسوف أصحبك إلى المكان، الذى يوجد به ذاك الكتاب الذى كتبه "تحوت" بيده، نفسه .. والذى سوف يضعك فورًا تحت الآلهة. فمن خلال الصيغ المدونة به؛ إذا قمت بتلاوة الأولى، فسوف تسحر السماء، والأرض، والجحيم، والجبال، والمياه، وسوف تتعرف على طيور السماء، والثعابين، جميعها بكافة أنواعها؛ وسترى الأسماك، لأن القوة الإلهية التى تُفعم بها المياه، سوف تجعلها تصعد إلى السطح. أما إذا قرأت الصيغة الثانية وأنت مسجى بداخل المقبرة، فسوف تبدو فى الهيئة التى كنت عليها وأنت فوق الأرض؛ بل وسترى الشمس عند شروقها فى السماء، ودورة آلهتها؛ وكذلك القمر بالشكل الذى يتخذه عندما يبزغ (١)". عندئذ، قال "نفركابتاح" للكاهن: "بحق الحياة! فلتقل ماذا تتمنى وسوف آمر بمنحه لك. ولكن، قدنى إلى المكان الذى يوجد به هذا الكتاب". وقال الكاهن لـ"نفركابتاح": "إذا أردت أن أبعثك إلى مكان هذا الكتاب، فعليك إعطائى مائة قطعة فضة (٢)، من أجل مقبرتى، وكذلك أن تأمر بصناعة

---

(١) يبدو أن الكفاءات التى تضفيها الصفحة الثانية من كتاب "تحوت"، على من يملكه، هى ذاتها التى توفرها للميت معرفة صلوات كتاب الطقوس الجنازية. فكان الأمر يتطلب، بالنسبة للمتوفى، أن يتمكن من إنعاش جسده المحنط، ويستعمله كما يحلو له؛ أما بالنسبة للحى، فهو يتمكن من رؤية الإله الشمسى نفسه، وليس مجرد كوكب الشمس؛ حيث يبدو هذا الكوكب وقد أخفى شكل الإله، والآلهة التى تصاحبه.

(٢) يذكر النص: مائة أوتنز . ويتبين أن الأوتنز الواحد يزن ما بين ٠,٨٩ _ ٠,٩١ جرام. وبالتالى، فإن المائة أوتنز تمثل ما بين ٨-٩ كيلوجرامات.



تابوتين[1]، من النمط الخـاص بالكهنة "الأثرياء"، من أجلى !! عندئذ، نادى "نفركابتاح" أحد خدمه، وأمره بإعطاء المائة قطعة فضة للكاهن. كما عمل على إحضار التابوتين له. باختصار شديد، عمل كل ما قاله له الكاهن. ثم، قال الكاهن له: "الكتاب المشار إليه، يوجد وسط نهر قفط، فى صندوق حديدى. وعن الصندوق الحديدى، فهو بداخل صندوق برونزى. أما الصندوق البرونزى، فقد وضع فى صندوق من خشب النخيل. وبدوره، فإن الصندوق المصنوع من خشب النخيل قد استقر فى صندوق من العاج والأبنوس. والصندوق الذى قُد من العاج والأبنوس، فهو بداخل صندوق فضى؛ وهذا الصندوق الفضى به صندوق ذهبى.. والكتاب فى هذا الأخير. كما يوجد وكر من الثعابين، والعقارب، وكافة أنواع الزواحف حول الصندوق الصغير الذى يحوى الكتاب: حيث يوجد ثعبان لا يفنَى أبدًا ملتف على الصندوق "المذكور".

"فى الوقت الذى كان الكاهن يتحدث خلاله إلى "نفركابتاح"، لم يكن هذا الأخير يعرف أية بقعة من العالم يوجد بها. وخرج من المعبد. وبدأ يتحدث معى عن كل ما قاله له الكاهن. ثم بادرنى قائلاً: "سوف أتوجه إلى قفط، وسأحصل على هذا الكتاب. ولن أتأخر فى بلد الشمال هذا". وهنا، ثارت ثائرتى ضد الكاهن. وقلت: "انتبه لنفسك بخصوص ما قلته له حتى لا تسبب لى الأسى واللوعة؛ بل قد تسبب معاداة الإقليم

(١) تبدو الكلمة المصرية غير واضحة. وربما أن طلبه لا يبدو غريب الشأن كمن يعرف تقاليد وعادات مصر، فإن الملوك ونبلاء القوم كانوا يبدؤون عادة حفر مقابرهم، حالما يحوزون على ميراثهم. فمن المحتمل جدًا، أن إهداء تابوت فى مصر، كما هو الحال فى الصين، يبدو من الأمور المستساغة تمامًا. إذًا؛ فإن تابوتَى الكاهن، كانا لازمين تمامًا من أجل فخامة وأبهة عملية الدفن: حيث تُغلف المومياء الرفيعة الشأن ويتداخل تابوتان خشبيان فى بعضهما بعضًا. وهذا بالفعل ما يمكن رؤيته فى متحف اللوفر (القاعة الجنازية).



الطيبى[١] لنا". وأخذت أتحدث أنا نفسى مع "نفركابتاح" لكى لا يذهب إلى "قفط". ولكنه لم يُصغ إلىّ. وتوجه إلى الملك. وقال أمام الملك، كافة العبارات التى ذكرها له الكاهن. فقال له الملك: "ماذا عساك ترغب؟!". فرد عليه "نفركابتاح": "أن تمنح لى المركب الشراعية الملكية، مجهزة تمامًا. وسأصطحب معى "أحورى"، شقيقتى، و"مى خونسو"، وليدها الصغير، إلى الجنوب، لمرافقتى. وسأحضر هذا الكتاب".

ولم يتوان الملك عن إمدادنا بالمركب الشراعية الملكية المجهزة تمامًا. ومن خلال المرفأ صعدنا إلى متنها. ومضينا فى الرحلة؛ ووصلنا إلى"قفط". وعندما أُعلن بقدومنا كهنة إيزيس فى "قفط" وكبار كهنة إيزيس .. هبطوا لاستقبالنا. وتوجهوا، بدون إبطاء، نحو "نفركابتاح" وأقبلت زوجاتهم إلىّ. وهبطنا من المركب؛ ومضينا نحو معبد إيزيس وحريوقراط. وأمر "نفركابتاح" بإحضار ثور، وإوزة، ونبيذ، وقدم ذبيحة محرمة للتضحية؛ وسكب وإراقة للخمر إكرامًا لـ"إيزيس - قفط"، و"حريوقراط". ثم، تم إرشادنا إلى منزل بديع للغاية، ومفعم بكل الأشياء الطيبة. وأمضى "نفركابتاح" أربعة أيام فى التسرية مع كهنة "إيزيس - قفط". وفى ذات الحين، كانت زوجات كهنة "إيزيس - قفط"، يمرحن ويسعدن معى[٢]. وفى صباح اليوم الخامس من إقامتنا، قام "نفركابتاح" باستدعاء كبير كهنة "إيزيس - قفط"، والكهنة الآخرين للمثول أمامه.

---

(١) الإقليم الطيبى ومدينة طيبة، مُثلا فى هيئة إلهة أنثى. ويُحتمل أن الأمر يتعلق هنا بمعاداة الإقليم الطيبى وليس معاداة أهل هذا البلد؛ خاصة أنهم استقبلوا الزائرين استقبالاً حسنًا، عندما نزل هؤلاء الأخيرون، من سفينتهم فى "قفط". إنها بالأحرى بغضاء الإلهة التى تجسد الإقليم الطيبى .. وتأسف كثيرًا من إفلات الكتاب الذى وضعه "تحوت" تحت حراستها.

(٢) التعبير الحرفى لعبارة التسرية، هو: "قضاء يوم سعيد".



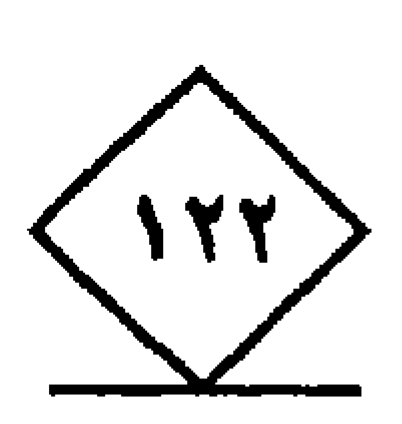
وعمل على صناعة مركب[1]، مليئة بعمالها وأدواتهم. وتلا عليهم مكتوبًا ما: فسرعان ما دبت الحياة فى أوصالهم. وأضفى عليهم النفثات، ثم ألقى بهم فى الماء. وملأ المركب الشراعية الملكية بالرمال. واستأذن منى للإبحار[2]. وصعد إلى المرفأ. وبقيت أنا عند نهر "قفط"، لأعرف ما يحدث له.

"وقال: "أيها العمال، اعملوا من أجلى، حتى نصل إلى المكان الذى يوجد به هذا الكتاب". وهكذا، عملوا من أجله، ليلاً ونهارًا، لكى يتمكن من الوصول إلى هذا الموقع. وفى اليوم الثالث، ألقى بالرمل أمامه، وهكذا، ظهر فراغ كبير فى النهر. وعندما تبين وكرًا للثعابين، والعقارب، وكافة أنواع الزواحف حول المكان الذى يوجد به الكتاب؛ وعندما تعرف على ثعبان لا يفنَى أبد الدهر ملتف حول الصندوق الصغير ذاته: أخذ يتلو نصًا ما فوق وكر الثعابين، والعقارب، والزواحف التى كانت تحيط بالصندوق الصغير. ولكنه، لم يجعلها تتلاشى أو تختفى[3]. ثم سرد مكتوبًا آخر فوق الثعبان الأبدى، وهجم عليه، وقتله: ولكن الثعبان عاد

(١) من خلال قصة الإسكندر، يتراءى وصف لسفينة سحرية مماثلة، أعدها الملك-الساحر "نختانبو". ويبدا العمال ومعداتهم، فى هيئة أشكال سحرية. وبواسطة الصيغة السحرية التى ينطق بها "نفركابتاح" .. سرعان ما تدب فيها الحياة والنفثات: مثلما يفعل الفصل السادس بالأشكال الجنازية الفائقة العدد فى متاحفنا. إن هذه الأشكال تبدو فى هيئة عمال مكلفين، بأن ينفذوا، لصالح المتوفى، أعمال الحقول والزراعة فى العالم الآخر: فهى تُعزق بدلاً عنه، وتُزرع من أجله؛ وكذلك يقوم هؤلاء العمال السحريون بالتجديف والحفر من أجل "نفركابتاح".

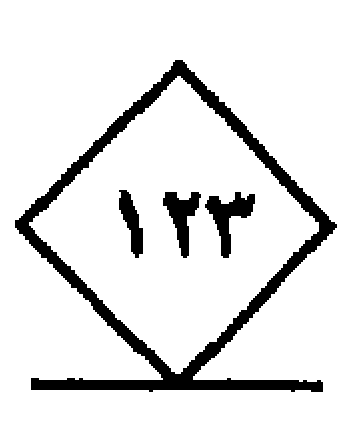
(٢) ربما كان هذا الجزء من الجملة، بمثابة تصويب.

(٣) حرفيًا: "تطير". وهى الكلمة ذاتها، التى استُعملت، من خلال "قصة الأمير والقدر المحتوم" للإشارة إلى الوسيلة السحرية التى استعان بها الأمراء لكى يصلوا إلى نافذة ابنة زعيم نهارينا. وتتضمن إحدى برديات ليدن، وبردية باللوفر، وبردية هاريس السحرية، عدة تعازيم ورُقى ضد العقارب وضد الزواحف؛ على شاكلة تلك التى ذكرها "نفركابتاح".



إلى الحياة، وبدا ثانيا فى شكله المعتاد. وللمرة الثانية، هاجم الثعبان وقتله. فعاد الثعبان مرة أخرى إلى الحياة. وانقض لمهاجمة الثعبان مرة ثالثة؛ وقطعه نصفين، ووضع كمية من الرمال ما بين كل من الجزءين: ولم يعد الثعبان مطلقًا إلى شكله السابق(1). وتوجه "نفركابتاح" إلى المكان الذى يوجد به الصندوق الصغير. وتبين أنه صندوق من الحديد، ففتحه، فوجد به صندوقًا من خشب النخيل. وفتحه، فبدا أمامه صندوق من العاج والأبنوس. ثم فتحه، فتراءى له صندوق فضى، وفتحه: فوجد صندوقًا ذهبيًا. وعندما فتحه، عرف أن الكتاب كان بداخله. فحمل الكتاب المذكور، إلى متن المركب الشراعية ومعه الصندوق الذهبى. وأخذ يقرأ صيغة من هذا المكتوب: وبذا، فقد سحر السماء، والأرض، والجحيم، والجبال، والمياه، وتعرف على طيور السماء، أسماك المياه، وحيوانات الجبال، بكافة أنواعها. ثم أخذ يتلو الصيغة الثانية من المكتوب: فرأى الشمس وهى تصعد إلى السماء مع دورتها الإلهية؛ والقمر خلال ظهوره، والنجوم بأشكالها؛ وشاهد أسماك المياه، لأنها كانت تخضع لقوة إلهية. بعد ذلك، أخذ يتلو مكتوبًا آخر على العمال، فدبت فيهم الحياة. فألقى بهم فى النهر. وقال للعمال: "اعملوا من أجلى، حتى نصل إلى المكان الذى ألتقى فيه بعائلتى". وأخذوا يعملون من أجله،

(1) إن هذا الصراع ضد الثعابين، الحارسة لكتاب ما، أو مكان ما، يرتكز أساسًا على معلومة عقائدية. ففى "دندرة"، على سبيل المثال (مارييت، دندرة، t.III, p1.14, a,b)، مُثل حراس الأبواب والنواويس والسراديب فى هيئة حيات. وكذلك الأمر بالنسبة لحراس أبواب المناطق الاثنتى عشرة فى العالم السفلى.
ونجد أن الربة الثعبان "مرت سجرت" كانت تقوم على حراسة جزء من جبل طيبة الجنازى، الواقع ما بين العساسيف والقرنة؛ وأيضًا، بصفة خاصة، للقمة التى تبدو فى شكل هرمى، التى تشرف على السلسلة بأكملها؛ وتُسمى "توتبنى"، أى "الواجهة". وفى قصة الإسكندر، يتراءى لنا، من خلال تأسيس الإسكندرية: قصة صراع شبيه بالذى خاضه "نفركابتاح" (المدعى جاليستين، ص٣٤-٣٥). ولكن، فى اتجاه معاكس: فإن وكر الثعابين، لم يظهر إلا بعد مقتل الثعبان الأبدى.



ليـلاً ونهـارًا، لكى يوصلوه إلى المكان الذى كنت أنتظره بـه. ومنذ لحظة مكوثى عند نهـر "قـفـط" لم أكن أشـرب أو آمل. بل لم أكن أفـعل أى شىء فى العـالم .. لقـد كنت كـإنسـانـة وصلت لتـوها إلـى "المأوى الجـمـيل"(١). وقلت لـ"نفـركـابتـاح": "بحق الحـيـاة، أعطنى هذا الكتـاب لـكى أراه؛ الذى تكبدنا من أجله كل هذه الصـعـاب". فوضع الكتـاب بيـدى. وقـرأت إحدى الصيغ التى تقـول: "لقـد سـحـرت السـمـاء، والأرض، والجحيم، والجبـال، والمياه. وتعـرفت على الطيـور فى السـمـاء، والأسـمـاك بالماء، والحيـوانات بكافة أنواعها. ثم تلوت الصيغة الأخرى بالمكتوب: فرأيت الشـمس تشرق فى السـمـاء مع دورتها الإلهيـة. وشاهدت القـمـر عند ظهـوره، وكافـة نجوم السـمـاء؛ بكل أشكالهـا. ورأيت أسـمـاك الماء؛ فـقـد كـانت هـنـاك قـوة إلهيـة بالماء .. تجعلها تصعد إلى السطح.

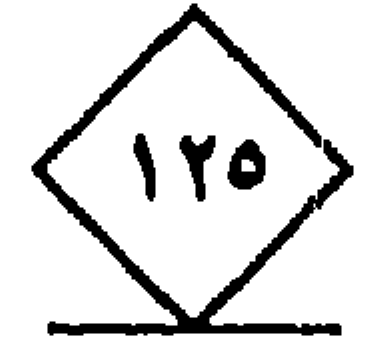
وبعد أن تصفـحت المكتوب، وتحـدثت مع "نفـركـابتاح" أى الأكبـر، الذى يُعد كـاتبًا مـاهرًا، ورجـلاً فـائق العلم؛ فـقـد أمـر بأن تُحضـر له قطعـة من ورق البـردى الطاهـر النقـى. وفوقـهـا كتب كـافة العـبـارات المدونة بالكتـاب. وضمخ ورقة البردى بالعطور، ثم أذاب كل ذلك فى الماء. وعندما تيقن من ذوبان كل ذلك: شربه؛ وبالتالى علم بكل ما يتضمنه المكتوب !!

"ها نحن قد عدنا إلى "قفط"، فى اليوم ذاته. وقـضينا وقتا سـارًا أمام "إيزيس - قفط"، و"حريوقـراط". ثم صـعـدنا إلى المرسـى؛ وأبحـرنا؛ ووصلنا إلى شـمـال "قـفط". وبمـرورنا فى هذا المكان، أُحيط "تحوت" علمًا بكل مـا حدث لـ"نفركابتاح" بخصـوص هذا الكتـاب. وسـارع "تحوت" إلى إخبار "رع" بذلك. فـقـال: "فلتـعلم أن كتـابى الخـاص بالصـيغ السـحـرية وقـانونى، قـد أصبـحـا فـى حوزة "نفـركـابتـاح" ابن الملك "مين إيب". فـقـد ذهب إلى بيـتى، وجـرده، واسـتـولى على صـنـدوقـى وكـتـابى المتعلق بالتـعـازيم والرُّقـى. وقـتل حـارسـى الذى يسـهـر على حـراسـة الصـندوق". وقـيـل له: "إنه لك، لك وكل

(١) تعبير للتورية دارج الاستعمال فى أنحاء مصر، للإشارة إلى: المقبرة.

أهله". وتم إنزال قوة إلهية من السماء: "لن يذهب "نفركابتاح" إلى منف. فإنه قد سُحر، هو وكل من يرافقه". وفى هذه اللحظة ذاتها خرج "مى خونسو"، الطفل الصغير، من تحت حاجز المركب الشراعية الملكية. وسقط فى النهر. ونادى "رع". وسارع جميع من كانوا على الضفة إلى إطلاق صيحاتهم(١). وخرج "نفركابتاح" من تحت القمرة. وأخذ يقرأ نصًا ما على الطفل وجعله يصعد ثانيًا، فإن الماء مفعم بقوة إلهية؛ عملت على دفع الجسد إلى السطح. وأخذ يقرأ مكتوبًا وجعله يقص كل ما حدث له؛ بالإضافة إلى التقرير الذى قدمه "تحوت" أمام "رع". وعدنا معه إلى "قفط". وأسجيناه فى مقبرة. وعملنا على أداء كافة المراسم الجنازية. ثم، بعد ذلك، عملنا على دفنه، على غرار أى شخص كبير. ووضعناه فى تابوته، بجبانة "قفط". عندئذ، قال "نفركابتاح" أخى: "فلنرحل إذًا. علينا ألا نتأخر فى الوصول قبل أن يسمع الملك بما حدث لنا؛ ويضطرب قلبه لذلك". وتوجهنا إلى المرفأ، وسافرنا. ولم نتأخر فى الوصول إلى شمال "قفط". وبينما كنا نمر بالمكان الذى كان الطفل الصغير "مى خونسو"، قد سقط فيه بالنهر، خرجت من حاجز المركب الشراعية الملكية؛ فسقطت فى النهر. واستنجدت بـ"رع". وهنا، أطلق بعض القائمين على الضفة صيحاتهم. وقيل ذلك لـ"نفركابتاح". فخرج من تحت حاجز المركب الشراعية الملكية. وأخذ يتلو علىّ مكتوبًا. وعمل على رفعى، فإن المياه مفعمة بقوة كانت تدفعنى إلى السطح. وانتشلنى من النهر، ثم قرأ علىّ مكتوبًا ما؛ وجعلنى أحكى كل ما حدث لى؛ بالإضافة إلى التقرير الذى رفعه "تحوت" أمام "رع".

"ورجع معى إلى "قفط". وعمل على وضعى فى مقبرة. وأنجز من أجلى المراسم الجنازية. ثم عمل على دفنى كما يتناسب بأى شخصية رفيعة القدر. وأرقدنى فى المقبرة، حيث كان يُسجى من قبل "مى خونسو".



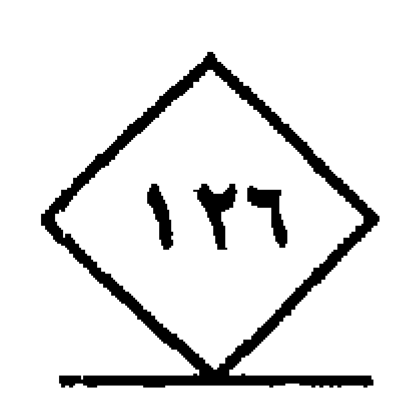
(١) يبدو أن النص يقول: "نادى .. بهدير بالرعد"!

الطفل الصغير. وصعد إلى المرسى. وانطلق مسافرًا. ولم يتأخر فى الوصول إلى شمال "قفط". وبينما كان يمر على مقربة من المكان الذى كنا قد سقطنا فيه بالنهر .. أخذ يتحدث مع قلبه، قائلاً: "ألم أذهب إلى "قفط"، لملاقاتهما؟! ولكن، على العكس، إذا رجعت إلى "منف" وسألنى الملك، عندئذ، عن ابنى الصغير، فماذا عساى سوف أقول له: "لقد اصطحبت ابنيك معى إلى إقليم "طيبة"، وقتلتهما؛ وما زلت أنا فى قيد الحياة. وها أنا أعود ثانيًا إلى "منف" حيًا معافًى". وأحضر "نفركابتاح" شريطًا من الكتان الملكى الناعم الرقيق الذى كان يملكه، وحوله إلى شريط سحرى. وربطه بالكتاب. ثم وضعه على صدره وثبته تثبيتًا قويًا ..

"وخرج "نفركابتاح" من أسفل حاجز المركب الشراعية الملكية وسقط فى الماء. واستنجد بـ"رع". وأطلق بعض القائمين على الضفة صيحاتهم، قائلين: "أوه !!ياللأسى والحزن، ياللوعة الكبرى!! راح ومضى الكاتب البارع، العالم الذى لا مثيل له أبدًا !!".

"وانطلقت المركب الشراعية الملكية فى رحلتها، دون أن يعرف أحد مطلقًا فى أى مكان يوجد "نفركابتاح". وعند الوصول إلى "منف"، تم إحضاره إلى الملك. وهبط الملك، لاستقبال المركب الشراعية الملكية حيث كان يرتدى معطف الحداد. وكذلك الأمر بالنسبة لحامية "منف"، كانت تلبس معاطف الحداد. وأيضًا، كان كهنة "بتاح" وكبير كهنة "بتاح"، وكافة أفراد حاشية الملك، لكى يروا "نفركابتاح" القائم فى قمرة الشرق بالمركب الشراعية الملكية .. باعتباره كاتبًا بارعًا.

"وأُخرج من القمرة وشوهد الكتاب فوق صدره. فقال الملك: "فليُنزع هذا الكتاب المثبت فوق صدره". ولكن أفراد حاشية الملك، وكذلك كهنة "بتاح"، وكبير كهنة "بتاح"، قالوا أمام الملك: "أيا ملكنا العظيم - فلينعم بطول مدى عمر "رع" - إنه كاتب بارع ولا مثيل له، ورجل ذو علم فائق ..



"نفركابتاح" هذا!". وأمر الملك بإدخاله إلى "المأوى الطيب"(١)، طوال ستة عشر يومًا، وكسوته بالأقمشة على مدى خمسة وثلاثين يومًا، ثم تكفينه لمدة سبعين يومًا؛ ثم إرقاده فى مقبرته القائمة ضمن مختلف أماكن الراحة.

"لقد سردت كافة النكبات والمآسى التى وقعت لنا، بسبب هذا الكتاب الذى تقول عنه: "فلتعطونى إياه!". فلا تقل ذلك أبدًا. فإننا، بسببه، قد سُلب منا الوقت الذى كان يجب أن نمضيه فوق الأرض".

هنا قال "ساتنى": "أحورى"، أعطنى هذا الكتاب الذى ألمحه بينك وبين "نفركابتاح". وإلا .. أخذته عنوة".!

حينئذ، قام "نفركابتاح" وهو فوق سريره وقال: "ألست أنت "ساتنى"، زوج المرأة التى قصت كل تلك المصائب التى ألمت بنا، والتى لم تمر بها أنت ذاتك؟!.. ألا يمكنك الاستحواذ عليه بفضل مقدرتك ككاتب بارع وماهر؟!.. وإذا جرؤت أن تضارب ضدى .. فلتضارب بواسطة "الاثنين والخمسين"(٢).

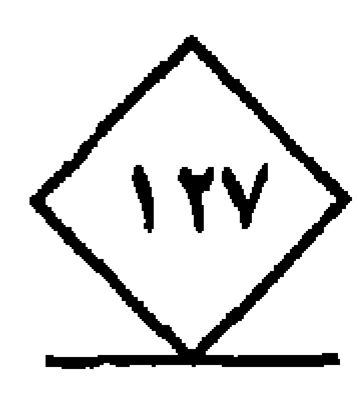
فرد ساتنى قائلاً: "وأنا حريص على ذلك. وهنا أحضروا لعبة "الضامة" أمامهما(٣)، ومعها كلابها. وأخذا يلعبان لعبة "الاثنين

---

(١) عادة، تعنى، كما سبق أن نوهنا، أحد الأسماء التى تُطلق على المقبرة. ويُحتمل، أن الأمر يتعلق هنا بالبيت الذى يُسجى فيه الجثمان، لكى تُجرى له أولى التجهيزات لعملية التحنيط.

(٢) انظر لاسمها، فمن المحتمل أن لعبة الاثنين والخمسين كانت تعتمد على النجاح فى الحصول على اثنين وخمسين نقطة. وذلك، بتحريك بعض أشكال الكلاب فوق ضامة. ولدى المصريين الحديثين لعبتان على الأقل: "المنقلب"، و"طب" التى قد تتشابه مع اللعبة التى لعبها "ساتنى"، مع "نفركابتاح".

(٣) تُسمى قطع هذه اللعبة: الكلاب. وفى نطاق المتاحف بعض البيادق ذات رأس كلب أو ابن آوى. والاسم الذى أضفاه الإغريق على قطع اللعبة. وأيضًا الاسم نفسه (كلب، وجمعها كلاب، ما زالت تُسمى به فى مصر، حتى يومنا هذا على أجزاء لعبة الـ tab القديمة). ومن ناحيتى، فإننى أستعين بكلمة ضامة للتعبير عن العبارة المصرية القديمة. وذلك لعدم توافر كلمة أكثر توافقًا. عامة، إنها لوحة صغيرة مقسمة إلى خانات، يتم تحريك الكلاب فوقها. وفى اللوفر، توجد اثنتان منها، سُجل على إحداها خرطوش الملكة "حتشبسوت" (الأسرة الثامنة عشرة).



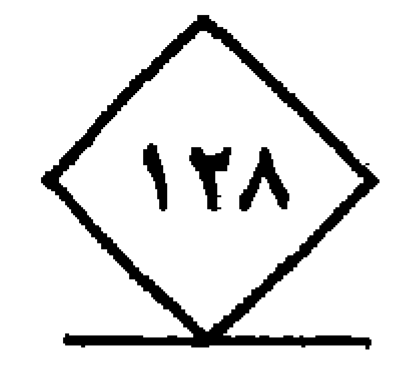
والخمسين". واستطاع "نفركابتاح" أن يكسب من "ساتنى" جزءًا ما؛ فتلا عليه مكتوبًا؛ ووضع فوق رأسه ضامة اللعب التى كانت أمامه؛ وأدخله حتى ساقيه فى الفتحة[1]. ثم لعب الجزء الثالث، وكسبه من "ساتنى"، وجعله يدخل فى المنفذ حتى ثنية الفخذ. ثم استمر فى اللعب حتى الجزء السادس، حيث أدخل "ساتنى" فى الثغرة حتى أذنيه !!

بعد ذلك، أمسك "ساتنى" بـ"نفركابتاح" بكل عنف. ونادى "ساتنى" "آن حتحور إرعو" أخاه، الذى كان يرافقه؛ وقال له: "لا تتأخر فى الصعود فوق الأرض. وقص كل ما حدث لى أمام الملك، وأحضر لى الطلاسم الخاصة بأبى "بتاح"[2]، وكذلك كتبى الخاصة بالسحر". وصعد سريعًا فوق الأرض، وحكى أمام الملك عن كل ما حدث لـ"ساتنى". فقال الملك: "خذ طلاسم "بتاح"، أبيه، وكذلك كتب التعازيم والرُّقى".

وبدون إبطاء، هبط "آن حتحورإرعو" فى المقبرة، ووضع الطلاسم فوق صدر "ساتنى" .. ثم طار نحو السماء فى اللحظة ذاتها[3]. ومد "ساتنى" يده نحو الكتاب، وأمسك به. وعندما صعد "ساتنى" إلى خارج المقبرة، أخذت الضياء تسير أمامه، أما الظلام، فكان يمشى خلفه. وأخذت "أحورى" تبكى وتنوح، قائلة: "المجد لك أيا أيها الظلام! المجد لك أيا أيها الضياء ! فليحل الفناء والتلاشى بالمقبرة". هنا، قال "نفركابتاح" لـ"أحورى": "لا تتألمى أبدًا، فسوف أجعله، فيما بعد يحصل على هذا الكتاب؛ وقد أمسك بمذراة وعصًا فى يده، واعتلى رأسه جمر مشتعل".

وخرج "ساتنى" من المقبرة. وأقفلها وراءه كما يجب. وذهب "ساتنى" للمثول أمام الملك. وحكى للملك، كل ما حدث له بخصوص الكتاب. فقال الملك لـ"ساتنى": "أرجع هذا الكتاب إلى قبر "نفركابتاح"، باعتبارك رجلاً حكيمًا. وإلا فإنه سوف يجعلك تمسك بمذراة وعصًا فى يد، وجمر

(١) الفتحة ذاتها التى دخل ساتنى من خلالها إلى المقبرة.
(٢) لقب "أب" هذا، هو اللقب الذى يضفيه الملك، سليل وابن الشمس، على كافة الآلهة.
(٣) عبارة تورية تُستعمل عادة للتعبير عن الموت.



مشتعل فوق رأسك". وعندما سمعه "ساتنى" يقول ذلك، لم يجد نفسه مهيئًا أو مستعدًا أبدًا لفراق الكتاب: بل وأخذ يقرؤه أمام الجميع !

فيما بعد، فى يوم ما، كان "ساتنى" يمر بفناء معبد "بتاح". ورأى امرأة رائعة الجمال. فلم تكن تماثلها امرأة أخرى فى جمالها !! ويُضاف إلى ذلك، أنها كانت تتحلى بالكثير من المصوغات الذهبية. ويزيد على هذا، أنه كانت توجد صبيات صغيرات يسرن خلفها. وكان معها أيضًا بعض الخادمات، يصل عددهن إلى اثنتين وخمسين خادمة. وحالما شاهدها، لم يعد يعرف المكان الذى يوجد به فى العالم !!.. فنادى "ساتنى" على وصيفه[1]، وقال: "أسرع إلى المكان الذى تقيم به هذه المرأة .. واعرف اسمها". ولم يتأخر الوصيف الشاب فى الذهاب إلى مكان إقامة المرأة. واستجوب التابعة الشابة التى كانت تسير خلفها؛ وسألها قائلاً: "من هى هذه المرأة؟". فأجابته: "إنها "تبوبوى" ابنة نبى "باستت" سيدة "عنختى" إنها فى طريقها الآن لتؤدى صلاتها أمام "بتاح"، الإله الأعظم ..

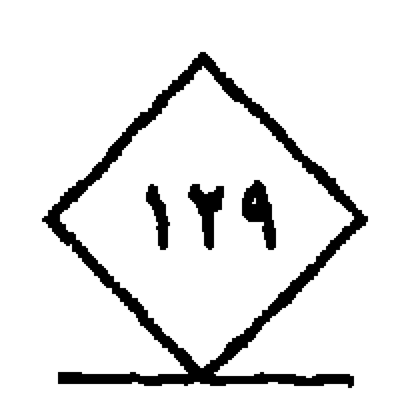
عندما رجع الشاب إلى "ساتنى" حكى له كافة العبارات، بدون استثناء التى ذكرتها له. فقال "ساتنى" للشاب: "اذهب وقل لهذه الفتاة، ما يلى: "إن "ساتنى-خع إم واس"، ابن الملك "أوزير مرى"، قد أرسلنى؛ ويقول: "سوف أمنحك عشر قطع ذهبية، لكى تمضى معى ساعة [2]. وإلا؛ فهو ينذرك بأنه قد يلجأ للعنف. فهذا ما يمكن أن أفعله بك: سوف أنقلك إلى مكان خفى .. لدرجة، إنه قد لا يعثر عليك مطلقًا أحد فى العالم كله".

عندما عاد الشاب إلى المكان الذى توجد به "تبوبوى" واستجوب الخادمة الشابة؛ وتحدث معها: فصاحت مستنكرة تلك الكلمات، وكأنها

---

(١) تعد كلمة "وصيف"، مناسبة بقدر ما، أمكننى الاستعانة بها. ونجد أن العبارة المصرية totm ash تعنى حرفيًا: "الذى يسمع النداء". وقد تراءت، مختصرة إلى حد ما، فى شكل sotmou فى "حكاية الأمير والقدر المحتوم".

(٢) عشرة outens من الذهب، تعادل ما بين ٠,٨٩ و ٠,٩١ جرام ذهبًا. أى ما يوازى ما بين ٢٧٥-٢٨٥ فرنك بعملتنا الراهنة .. وأكثر.



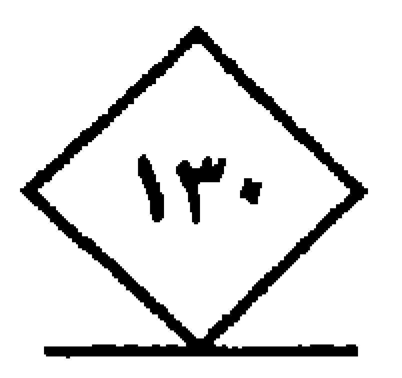
شتائم موجهة لها. وهنا، قال "تبوبوى" للشاب: توقف عن التحدث مع هذه الفتاة المخرفة. تعال، وتحدث معى". واقترب الشاب من مكان "تبوبوى" وقال لها: "سوف أعطيك عشر قطع ذهبية فى مقابل أن تمضى ساعة واحدة مع "ساتنى خع إم واس"، ابن الملك "أوزير مرى". وإلا؛ ففى الإمكان اللجوء للعنف. وهذا هو ما يمكن عمله. سوف يرسلك إلى مكان خفى .. بحيث لا يستطيع أحد فى العالم أن يجدك". عندئذ، ردت عليه "تبوبوى" قائلة: "اذهب وقل لـ"ساتنى": إننى عفيفة طاهرة. ولست إنسانة دنيئة. وإذا كنت ترغب فى التمتع بى، فعليك أن تحضر إلى "بوباستس" (تل بسطة)(١)، فى بيتى، حيث سيُعد كل شىء؛ ويمكنك أن تستمتع بى، بدون أن أتحدث عن ذلك مع كافة ثرثارات الشوارع". وعند رجوع التابع إلى "ساتنى"، كرر على مسامعه بدون أى استثناء كل العبارات التى قالتها. ثم أضاف قولاً مناسبًا: "ولكن، الويل لأى إنسان قد يتواجد هنا مع "ساتنى"(٢).

أم "ساتنى"، بأن تُحضر له مركب؛ وصعد إليها من خلال المرسى. وسرعان ما وصل إلى "تل بسطة" وتوجه ناحية غرب المدينة؛ وفى نهاية الأمر قابل منزلاً فائق الارتفاع. وقد سُور تمامًا بجدار. وأُلحقت به حديقة من الناحية الشمالية، كما وجد سُلّمًا للدخول أمام الباب. وقد تساءل "ساتنى" قائلاً: "هذا البيت، لمن يكون هذا البيت؟!". فرد البعض عليه: "إنه منزل "تبوبوى"". فدخل "ساتنى" إلى الفناء، وسار حتى وجد نفسه أمام سلالم البيت الواقع بالحديقة.

---

(١) تُعرف حاليًا باسم "تل بسطة"، على مقربة من الزقازيق. وقد عمل "بروجش" فى الفصل ما بين الجزءين المكونين لهذه الكلمة، ثم ترجمها: "فى معبد بسطة". ويتبين أن كتابة وإملاء النص المصرى لا يسمح بمثل هذه الترجمة. فإن الأمر لا يتعلق بمعبد "باستت"، القائم فى أحد أحياء "منف". بل بالأحرى، ببيت "باستت" فى تل بسطة.

(٢) يبدو هنا، من ناحية الوصيف شىء من الإدراك الإلهى. وقد سبق أن أشرت إليه سابقًا.



وأعلنت "نبوبوى" بقدومه، فهبطت، وأمسكت بيد "ساتنى" وقالت له: "أقسم أن سفرك من أجل المجيء إلى بيت ابنة كاهن "باستت" ربة "عنختى" يسعدنى كثيرًا. تعال معى إلى أعلى". وصعد "ساتنى" إلى الطابق العلوى، من خلال سلم البيت، مع "تبوبوى" حتى وصل إلى الدور العلوى بهذا البيت؛ الذى طُلى وبُرقش بطلاء وبرقشة من اللازورد والـ"مافك" الحقيقى(1). وتراءت فى هذا المكان الكثير من الأسرَّة المفروشة بأقمشة من الكتان الملكى. بالإضافة إلى العديد من الكؤوس الذهبية، فوق المائدة المستديرة. وملأت كأسًا بالنبيذ، ووضعتها فى يد "ساتنى". وقالت له "تبوبوى" "هل يسرك إعداد وجبتك؟". فأجابها: "إننى لا أجيد ذلك تمامًا. وبدأ بوضع الإناء فوق النار. ثم أحضرا بعض العطور على غرار ما يتم فى المآدب الملكية (2). وشعر "ساتنى" بالتسرية واللهو مع "تبوبوى" ولكنه، لم يَرَ بعد جسدها !

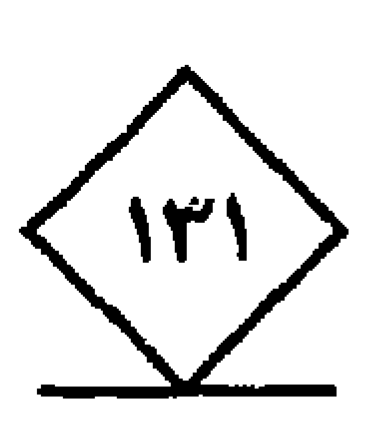
عندئذ، قال "ساتنى" لـ"تبوبوى""هيا، لنقم الآن بما أتينا لفعله". فأجابته: "إن البيت الذى توجد به الآن، سوف يكون بيتك. ولكنى طاهرة نقية، ولست إنسانة دنيئة أو خسيسة". وإذا رغبت فى أن تستمتع بى، فعليك أن تكتب لى مكتوبًا وفقًا للثقة بالقسم؛ ومكتوبا يتعلق بمنحة الفضة، والأشياء والممتلكات التى تخصك !!فقال لها: "فليحضر الكاتب من أجل تحريرهما". وسرعان ما أُحضر الكاتب، وأمر "ساتنى" بأن يُحرر من أجل "تبوبوى" مكتوب يتعلق بالثقة بالقسم، ومكتوب لمنحة الفضة، وكافة الأشياء والممتلكات الخاصة به(3).

---

(1) يُطلق اسم "مافك" عامة، على كافة المعادن ذات اللون الأخضر، أو الأزرق المائل إلى الاخضرار، مثل: سلفات النحاس، والزمرد، واللازورد .. إلخ، التى عرفها المصريون.

(2) كان يتم تعطير المدعوين، عند بداية تناول الطعام. ولا شك أن المؤلف، فى هذه الحال، يشير إلى هذا العرف.

(3) كانت العقود المصرية، تُدون بالكتابة الديموطيقية، فى عهد البطالمة. ولقد حُفظت لنا نماذج موثقة ومماثلة للأشياء التى كانت "تبوبوى" تطلبها من "ساتنى". ويتضمن الأمر عدة شكليات غير بعيدة كثيرًا عن الغزو الإغريقى. وقد يبين ذلك أن تحرير قصة "ساتنى" .. لا يسبق بكثير العصر الصاوى.



بعدساعة، جاء من يعلن "ساتنى" بما يلى: "أبناؤك ينتظرون أسفلا". فقال: "فليصعدوا". وقامت "تبوبوى" من مكانها. وارتدت وشاحًا من الكتان الشفاف الرقيق. ورأى "ساتنى" كل أعضائها، من خلاله. وازدادت رغبته أكثر مما كانت عليه. وقال "ساتنى" لـ"تبوبوى": "فلأقم الآن بما أتيت لفعله". فأجابته: "إن البيت الذى توجد به، سوف يكون بيتك. ولكننى نقية طاهرة. ولست إنسانة دنيئة. وإذا كنت ترغب فى التمتع بى، عليك أن تجعل أبناءك يكتبون فوق مكتوبى. حتى لا يلجؤوا إلى النزاع مع أبنائى بخصوص أملاكك". فأحضر "ساتنى" أبناءه وجعلهم يكتبون فوق المكتوب. ثم قال "ساتنى" لـ"تبوبوى" "فلأقم الآن بما أتيت لكى أفعله". فأجابته: "إن البيت الذى توجد به سوف يكون بيتك. ولكننى نقية وطاهرة. ولست إنسانة دنيئة. وإذا كنت ترغب فى أن تستمتع بى .. فعليك بقتل أبنائك؛ حتى لا يحاولوا أبدًا التنازع ضد أبنائى بخصوص أملاكك". فقال "ساتنى": "فلتُرتكب الجريمة التى يجيش قلبك بالرغبة فيها". فأمرت بقتل أبناء "ساتنى" أمامه. وطلبت بأن يتم إلقاؤهم من النافذة للكلاب والقطط. وأخذت هذه الحيوانات تلتهم لحمهم، وسمعها وهى تشرب مع "تبوبوى" فقال "ساتنى" لـ"تبوبوى": "فلنقم الآن بما أتينا لفعله، فإن كل ما قُلْتِهِ أمامى .. قد نفذ من أجلك". فأجابته: "ادخل فى هذه الحجرة". فدخل "ساتنى" الحجرة. وتمدد فوق سرير من العاج والأبنوس، حتى تتلقى عواطفه الجياشة مكافأتها. أما "تبوبوى"، فقد تمددت بجواره على الحافة .. ومد "ساتنى" يده ليلمسها: ففتحت فمها إلى درجة رهيبة، حتى إنه قد هب منه إعصار رهيب !

عندما عاد "ساتنى" إلى وعيه، وجد نفسه فى حجرة فرن، ومجردًا تمامًا من ملابسه[1]. وبعد ساعة من الزمن، لمح "ساتنى" رجلاً ضخمًا

---

(١) هناك عدد من الجمل، التى يمكن أن أقدمها والتى سيكون مضمونها واضحًا لكل من يريد اللجوء إلى النص الأصلى.

عملاقًا يقف فوق راية كبيرة، ويركل بقدميه الكثير من الأعداء(١)؛ وبدا وكأنه ملك من الملوك. وهَمّ "ساتنى" بالقيام من مكانه، فلم يستطع النهوض، لأنه شعر بالخزى والخجل، فقد كان مجردًا تمامًا من ملابسه. وهنا، قال الملك: "ساتنى، ما هذا الوضع الذى تبدو عليه؟!". فقال "ساتنى": "إنه "نفركابتاح"، الذى فعل بى كل ذلك". فقال الملك: "اذهب إلى منف. إن أبناءك، يريدونك، وها هم ماثلون أمام الملك". فأجاب ساتنى: "أيا سيدى العظيم القوى البأس، فلتنعم بمدى عمر رع ! ما الأسلوب الذى يمكن أن أتخذه للوصول إلى منف؛ خاصة إننى لا أرتدى أية ملابس فى الدنيا على جسدى؟!". عندئذ، نادى الملك وصيفًا كان يقف بجواره، وأمره بأن يعطى ملابسه لـ"ساتنى". ثم قال الملك لهذا الأخير: "اذهب إلى منف. فإن أبناءك فى قيد الحياة. بل ها هم الآن يمثُلون أمام الملك(٢)".

وذهب "ساتنى" إلى منف. وقبّل، بكل فرح وسرور أبناءه. فقد كانوا أحياء يرزقون. فقال الملك: "هل هى النشوة التى جعلتك تفعل كل ذلك؟!". هنا، أخذ "ساتنى" يقص كل ما حدث له مع "تبوبوى" و"نفركابتاح". فقال الملك: "لقد سبق أن رفعت يدى عليك، وقلت: "إنه سوف يقتلك إلا إذا أرجعت هذا الكتاب إلى المكان الذى أخذته منه لأجلك". ولكنك لم تصغ إلىّ حتى هذه اللحظة. والآن عليك بإرجاع الكتاب؛ وقد أمسكت فى يدك بمذراة وعصًا؛ واعتلت رأسك جمرات مشتعلة ومتأججة".

---

(١) إنه وصف لتلك التماثيل الإلهية، أو الملكية، حيث شاهدهم وهم يركلون بأقدامهم سواء ممثلو الشعوب المجاورة؛ أو الأقواس السبعة، شعار العشائر المعادية لمصر.

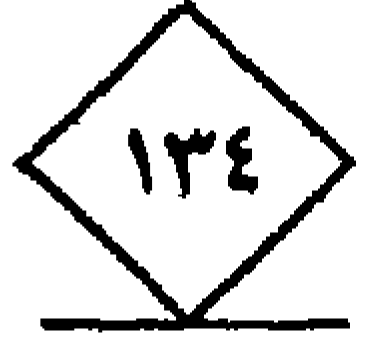
(٢) يُلاحظ، من خلال حديث الملك، وهو "نفركابتاح" نفسه: أن كافة مشاهد الإغراء والقتل السابقة .. ليست فى الواقع سوى هذيان سحرى. كما أن "ساتنى"، عندما أصبح غير نقى، ومجرمًا فكريًا ومعنويًا؛ لا واقعيًا.. قد فقد مقدرته فوق الطبيعية. ولعلنا نجد معلومة مماثلة فى "ألف ليلة وليلة"، أحد السحرة؛ وقد ارتبط بامرأة .. فلم يعد يستطيع أن يمارس بنجاح أساليبه السحرية .. ولكنه، عندما توضأ التوضؤ اللازم لهذه الأحوال، أصبح نقيًا وتجرد من دنسه.



وخرج "ساتنى" أمام الملك، وقد أمسك بيده مذراة وعصًا، واعتلت رأسه جمرات مشتعلة ومتأججة. وهبط إلى المقبرة التى يوجد بها "نفركابتاح". عندئذ، قالت له "أحورى": "ساتنى، إنه "بتاح" الإله الأعظم أتى بك !!.. لقد سحرت !!". وهنا ضحك "نفركابتاح" قائلاً: "هذا ما سبق أن قلته لك من قبل !! وأخذ "ساتنى" يمجد ويعظم "نفركابتاح" وأقر بكل ذلك. وبينما كان يتحدث تألقت الشمس فى كافة جنبات المقبرة (١). وأخذ كل من "أحورى" و"نفركابتاح" يعظمان "ساتنى" ويمجدانه إلى أقصى مدى. وقال "ساتنى": "أيا نفر كا بتاح، هل أنا بصدد أمر مهين ومذل ؟!". فقال له "نفركابتاح: "ساتنى، فلتعلم ذلك، إن "أحورى" و"مى خونسو" ابنها، موجودان فى "قفط". وهما لا يوجدان معًا فى هذه المقبرة، إلا من خلال فن وحرفية كاتب بارع قدير. عليك أن تقر بذلك إذًا. هيا، فلتتحمل الآن المشقة ولتذهب إلى قفط".

بعد ذلك، لم يتوانَ "ساتنى" لحظة واحدة للصعود خارج المقبرة. وتوجه للمثول أمام الملك. وأخذ يقص أمام الملك كل ما قاله له "نفركابتاح". فقال الملك: "فلتذهب إلى قفط"، لإحضار "أحورى"، و"مى خونسو"، ابنها". فأجاب "ساتنى" أمام الملك: "فلتمنح لى المركب الشراعية الملكية وطاقمها ومعداتها". فأعطيت له المركب الشراعية الملكية وطاقمها وتجهيزاتها. فصعد من المرسى إلى متنها. واستهل الرحلة. وسرعان ما وصل إلى قفط". وأُعلن بذلك كل من كهنة "إيزيس-قفط" والكاهن الأكبر التابع لإيزيس؛ وها هم يهبطون إليه. ويستقبلونه عند الضفة.

ونزل "ساتنى" من المركب وتوجه إلى معبد "إيزيس - قفط"، و"حريبوقراط". وأمر بإحضار ثور ونبيذ، وجهز تضحية كبرى، وإراقة للخمور أمام

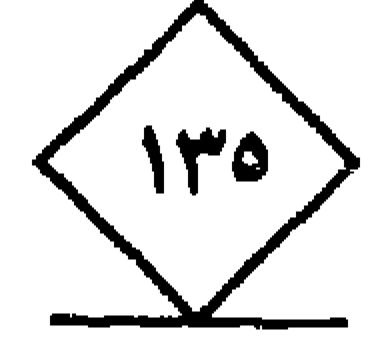


(١) عندما أعاد "ساتنى" الطلسم، فقد عمل بذلك على إدخال الضياء فى المقبرة .. التى كان قد خرج منها عندما أخذ معه هذا الطلسم.

"إيزيس ـ قفط"، و"حربوقراط". ثم توجه إلى جبانة "قفْط"، مع كهنة "إيزيس"، وكبير كهنتها. وأمضوا جميعًا ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ فى البحث ضمن المقابر القائمة بجبانة "قفّط"؛ وهم يقرؤون لوحات الكتبة بـ"بيت الحياة المزدوج"، ويتلون الكتابات التى نُقشت عليها .. فلم يعرفوا أبدًا الأماكن التى أُسجى فيها كل من "أحورى"، و"مى خونسو" !

وعلم "نفركابتاح"، أنهم لم يتعرفوا أبدًا على الأماكن التى يرقد بها كل من "أحورى"، و"مى خونسو"، ابنها. عندئذ، تجلى فى هيئة رجل طاعن فى السن، ومَثُل أمام "ساتنى". هنا، قال "ساتنى"، لهذا الرجل الهرم: "يبدو عليك أنك رجل متقدم فى العمر. ألا تعرف المكانين الذين يوجد بهما "أحورى"، و"مى خونسو، ابنها؟". فقال العجوز لـ"ساتنى": "إن والد والد والدى، قد قال لوالد والدى، وكذلك والد والدى لوالدى: "إن المكانين اللذين يرقد بهما كل من "أحورى"، و"مى خونسو"، ابنها، يقعان عند طرف الزاوية الجنوبية للمكان المعروف باسم "بر حيموتو"[1]!! هنا، قال "ساتنى"، للعجوز: أقسم أنك لا تبغى تدمير "بر حيموتو" بتوجيهك للناس نحو هذا المكان المحدد". وقال الرجل الطاعن فى السن: "فلتشدد الحراسة علىّ. وليتم التنقيب والبحث فى موقع "بر حيموتو" .. وإذا، لم يُعثر أبدًا على "أحورى"، و"مى خونسو" بالزاوية الجنوبية لموقع بر حيموتو .. فلتوجه إلىّ تهمة ارتكاب جريمة"! وهكذا، فُرضت حراسة قوية على الرجل المسن. وتم التعرف على المكان الذى يرقد فيه كل من "أحورى"، و"مى خونسو"، ابنها، بالزاوية الجنوبية لموقع "بر حيموتو".

وقام "ساتنى" بالعمل على نقل هاتين الشخصيتين العظيمتين إلى المركب الشراعية الملكية. ثم أعاد بناء وترميم موقع "بر حيموتو" ليصبح مثلما كان سابقًا. والجدير بالذكر أن "نفركابتاح" قد أخبر "ساتنى": بأنه



(١) يبدو النص مشوهًا وباليًا للغاية فى هذا المكان؛ لاعتبار دقة التصويبات.

هو الذى حضر إليه فى "قفط"، لكى يُعْلمه بالمكان الذى يرقد به "أحورى"، و"مى خونسو"، ابنها.

وصعد، من خلال المرسى إلى متن المركب الشراعية الملكية. وبدأ رحلته، وسرعان ما وصل إلى منف وكذلك الحرس المرافق له. وأُعلم الملك بوصوله. فهبط الملك لاستقبال المركب الشراعية الملكية. وأمر بنقل الشخصيتين العظيمتين إلى المقبرة التى يرقد بها "نفركابتاح". وعلى الفور، أمر أيضًا بوضع الأختام على الحجرة العليا.

ها هى إذًا، نهاية المكتوب، الذى سردت من خلاله
قصة "ساتنى خع إم واس"، و"نفركابتاح"، وكذلك
"أحورى"، زوجته، و"مى خونسو"، ابن "أحورى".
ولقد حُرر هذا الكتاب فى العام
الخامس والثلاثين، الـ..
من طوبة.



كيف تمكن "تحوتي"
من الاستيلاء على مدينة يافا

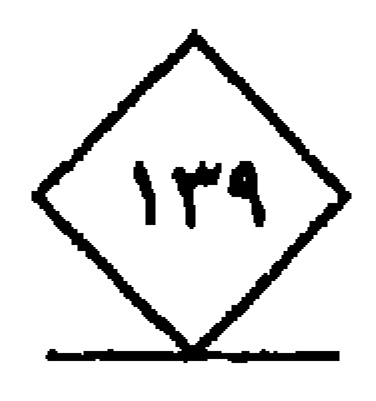
تشغل بقايا هذه القصة الصفحات الثلاث الأولى المتبقية من "بردية هاريس رقم ٥٠٠". حيث تسبق مباشرة قصة "الأمير والقدر المحتوم". اكتشفها "جودوين" فى عام ١٨٧٤، الذى اعتقد أنها مجرد حطام لسرد تاريخى؛ وأعلن عن اكتشافه هذا فى Société d'Archéologie Biblique جلسة ٣ من مارس ١٨٧٤).

وقد ترجم النص:

- Goodwin, *Translation of a Fragment of an historical Narrative. Relating to the Reign of Thotmes the Third, Transactions of the Society of Biblical Archology,* 1874, t.III, p.340-348.

ولقد تم نشره بطريقة "الفاكسميلى"، مضافًا إليه نسخًا بالهيروغليفية وترجمه، ماسپيرو، مع حكاية "كيف استولى تحوتى على مدينة يافا" فى (الجريدة الآسيوية، ١٨٧٨، بدون لوحات الفاكسميلى الثلاث). وأيضًا، بـ: "الدراسات المصرية"، ١٨٧٩، t, p.49-72 ، مع لوحات الفاكسميلى.

والبداية مفقودة. وعند استهلال السرد تتراءى ثلاث شخصيات على المسرح؛ وهم: ضابط مصرى، يُسمى "تحوتى"، وأمير إحدى المدن السورية، ومروض جياده. ولا شك أن "جودوين"، كان قد قرأ "الإمو"؛



وطابقها فيما بعد "بالإميم" فى التوراة (gen, XIV, 5 Deut. II, 10,II)، اسم البلد الذى يقع فيه جزء من الأحداث التى حُفظت لنا. ويتبين أن الشكل الفعلى هو "يافا" . وقد واجه هذا النص، بدوره بعض الجدال (Wiedemann, Geschichte Aaegyptens, p. 69-70) ولكنه، مع ذلك مؤكد؛ بالرغم من بعض الثغرات فى البردية ذاتها، والشكل السريع للكتابة.

وحقيقة أن M. Birch لم يتجاهل كلية هذا النص؛ ولكنه اقترح، أنه قد يكون مجرد جزء من قصة (Egypt from the Earliest timmes. to B.C, 300, p.103-104).. ولقد عملت على تصويب بداية النص، من منطلق هذه الفكرة: أن مكر "تحوتى"، بخلاف واقعة الجرار، التى تومئ إلى حكاية "على بابا" فى "ألف ليلة وليلة"، كانت بمثابة رواية مختلفة للحيلة أعزتها الأسطورة الفارسية إلى "زبير" . وهنا، كما هو الحال فى مجال التصويبات السابقة، راعيت الاستعانة فقط بعبارات مستعارة من قصص أخرى. وكذلك، لم أزمع أبدًا إعادة الجزء المفقود من القصة. ولكننى أردت فقط، وبكل بساطة، أن أبين حدثًا محتملاً، سمح للقراء غير المطلعين على علم المصريات، بالمزيد من تفهُّم قيمة هذا الجزء.

كيف تمكن "تحوتى"
من الاستيلاء على مدينة يافا
(الأسرة العشرون)

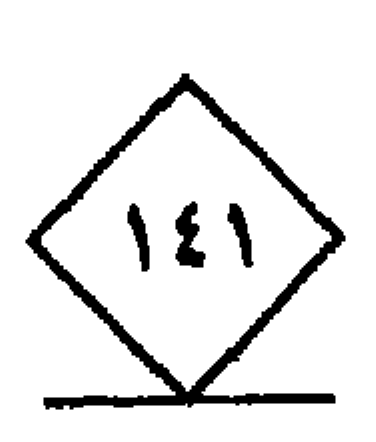
فى مرة من ذات المرات، بأرض مصر، كان هناك قائد لفرق المشاة يُسمى "تحوتى". وكان يتبع الملك "من خبر رع"(١)، فى كافة انطلاقاته نحو بلاد الجنوب والشمال(٢). وكان يقاتل على رأس جنوده. ويعرف كافة الخدع التى تُتبع فى الحرب، ويتلقى كل يوم ذهب البسالة والإقدام(٣). فقد كان حقًا قائد مشاة ممتازًا. ولم يكن له مثيل فى "الأرض قاطبة": فهذا ما كان ينجزه.

---

(١) هذا هو الاسم العلم الحقيقى للملك "تحتمس الثالث" من الأسرة الثامنة عشرة.

(٢) إنها عبارة دارجة فوق جدران نصب ومنشآت تلك الفترة: "الذى يتبع سيده فى كافة الحملات". ثم أضيفت إليها بعض التغييرات، مثل: "فى كل حملاته فى الجنوب والشمال".

(٣) إن السيرة الذاتية الخاصة بـ"احمس بن إبانا"، و"أمون إم حاب". قد أحاطتنا علمًا بالمكافآت التى كان الملوك المصريون يقدمونها لقوادهم الذين تميزوا وبرعوا فى المعارك. فعادة، كانوا يمنحون عددًا من العبيد الذكور والإناث، وبعض أنواع الغنائم، وحلقات ذهبية تُعرف باسم: "ذهب البسالة".



.... وبعد مرور أيام كثيرة، حضر مراسل من بلاد جاهى"(١). واقتيد إلى حضرة جلالته. وقال له لجلالته: "من الذى بعثك إلى جلالتى؟ ولماذا اتخذت طريقك؟". فأجاب المراسل على جلالته: "إنه حاكم بلاد الشمال الذى أرسلنى إليك؛ حيث قال: "إن مهزوم يافا(٢) قد تمرد ضد جلالتك، وقتل أفراد المشاة التابعين لجلالتك؛ وكذلك الأمر بقائدى المركبات؛ ولا يمكن لأحد أن يتصدى له".

وعندما سمع الملك كل الكلمات التى قالها له المراسل، اجتاحه غضب شديد، وكأنه نمر من الجنوب. وقال: "بحياتى، بحق حظوة "رع" لى، وبحق الحب الذى يكنه لى أبى "آمون" .. سأدمر مدينة أمير "يافا" الخسيس؛ وسأجعله يحس ثقل ووطأة ذراعى"(٣). واستدعى الملك جميع نبلائه، وقادة الحرب، وكذلك كتيبة الساحرين. وكرر عليهم الرسالة التى أرسلها إليه حاكم بلاد "الشمال". ولكن، ها هم جميعًا قد أقفلوا أفواههم صامتين. ولم يعرفوا بماذا يردون .. لا بالطيب ولا بالسيئ. وعندئذ، قال "تحوتى" لجلالته: "أيا من تبجله الأرض قاطبة وتوقره، فلتصدر أمرك، بأن يسلم لى الصولجان الكبير الخاص بالملك "من خير رع" .. واسمه [.. ..] "تيوت نفرى(٤). ولتأمر أيضًا بأن يُعطى لى عدد من الجنود المشاة

(١) "تاهى" هو الاسم الذى أضفاه المصريون على الجزء الكامل من الساحل الذى يمتد فيما بين أخوار النيل وتلك الخاصة بنهر العاصى. وتقع يافا فى بلاد "جاهى"، كمثل السامرة وأراد.

(٢) فى إطار اللغة الرسمية بالمستشارية المصرية، يُنعت جميع الأجانب بلقب: "باخيرى" أى الساقط (المهزوم)، المنقلب: "باخيرى إن تونب" مثلاً تعنى "المهزوم فى تونب"، وكذلك "باخيرى إن يافا" بمعنى "المهزوم فى يافا".

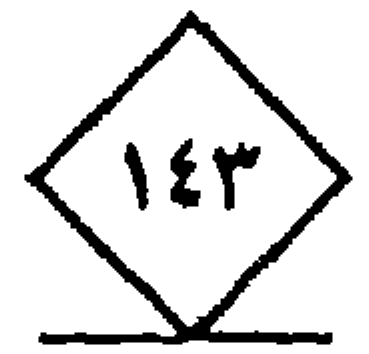
(٣) تعبير دارج لتوضيح مدى تأثر الملك بحدث مدمر.

(٤) الكلمات الأولى المكونة لاسم الصولجان قد دُمرت .. ولم يكن صولجان الملك فقط هو الذى يحظى باسمه الخاص. بل كذلك الأمر بالنسبة لعصاة أى فرد من العامة. وقد أثبت ذلك من خلال الكتابات فوق بعض الصولجانات التى تم العثور عليها فى المقابر، وحُفظت حاليًا بمتاحفنا. ويُحتمل أن المصريين، قد أضفوا شخصية واقعية وما يشبه الروح على الأشياء الطبيعية والمصنّعة التى تحيط بهم، وخلعوا على كل منها اسمًا علمًا.

التابعين لجلالته؛ وكذلك بعض قائدى المركبات؛ من أفضل وأزهى شجعان مصر .. وسوف أقتل مهزوم يافا وأستولى على مدينته". فقال جلالته: "هذا أمر رائع، رائع، ما ذكرناه". وسُلم له الصولجان الكبير الخاص بالملك "من خبر رع"، وأُعطى عددًا من الجنود المشاة، وكذلك قائدى المركبات الذين طلبهم.

وبعد مرور أيام كثيرة على ذلك، وصل "تحوتى"، إلى بلاد "جاهى" مع جنوده. فجهز حقيبة ضخمة مصنوعة من الجلد، حيث يمكن أن تستوعب بداخلها أحد الرجال. وأمر بطرق الكثير من الأغلال للقدمين واليدين. وأمر أيضًا بصناعة زوج كبير من القيود الحديدية المكونة من أربع حلقات؛ والعديد من الأغلال والقلادات الخشبية الضخمة، وأربعمائة جرة كبيرة الحجم. وعندما تم كل شىء، أرسل من يقول (على لسانه)، لمهزوم يافا: "إننى "تحوتى"، قائد فرق المشاة العسكرية بجيش مصر. ولقد تباحثت مع جلالته فى كافة هجماته على بلاد الشمال وبلاد الجنوب. ولكن، سرعان ما شعر الملك "من خبر رع" بالغيرة من ناحيتى؛ لأننى كنت أتسم بالبسالة والشجاعة. بل وأراد قتلى. ولكننى، هربت منه، وأخذت معى الصولجان الكبير الخاص بالملك "من خبر رع" وأخفيته، ضمن قفف العلف الخاص بجيادى، وإذا أردت، فسوف أعطيه لك. وسأنضم إلى جانبك؛ أنا والقادمون معى؛ وهم من أروع وأزهى شجعان جيش مصر". وعندما سمعه مهزوم يافا ابتهج كثيرًا، كثيرًا، من الكلمات التى قالها "تحوتى". فإنه كان يعلم أن "تحوتى" رجل شجاع؛ ولم يوجد له مثيل فى "الأرض قاطبة". وبذا، فقد أرسل، قائلاً لـ"تحوتى": "تعال معى؛ وسأكون بالنسبة لك بمثابة أخ". وسأمنحك بعض الأراضى، المنتقاة ضمن أحسن المواقع فى بلاد "يافا"(1).

(1) لقد استعنت، من أجل تصويب هذا الجزء من النص، بالموقف المماثل الذى تقدمه قصة "سنوهى".



خرج مهزوم يافا من مدينته، مع مدرب جياده، ونساء وأطفال بلده. وحضر أمام "تحوتى". وأمسك بيده، وقبله، وجعله يدخل فى معسكره. ولكنه، لم يدخل معه رفقاء "تحوتى" وجيادهم .. وأعطاه جزءًا من خبزه. وأكل وشرب معه. وقال له وهو يتحادث معه: "صولجان الملك "من خبر رع"، أين هو؟!".

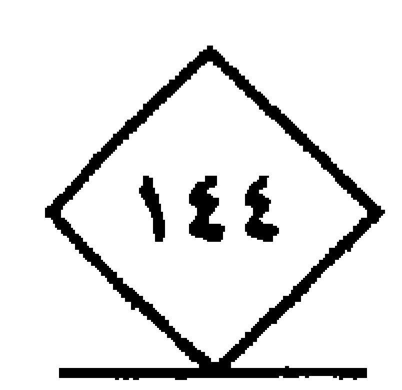
وهكذا، فإن "تحوتى"، قبل دخوله معسكر مدينة "يافا" قد أخذ صولجان الملك "من خبر رع" الضخم، وخبأه بين عليق الجياد؛ ووضع العليق فى[1] القفف الخاصة، ورتبها بالطريقة ذاتها التى تُنظم بها قفف عليق فرق فرسان جيش مصر. وبذا، وبينما كان مهزوم يافا يرتشف شرابًا مع "تحوتى"، كانت المجموعة المرافقة له تتحدث مع جند مشاة الفرعون، وتتناول معهم بعض الشراب. وبعد أن أمعنوا فى احتساء الشراب، قال "تحوتى"، لمهزوم يافا: "من فضلك!، خلال بقائى مع نساء وأطفال بلدك؛ فليقم البعض بإدخال الرفاق مع جيادهم، من أجل إعطائها شيئًا من العليق. وإلا فقد ينطلق أحد العبرو[2]عَدْوًا، إلى موقعهم!". وتم إدخالهم، وأُوثقت الجياد، وقُدم لها العليق. وعندئذ، عثر على الصولجان الضخم الخاص بالملك "من خبر رع" .. وأسرع البعض بإخبار "تحوتى".

بعد ذلك، قال مهزوم يافا لـ"تحوتى": "إننى أرغب فى تأمل الصولجان الضخم الخاص بالملك "من خبر رع"، الذى يُسمى باسم "تيوت نفرى"

---

(١) هنا يبدأ الجزء الذى حُفظ حتى الآن من النص. فبداية من هذا المكان، تبدو كافة التصليحات التى سمحت لنفسى بعملها، لكى يكون السرد مفهومًا .. قد حُصرت ما بين قوسين معقوفين.

(٢) اعتقد "م. شاباس" أن هذا الاسم يشير إلى العبرانيين. وأرى من ناحيتى، أن الكثير من الأحوال لا تسمح لى بتقبل مثل هذه النظرية. وكذلك بالنسبة للاستنتاجات التى تسرع البعض باستخلاصها منها. إن ما أحيط به من معلومات، تثبت انعدام أية إشارة مؤكدة عن وجود الشعب اليهودى فى الوثائق المصرية.

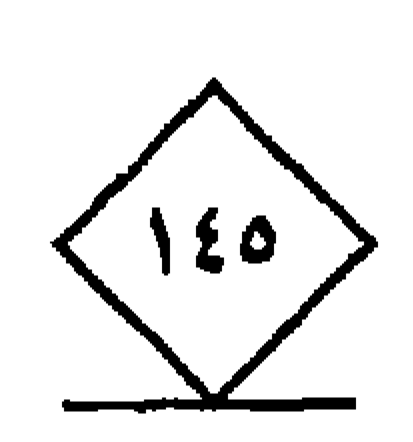


فبحق قرين[١] الملك "من خبر رع"، بما أنه معك، فى هذا اليوم .. الرائع، فلتحضرها لى". ونفذ "تحوتى" ما طلب منه؛ وأحضر صولجان الملك "من خبر رع". وأطبق على مهزوم يافا من ملابسه. ووقف شامخًا على قدميه، وقال: "انظر، هنا، أيا مهزوم يافا الصولجان الضخم الخاص بالملك "من خبر رع"، الليث الرهيب، ابن "سخمت"[٢]؛ الذى يهبه "أمون" أبو القوة والسطوة!!". ورفع يده عاليًا وضرب مهزوم يافا فوق صدغه .. فسقط هذا الأخير فاقد الوعى أمامه! وقام بوضعه فى الحقيبة التى كان قد أعدها بواسطة بعض الجلود. وأمسك .. وطلب إحضار زوج الأغلال الذى كان قد جهزه. فكبل يدى مهزوم يافا ثم قُيدت قدماه بزوج القيود ذى الحلقات الأربع[٣]. وأمر بإحضار الجرار الأربعمائة التى كان قد عمل على صناعتها. ووضع بداخلها مائتى جندى. ثم، بعد ذلك، ملأ جوف الثلاثمائة الأخرى بالحبال والقيود الخشبية؛ وتم ختمها بالختم، وكسوتها بغطائها الخاص، وبتجهيزات الحبال اللازمة لحملها. وحُملت فوق أكتاف العدد اللازم من الجنود الأقوياء، عددهم الإجمالى:

(١) لقد بينت سابقًا عما يعنيه قرين المصريين. وعن قرين الملك، فإنه كان يُمثل فى هيئة شعار، مكون من ذراعين مرفوعتين عاليًا؛ توجد بينهما الألقاب المكونة لأحد أسماء الملك: أى، الراية الملكية. وقد ثبت كل ذلك فوق عصًا خاصة بالرموز: حيث يُرى من خلال النقوش الغائرة، خلف الملك نفسه.

(٢) لزمن مديد، اعتُقد أن سخمت هى باخت وهى إحدى الألهات الرئيسات فى إطار مجمع الآلهة المصرى. وتنتمى إلى الثالوث الأعظم فى منف. ولُقبت بلقب: "رفيقة بتاح الكبرى". وكانت تُمثل فى شكل لبؤة؛ أو برأس لبؤة. وتبرر خاصيتها هذه، السبب الذى جعل الملك "تحتمس الثالث"، الذى يُعتبر بمثابة ابن لها .. قد يُسمى فى نصنا هذا باسم "الأسد الرهيب".

(٣) يبدو لى، أن الخديعة قد تركزت فيما يلى: حيث يقتل أمير "يافا"، ثم جعله يبدو وكأنه "تحوتى" نفسه. وتم وضع الجثة فى حقيبة جلدية، كانت قد أُعدت مسبقًا، بحيث لا يستطيع أحد أن يتبين تقاطيع الوجه أو الجسم .. ويكشف الخدعة. ثم تُكبل الجثة المتدثرة. هكذا .. وفقًا لما يُفعل بجثمان أى مهزوم. وهذا بالفعل ما يذكره مدرب جياد الأمير، بقوله، آنفًا لأهالى المدينة: "لقد سيطرنا على تحوتى"!



خمسمائة جندى؛ وقيل لهم: "عندما تدخلون المدينة، قوموا بفتح الجرار التى يحملها زملاؤكم. وستأسرون جميع أهالى المدينة، وستقيدونهم فورًا بالأغلال. وخرج "تحوتى"، ليقول لمأمور إسطبلات مهزوم يافا: "ها قد سقط سيدك! فاذهب وقل لسيدتك[1]: "البهجة والسرور!! فإن "سوتخ"[2]، قد سلمنا "تحوتى"، وزوجته وأطفاله".

"وهكذا، أُخفيت، فى هيئة ضرائب فُرضت عليهم: المائتا جرة المليئة بالأفراد، وبالقلادات الخشبية والأغلال[3]".

وانطلق مدير الإسطبلات، فى مقدمة هؤلاء الأهالى، ليسعد قلب سيدته، قائلاً: "لقد سيطرنا على "تحوتى"! وفُتحت منافذ المدينة المقفلة من أجل إتاحة مرور الحمالين. فدخلوا المدينة. وقاموا بفتح الجرار التى اختبأ بها زملاؤهم. واستولوا على المدينة بأسرها، الصغار والكبار. وعلى الفور كبلوا الأهالى الذين يعيشون بها بالأغلال والقلادات الخشبية. وعندما استولى تمامًا جيش الفرعون على المدينة، خلد "تحوتى" إلى الراحة وأرسل برسالة إلى مصر للملك "من خبر رع"، سيده، يقول فيها: "اسعد وابتهج! إن "أمون"، أباك، قد وهبك مهزوم يافا وكل رعاياه، وأيضًا مدينته. فليحضر العديد من الأفراد لكى يأسروهم.

---

(١) زوجة الأمير، لم تكن فى المعسكر مع زوجها. ولكن شملتها قوة حراسة يافا بحمايتها.

(٢) "سوتخ" هو الاسم الذى كان المصريون يضفونه إلى الآلهة الرئيسة الخاصة بالأجناس الآسيوية. وترجع هذه التسمية إلى عهد الهكسوس. ويُحتمل أن بقاءها كان يرجع إلى بعض المحاولات التى كانت تُبذل .. لمزج إله الهكسوس مع أرباب مصر. ولقد تمت مطابقة "بعل"، بـ"ست". وانبثق من هذا الكيان المختلط، من عُرف باسم: "سوتخ" .

(٣) من الواضح أن رقم مائتين يبدو متعاكسًا مع رقم خمسمائة، الذى ذُكر قبل ذلك. فمن المحتمل أن الكاتب كان يفكر فى الجرار المائتين: وهى، فقط، التى تحوى الرجال. وربما أنه قدم هذا الرقم الجزئى .. دون أن يفكر فى الرقم الإجمالى: خمسمائة.

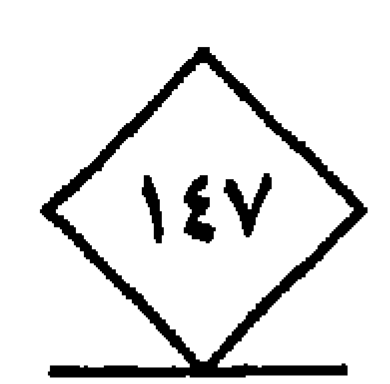
وأيضًا من أجل أن يُملأ بيت أبيك "أمون- رع"، ملك الآلهة، بالعبيد من الخادمات والخاضعين جميعًا تحت قدميك .. دائما وإلى الأبد !".

لحسن الحظ، انتهى هذا النص

بفضل الكاتب المُطَّلع على

خبايا النصوص ..

الكاتب ..





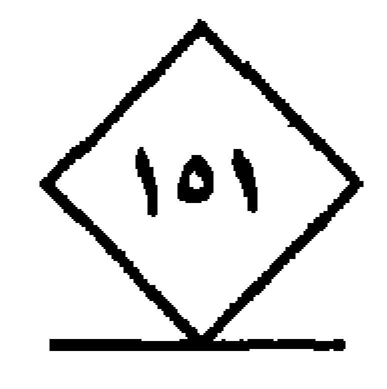
مغامرات سنوهي

إن "بردية برلين، رقم ١"، التى كان قد اشتراها "م. لبسيوس" من مصر؛ ثم نشرها فى الـ: Denkmaeler aus Aegyptien, VI, pl.104-107، تستوعب ثلاثمائة وأحد عشر سطرًا؛ كنص. ويُلاحظ أن الأسطر السبعين الأولى تبدو رأسية. ثم يليها بعد ذلك ستة وتسعون سطرًا (١٨٠-٢٧٦) أفقية. ولكن، بداية من السطر رقم مائتين وسبعين، وحتى النهاية، نجد أن الكاتب قد رجع ثانيًا إلى نظام القوائم الرأسية.

ونرى أن الجزء الأول بأكمله من هذا المخطوط، لا وجود له. ولا يمكن تمامًا تقييم مدى هذا النقص. وكذلك، يُلاحظ أن الأسطر الأربعين الأولى بالجزء المحفوظ: قد تضررت بعض الشىء من التقادم والتمزقات. ولكن، هناك خمسة أسطر (السطور ١،١٣.١٥،٣٨) تتضمن بعض الثغرات التى لا يمكن سدها. ومع ذلك، لم تُصب النهاية بأى ضرر، وهى تُختتم بهذه الصيغة السائدة: "لقد سار الأمر كما يجب، استهلالاً من البداية وحتى النهاية .. وفقًا لما جاء بالكتاب".

وتتراءى الكتابة، فائقة الوضوح، وشديدة الجرأة بالأجزاء الرأسية. ولكنها تصبح ثقيلة ومبهجة، بالأخرى الأفقية. وتبدو مليئة بظاهرة ربط الأحرف، والأشكال السريعة .. التى قد تصعب أحيانًا قراءة الخط بوضوح.


وقد قام بدراسة وتحليل "بردية برلين"، كل من:



- M. Chabas, Les Paspyrus de Berlin, récits d;il ya quatre mille ans, p.37-51. et panthé on Litteraire, t.I,.

وبأكملها فى:

- M. Goddwin, Frazer's Magazine, 1865, p.185-202.

ثم فى كتب صغيرة:

-The Story of Saneha, an Egyptien Tale of four thousand years ago, translated from the hieratic text by Charles Wycliffe Goodwin, M.A (Reprinted from Frazer's Magazine), London, William and Norgate, 1866, in 80, 46p.

وقد تم تصحيح هذه الترجمة من جانب المؤلف نفسه فى:

- Zeitschrift, 1872, p. 10-24.

ثم استُنسخت فى:

- Records of the Past, t.VI, p.131-150.

- ماسپيرو، بردية برلين رقم ١، ترجمها وفسرها "ج. ماسپيرو" (دراسات بالكوليدچ - دى فرانس، ١٨٧١-١٨٧٦)؛ وفى:

- Les Mélanges d'Archéologie egyptienne et assyrienne,t III, p.68-82, 14 et sqq.

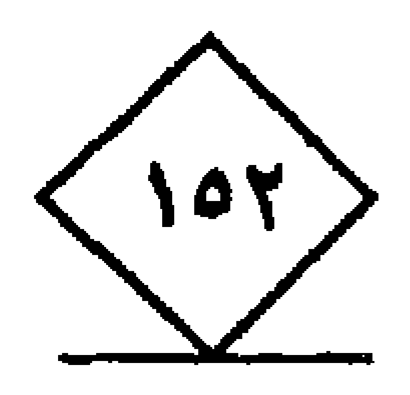
- استُنسخت، جزئيًا، ببعض التصويبات، فى:

- l'Histoire ancienne des peuples de l'Orient, p. 104-107.

وأخيرًا، قدم "م. هنرى دانيل هيچ"، دراسة للمعطيات التاريخية والجغرافية، فى موضوع تاريخى خاص فى:

- Zeitschrift, 1875, p.78-107.

ولدينا فوق الأوستراكا رقم (٥٦٢٩) بالمتحف البريطانى نسخة من جزء بهذا النص. ويتبين أن هذه "الأوستراكا"، التى أشار إليها بداية "م بيرش"، فى كتاب ; Memoire sur le papyrus Abbot .



وقد قام بنسخه فى صورة فاكسميلى فى:

- Inscriptions in the Hieratic and Demotic caractere, from the Collections of the British Museum, in-folio, London, MDCCCLXVIII p1. XXIII et p.8.

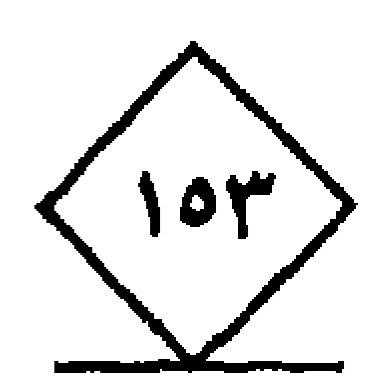
ويُلاحظ أن مطابقة النص الذى يتضمنه سرد الأسطر الأخيرة فى "بردية برلين رقم " قد أشار إليه، للمرة الأولى:

- Goodwin, On a Hieratic Inscription upon a stone in the British Museum.

فى الـ: Zeithschift, 1872, p.20-24؛ حيث نجد أن ترجمة النص ونسخه قد قُدمت كاملة. أما عن الكتابة، فهى ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة. ولا شك أن هذه الملحوظة لها قيمتها فعلاً. فهى تثبت لنا، أن القصة التى كانت قد وضعت حوالى الأسرة الثانية عشرة، قد استمرت على كلاسيكيتها طوال ما يقرب من عشرين عامًا بعد ذلك.

واعتبار أن النص المنقوش فوق الأوستراكا، يختلف من خلال عدة تفاصيل عن نص البردية، فقد يبدو مجديًا ولازمًا أن يُدمج به ترجمة كاملة، قد تسمح للقارئ الفضولى بأن يلاحظ ما يلى: مدى التغيرات التى طرأت فى أعمال التحرير والكتابة .. على مدى الأجيال:

"وتم من أجلى بناء هرم من الحجر فى نطاق الأهرام. وقام نحاتو الحجر بنحت المقبرة. وقسموا الجدران وأنجز الرسامون الرسم. وأبدع رئيس المثالين تماثيله. وقام رئيس المعماريين القائمين بالبلد العليا بالطواف على أرض مصر كلها. وبدا الأثاث نادرًا ونفيسًا. ولقد أُغدقت عليه ثروات عديدة؛ وعُين من أجله عدد كبير من الفلاحين. وأُقيمت أحواض، وحقول، وخزانات فى الأملاك الجنازية، وفقًا لما يؤدى للأصدقاء الرفيعى الشأن. كما وجد تمثال ذهب ذو مئزر قرمزى، أعده من أجلى أبناء الملك. وقد سعدوا لعمل ذلك من أجلى .. فإننى كنت



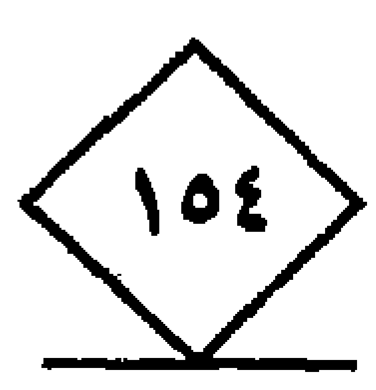
أحظى بحظوة الملك. حتى جاء اليوم الذى يصل فيه الإنسان إلى الضفة الأخرى. انتهى، لحسن الحظ بسلام".

* * *

تُستهل القصة بلحظات هروب "سنوهى"، حيث سمع أصوات الأفراد الذين كانوا يتبعونه، فاختفى بإحدى تعرجات الطريق. وتمكن من الفرار منهم. وفى واقع الأمر، أن ما تبقى من المخطوط، لا يفيدنا مطلقًا عن الأحوال المتعاقبة، التى يعيشها؛ وانتهى به الأمر إلى ضرورة هجره لوطنه. ولكننا نرى فقط، أن الخوف من الملك هو الذى قاده إلى طريق المنفى. وأنه كان عائدًا من بلاد "تامحو" . كما لم نتبين أهدافه تجاه الفرعون. بل إنه لم يكن يستحق أبدًا زوال حظوة الفرعون.

وربما قد نتعرف هنا على قصة مماثلة لتلك التى كتبها "هيرودوت" بخصوص "سقوط أبريس" (II, Ct. XVIII). فقد عرف أن أحد النبلاء المصريين الذى بُعث فى مهمة ما، لم يحقق نجاحًا. وبذا، فقد أمر الفرعون بجدع جزء من جسمه وتشويهه: فربما أن "سنوهى" كان مهددًا، بمثل هذا المصير؛ عند رجوعه من بلاد تامحو !!

وعن الجزء الأول من القصة، فهو يُستهل فى المناطق الشرقية بالدلتا. ونجد أن "م. بروجش"، قد حاول، من خلال "قاموسه الجغرافى، ص٥٢-٥٥"، أن يحدد موقع المناطق التى تُتناقل الأحداث، فى نطاقها على التوالى. ووفقًا لرأيه، فإن "بلد الجميزة"، هى أصلاً مدينة باناهو الخاصة بالأقباط؛ أو أتريب المتعلقة باليونانيين؛ أما اليوم، فهى "بنها العسل". وعن "وادى إنورو" فهو مقاطعة ميكفوريتس التى ذكرها هيرودوت (III, Ct,XV). وذلك بفضل النطق: "موى بيك سنورو" التى تبينها العلامات المكونة للاسم. أما "بتن" فربما أنها تتطابق بإحدى بلاد "بات"؛ وحاليًا، تُعد مدينة "بلبيس" بمثابة مركزه. أما مجموعة "سوخيت" التى يمكن أن أترجمها إلى مجموعة عبارات معتادة، فقد تكون اسمًا



لأحد البنادر المتطابقة بـ"سوخيت" بإقليم تل بسطة. جملة القول أن كافة المناطق، ربما قد تجمعت بأراضى إقليمى بوباستيت، وميكفوريتس.

ولكن، يُهيأ لى أن أغلبية هذه التقاربات قد تكون غير مؤكدة. ومع ذلك، فإن "م. بروجش"، قد يكون، بصفة عامة على حق: وأن البلد الذى طاف به "سنوهى"، هو بالفعل الواقع ما بين "تل بسطة"، و"البحيرات المُرة" فيما وراء الحدود المحصنة، بإحدى بلاد "إديما أو إدوما" حيث ذكر "م. شاباس"، مصيبًا بأنها بلاد "إيدوم" (بردية برلين، ص٣٩-٧٥-٧٦). وتُعد هذه البلد بمثابة جزء من "تنو العليا". وهى تستوعب بالتالى الجزء الواقع ما بين البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء. وقد منح "تنو" للبطل المصرى ولاية تُعرف باسم "آيا" ويعنى اسمها هذا نوعًا من النباتات، ويعيد، إلى حد ما اسم Aean الذى أطلقه على الأقاليم المجاورة لخليج العقبة، جغرافيو العصر اليونانى الرومانى.

ولقد مكث "سنوهى" حوالى عدة سنوات على صلة بالبدو الرحالة النبّالين، أى سيتيو وعند عودته، خرجت لاستقباله إحدى الحاميات المصرية المتمركزة فى موقع حدودى: "حريوحور" أو "طريق حورس" بمعنى طريق الفرعون .. الذى يُطابق عادة بـ"حورس". وفى الواقع، إننى لا أعرف أين توجد هذه المنطقة.

ولقد أتاحت لى الفرصة العمل طوال خمس سنوات كاملة، أن أقوم بنسخ هذا النص الفائق الصعوبة وتسجيله. وأعتقد أنه فى الإمكان اعتبار جزئه القصصى، واضحًا تمامًا ..باستثناء بعض الحيل. ولا شك أن العرائض المقدمة، والرسائل والحوارات التى تكاثرت فى أجواء هذا النص، تشكل صعوبة هائلة !!.. وربما قد يلزم الأمر، فى المستقبل القريب تغيير بعض تفصيلاتها.

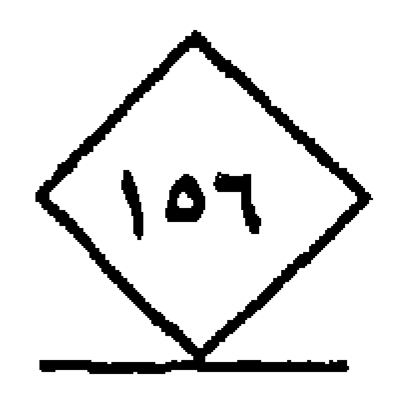
مغامرات سنوهى
(الأسرة الثانية عشرة)

لقد سمعت صوته؛ وبينما كان يتحدث، بدأت أسلك طريقى. وشعرت عندئذ، بقلبى، وتدلت ذراعاى بجانبى، واجتاحت الرعشة كافة أعضاء جسدى. وأخذت أهيم هنا وهناك. نعم، كنت أسير على غير هدف، للبحث عن مكان يمكن أن ألبد فيه. وأخيرًا، ارتميت فى أعماق حشائش الغابة، لكى أجد منفذًا أمر منه .. فوجدت نفسى متوجهًا نحو الجنوب. ولم يكن هناك من يصيح فىّ قائلاً: "اجْرِ نحو هذا المأوى"؛ عندما كنت أجهل إننى مهدد بالخطر. بل لم يُقَل لى أبدًا: "فلتُمنح له الحياة"؛ عندما كنت أدير ظهرى لـ"بلد الجميزة"(١).

وهبطت إلى "وادى سنفرو"(٢). وقضيت الليل فى أرض القرية. وبدأت مسيرتى عند انبثاق النهار؛ ثم تقابلت مصادفة مع رجل كان يقف على

---

(١) أحد أسماء مصر.
(٢) حرفيًا، حوض سنفرو . بل هو أيضًا أول ملوك مصر الذى عرفنا نُصبه ومنشآته. ويمثل وادى سنفرو وفقًا لما ذكره "م. بروجش" "القاموس الجغرافى"، ص٥٤؛ كل من جزيرة ميكفوريتس ومنطقة ميكفوريتس . ولا أرى، من خلال النص، أن "سنوهى" كان يعيش فى جزيرة.



الطريق فتوسل إلىّ أن أرحمه وأعفو عنه، لأنه كان قد يوجس خيفة منى. وعند موعد العشاء، وجدت نفسى على مقربة من منطقة .. ..[1]. وعبرت المياه فوق صندل صغير، بدون دفة. وبعد أن تجولت لبعض الوقت، وجدت نفسى على مقربة من "أبتى"[2]، وتوجهت نحوها. وبينما كنت أصيح عجبًا وحزنًا على فراق الأرض التى وُلدت فوقها، شعرت بنفسى أتوجه مباشرة نحو الشمال. وهناك، وصلت إلى الحصون التى كان الأمير قد شيدها لصد هجمات البرابرة [3]. وقبعت متخفيًا بين الحشائش، خوفًا وخشية، عند رؤيتى للحرس القائمين فوق قمة الحصن، طوال النهار؛ ثم أمضى فى طريقى خلال الليل.

عند بزوغ الفجر، كنت قد وصلت إلى "بتن"[4]. فتوجهت نحو وادى قمور[5]. وحينئذ، أحسست بظمأ شديد. وتداعيت إرهاقًا وشعرت كأن حلقى يتأجج نارًا. وهنا، بدأت أقول لنفسى: "ها هو طعم الموت ومذاقه!!". وفجأة، عندما بدأت أنعش قلبى، وأستجمع قواى .. تناهى إلى سمعى صوت بعض البهائم. وعندئذ، رأيت أحد البرابرة؛ وأخذت أتوسل إليه لكى يبين لى الطريق الذى يمكن أن أسلكه، لكى أبتعد عن أرض مصر. فقدم لى بعض المياه. وتوجهت معه إلى أفراد عشيرته، وأرادوا إعطائى قطعة أرض من أراضيهم. ولكننى، ابتعدت فورًا .. وأخذت أعدو إلى بلاد "كدمى"[6].

---

(١) لقد دُمر اسم هذا البندر. ولا يمكن إصلاحه.

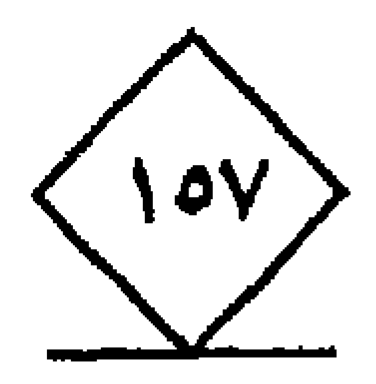
(٢) وفقًا لرأى "بروجش"، "القاموس الجغرافى"، ص٥٥، لا يُعتبر هذا الاسم بمثابة اسم مدينة. بل هو، بكل بساطة، يعنى: نحو الشرق.

(٣) إنها خطوط المراكز المحصنة التى أقامها الفراعنة بشرق الدلتا. حيث عزا المؤرخون الإغريق بناءها إلى "سنوسرت".

(٤) يُنظر ص١٠٢ بالنص الفرنسى: عند بداية هذه القصة، المطابقة التى اقترحها "بروجش".

(٥) "قام أويرت" : اسم إحدى المناطق التى تقع بأراضى "أتريب"، فى الدلتا (بروجش، القاموس الجغرافى، ص٨٣٨-٨٣٩).

(٦) بلاد "إيدوم".



وبعد مرور عام كامل، أمر "آمو" أمير "رتنو" العليا باستدعائى، وقال لى: "فلتبق معى. فسوف تستمع إلى لغة مصر". لقد قال لى ذلك، لأنه كان يعرف قدرى وقيمتى، بل وكان قد سمع بما أتمتع به من أهلية وجدارة، وفقًا للشهادة التى قدمها عنى بعض المصريين الذين وُجدوا فى هذا البلد(1). وهذا إذًا ما قاله لى: "إن وصولك حتى هذا المكان لأمر عجيب حقًا !!.. تُرى، هل حدثت وفاة ما فى قصر ملك أرض مصر "حتب حترى"(2)، دون أن يعرف أحد ما حدث فى هذه المناسبة". وأخذت أتغنى إطنابًا وتقريظًا فى الملك، من خلال عرض شاعرى؛ وأجبت: "عندما قدمت من بلاد "تامحو"(3) كان قصدى الالتزام بالسرية والتكتم .. ولم يكن .. .. .

"لقد تلاشى قلبى، ولم يعد بداخلى، فى صدرى. والخوف هو الذى قادنى إلى طريق الهروب، بدون أن أرتكب أى إهمال، ودون أن ينطق فمى، بأية كلمة تهكم، وبدون أن أنصت لنصيحة بالتخاذل ودون أن يُسمع اسمى من فم القاضى.

وأنا لا أعرف لماذا قُذف بى إلى هذا البلد. إن ذلك يبدو وكأنه قدر محتوم من الإله (الملك)، لأن هذه الأرض كيف سيكون مصيرها، إذا لم

---

(1) يُحتمل انهم هاربون فروا من مصر، فى أحوال مشابهة لتلك التى استدعت هروب سنوهى.

(2) الاسم العلم الخاص بالملك "أمنمحات الأول" مؤسس الأسرة الثانية عشرة. وقد يبدو السؤال من جانب أمير "تونو"؛ ولكنه، فى الواقع طبيعى جدًا؛ خاصة أننا نعرف من خلال بعض الوثائق الأخرى (بردية ساليبيه، ٢، ص١) أن أمنمحات الأول كاد أن يقع ضحية مؤامرة بالقصر الملكى. وبذلك، فإن "آمو" يس ال سنوهى عما إذا كان قد تورط، فى مثل هذا النمط من المحاولات. وعما إذا كان قد اضطر للفرار من مصر، بعد اغتيال الملك، ولذلك نلاحظ أن "سنوهى" قد أجاب عن هذا السؤال بواسطة بعض عبارات المديح والإطناب للفرعون. ولعل المغالاة فى الإطناب هنا، تُعد بمثابة دليل على الإخلاص والبراءة.

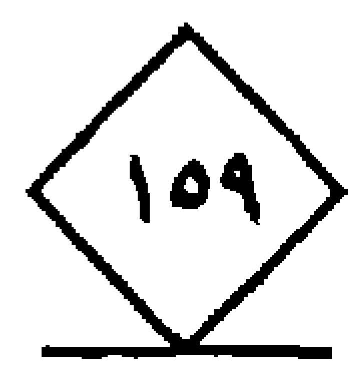
(3) اسم أُطلق على عشائر البربر الذين كانوا يعيشون فى صحراء ليبيا، غرب مصر.

تكن تحظى بهذا الإله الخيِّر؟.. إن خشيته ينتشر مداها عند البلاد الأجنبية مثل "سخمت" حيث تحل سنة كاملة من الطاعون. فأفصحت له عما أفكر فيه. وأجبته قائلاً: أنقذنا. ثم جاء ابنه نحوه فى القصر. وأخذ بزمام قيادة شئون أبيه. إنه قطعًا إله، لا مثيل له أبدًا. ولا يوجد أحد مطلقًا أمامه. إنه أستاذ فى الحكمة، وحريص فى أهدافه، وخير بما يتسم به من مهارة. إنه يروح ويجىء وفقًا لرغبته وهو يروض المناطق الأجنبية. وفى حين كان أبوه يجلس بداخل قصره، حضر وقال له، إن ما كان قد قرر عمله قد أُنجز. إنه قطعًا، باسل شجاع، يتصرف وفقًا لسيفه. بل هو مقدام، لم يوجد له نظير. فهو يُرى وقد انطلق لمهاجمة البرابرة، وينقض على اللصوص. إنه قاذف لحربته ويجعل أيدى الأعداء واهية ضعيفة. إن من يصرعهم لا يستطيعون أبدًا رفع الدرع.

إنه باسل شجاع، يحطم الجماجم. ولم يصمد أحد مطلقًا أمامه. وهو عدَّاء فائق السرعة، يدمر المنهزم الفرَّار: ولا يمكن اللحاق به أبدًا عند العَدْو وراءه. إنه قلب صلب فى زمنه. إنه ليث يضرب بمخالبه. ولم يتنازل أبدًا عن سلاحه. وقلبه يوصد أمام الشفقة: فعندما يرى الآلاف من الأعداء، لا يبقى أحد خلفه فى قيد الحياة. إنه مقدام جَسور ينطلق إلى الأمام، إذا ما لاحظ المقاومة.

إنه جندى يبتهج فرحًا عندما يندفع نحو البرابرة: فيمسك بدرعه، ويقفز. ولم يضطر أبدًا لإعادة ضربته. إنه يقتل بدون أية حاجة لإدارة اتجاه حربته. وحتى بدون أن يشد قوسه.

إن البرابرة يفرون من ذراعيه، وكأنهم كلاب سلوقى. لأن الربة الكبرى[1]، قد أمرته بأن يصارع من يجهل اسمه. وإذا أصاب، فلا يجب أن يرفق أبدًا، فلا يجب أن يُبقى على شىء. إنه محبوب كل الحب.



(١) أحد الألقاب التى تُخلع على "سخمت" ومختلف تجلياتها المحاربة.

وعرف، بكل براعة كيف يكتسب الحب: إن بلده تحبه أكثر من ذاتها؛ وتبتهج به؛ أكثر من ابتهاجها بإلهها الخاص. والرجال والنساء يُهرعون إلى نداءاته. لقد تُوج ملكًا، وحكم بداية من البيضة [1] حتى ينفض مولده. إنه مضاعف لأعداد المواليد. بل هو كائن فريد من نوعه، ذو منبت إلهى. وهذه الأرض يغمرها السرور والفرح لأنه يحكمها. إنه يوسع للحدود، وسوف يستولى على مدن الجنوب؛ ولكنه لا يطمع فى بلاد الشمال: فإنه، بالعكس، يقاوم زعماء البدو ويدحر سكان الرمال[2] وإذا نزل هنا، فيجب أن يعرف اسمك، وذلك، من خلال التكريم والتبجيل الذى ستوجهه لجلالته. فهو يعمل خيرًا من أجل البلد الأجنبى الذى يطيعه".

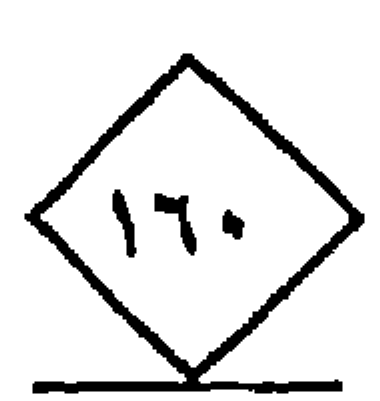
"فأجابنى زعيم "تونو": "إن حكم مصر، سوف يكون سعيدًا؛ وازدهاره دائمًا !.. ما دمت باقيًا معى؛ وسوف أمنحك كل الخير!". وبوأنى مكانة أرفع من أبنائه. وزوجنى من ابنته الكبرى. ووافق على أن أختار لنفسى فى أملاكه، أحسن ما يملكه على حدود بلد مجاور له. إنها أرض رائعة، تُسمى "ياء"[3] وتضم أشجار التين وكرمات العنب. والنبيذ فى أجوائها، أعظم كمًا من الماء ! أما العسل فغزير للغاية. وهناك الكثير من أشجار الزيتون وكافة منتجات تلك الأشجار. كما يوجد قمح ودقيق بكميات لا حدود لها؛ وأيضًا كل أنواع البهائم. قطعًا، كان هذا أمرًا عندما أنعم علىّ؛ حيث جاء الأمير لكى يقلدنى ويبوأنى أمير عشيرة فى أفضل بقاع بلده. وكنت أتلقى خصيصًا يومية من الخبز والنبيذ لكل يوم. وكذلك لحومًا مطهية، وطيورًا محمرة؛ بالإضافة إلى طرائد البلد التى كنت

---

(١) صيغة مصرية للتعبير عن أن السلطة تصبح بين يدَى الملك، حالما يتكون فى أحشاء أمه.

(٢) عشائر البدو الرحّل الذين يعيشون فى الصحارى، بشرق مصر. وهم يُسمون أيضًا بالـ"حريو شاو": سادة الرمال. ويُحتمل أن التسمية "نوماشاو" تعنى: الذين يسودون على الصحراء.

(٣) تم شرح هذه الكلمة فى التقديم للقصة؛ لمعرفة التطابق المقترح لهذه المنطقة.



آخذها، أو كانت توضع أمامى إضافة إلى ما كانت تأتى به كلاب الصيد الخاصة بى. وكانت تُعد من أجلى كميات كبيرة من الزبد[1]، ولبن مطهو بكافة الطرق والوسائل. وقضيت هناك سنوات مديدة. وأصبح الأولاد الذين أنجبتهم أقوياء أشداء. وكان كل فرد منهم يهيمن على قبيلته.

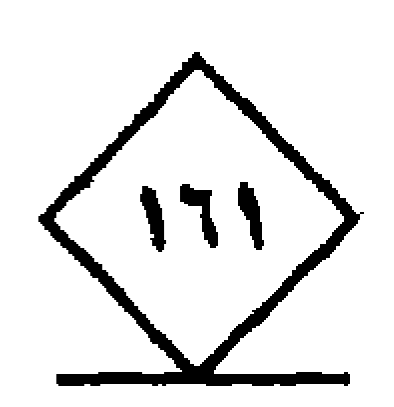
وعندما كان أحد المراسلين يذهب ثم يجىء إلى البلد؛ كان يحيد عن طريقه ويتوجه ناحيتى: فإننى كنت أقدم العون للجميع. فكنت أقدم الماء للظمآن، وأتيح مرور المسافر الذى مُنع من المرور؛ وكذلك كنت أوقع العقاب على اللصوص والأشرار. وبالنسبة للبدو[2] الذين كانوا ينطلقون بعيدًا لمحاربة أمراء البلاد الأجنبية ودحرهم، فكنت أصدر إليهم أوامرى: فيبدءون زحفهم. لأن أمير "تونو" قد أمر بأن أشغل، طوال سنوات عديدة رتبة قائد جنوده ..

وبذا، فإن كل بلد أنطلق نحوه، فإن أهله، عندما يُفاجأون برؤيتى، كانوا يرتجفون هلعًا على المراعى القائمة على ضفاف البلد. فكنت أستولى على بهائمه، وآسر المقطعين، وأختطف عبيدهم، وأقتل أهله: لقد كان تحت رحمة رمحى، وقوسى ومسيراتى، وخططى المدبرة تدبيرًا جيدًا، التى تدعو لفخر وتعظيم قلب أميرى. وهكذا، أحبنى، عندما عرف شجاعتى وإقدامى. فعيننى رئيسًا لأبنائه؛ عندما لاحظ قوة ساعدى وصلابته.

---

(١) لقد تُرك مكان هذه الكلمة أبيض فى مخطوط برلين. ويُحتمل جدًا إنه كان من الصعب قراءته فى البردية الأصلية التى استُنسخت منها النسخة التى فى حوزتنا، المتعلقة بقصة "سنوهى". وربما أن الكاتب قد فضل عدم ملء المكان الفارغ، وألا يسد الثغرة وفقًا لرغبته الشخصية. عمومًا، إن التصويب الذى اقترحته، يستند على: أن اللبن المطهو بكافة الأساليب، يقترن غالبًا مع الزبد والجبن.

(٢) حرفيًا: "النبالون". وهو الاسم النوعى الذى أطلقه المصريون على عشائر البدو الرحّل بسوريا. وذلك، تعاكسًا مع "مونتيو" الذى يشير إلى القبائل المزارعة.



وقد جاء أحد أقوياء "تونو" إلى خيمتى ليتحدانى. وحقًا، كان بطلاً لم يوجد له نظير أبدًا، حيث إنه قد دهسهم جميعًا. وقال:

"فليتصارع معى "سنوهى" لأنه لم يضربنى أبدًا من قبل". وأخذ يزهو بأنه سوف يأخذ بهائمى من أجل عشيرته. هنا بدأ الأمير يتشاور معى، فقلت: "إننى لا أعرفه أبدًا. وقطعًا، إننى لست أخاه. وأنا قائم بعيدًا عن مسكنه. فهل عسانى، فى يوم ما، فتحت بابه، وتخطيت سياجه؟!.. إنه شخص غيور يطمع فى رؤيتى: ويعتقد أنه كُلف بتجريدى من قطعى، ومعيزى، وكذلك بقراتى؛ وأن ينقض على ثيرانى، وخرافى، وبهائمى؛ حتى يستحوذ عليها لنفسه. فإذا كان مجرد كائن تعس يصبو إلى الثراء على حسابى؛ أو أنه بدوى وبدوى بارع .. فليعرض الأمر على القضاء!!

"أما إذا كان ثورًا يهفو إلى الصراع أو ثورًا متميزًا يحب أن تكون له دائمًا الكلمة الأخيرة؛ وإذا كان قلبه قادرًا على المقاتلة .. فليقل ما يقصده قلبه. وهل عساه الإله سوف ينسى إنسانًا فضَّله وميَّزه حتى الآن ؟!.. إن الأمر يبدو وكأن هذا المتحدى قد أصبح فعلاً بين الراقدين على الأسرَّة الجنازية!". وأخذت أوتر قوسى وأخرجت سهامى، وجهزت خنجرى؛ وصقلت أسلحتى ..

"وعند بزوغ الفجر، اندفع أهالى "تونو": حيث اجتمعت العشائر والقبائل؛ ودُعيت كافة البلاد الأجنبية التابعة. فإن "تونو" كانت ترغب فى هذا القتال. وكل قلب من القلوب كان يتأجج حمية من أجلى. وكافة الرجال والنساء كانوا يصيحون: "آه!!". فإن كل قلب كان قلقًا بشأنى. بل ويضيفون قائلين:

"هل هو رجل شجاع آخر يريد أن يقاتله؟!.. فها هو الخصم، ومعه درعه، وفأس المقاتلة، ومجموعة من الحراب". وعندما خرجت، وتراءى هو أيضًا؛ ابتعدت عن مرمى سهامه. ثم صوبت قوسى نحوه. وعندما انغرس سهمى فى عنقه، أطلق صرخة وانهار أرضًا على أنفه: فأطحت بحربته بعيدًا. وصحت صيحة الانتصار فوق ظهره .. وحينما كان جميع



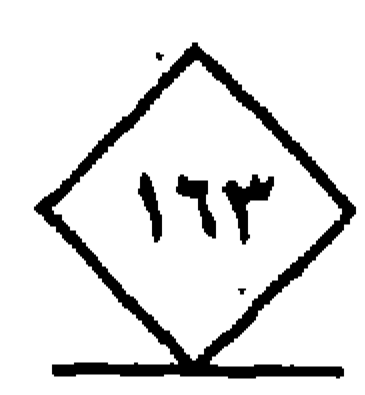
القرويين يعبرون عن فرحهم. كنت أقدم شكرى وحمدى لـ"مونتو"[1]. بواسطة تابعيه. وقام هذا الأمير المدعو "تنشى بن آمو"، بمنحى كل ممتلكات المهزوم. ووقتئذ، أخذت كل ما يملكه، وبهائمه. إن كل ما رغب أن يفعله بى، قد فعلته أنا به. واستوليت على محتويات خيمته. وجردت مأواه من كل ما يضمه: ومن هذا المنطلق ازداد ثراء كنوزى وعدد بهائمى.

هذا إذًا ما فعله الإله من أجلى، أنا الذى اعتمدت عليه. فها أنا وقد جئت كجندى هارب إلى بلد أجنبى، أبدو الآن، وقلبى مفعم بالفرح والسرور. وها أنا قد أُنقذت بفرارى من المكان الذى كنت أعيش فيه. وحاليًا يهب الجميع للتعبير عن ودهم وإعزازهم. وبعد أن كنت قد خرجت وأنا أكاد أموت جوعًا، فإننى الآن، أهب الخبز، فى هذا المكان الذى أوجد فيه. لقد غادرت بلدى عاريًا، وأنا الآن أرتدى ملابس من الكتّان الرقيق الرفيع المستوى. وبعد أن كنت مجرد هارب، لا أتباع له؛ فأنا اليوم أملك العديد من العبيد. وبيتًا جميلاً بديعًا؛ وأملاكى واسعة المدى. وذكراى قائمة فى معبد جميع الآلهة [2]. ومع ذلك، فإننى ألجأ دائمًا إلى جودك وكرمك (؟): فلتُعدنى[3] إلى مصر. وامنحنى العفو بأن أرى ثانيًا المكان الذى أمضى فيه قلبى كل وقته !!.. فهل هناك اعتراض على أن يُسجى جسدى بالبلد الذى وُلدت فيه ؟!!.. إن العودة إليه هى السعادة كاملة. ولقد قدمت بعض الممتلكات للإله؛ وفعلت ذلك باعتباره شيئًا لازمًا لتدعيم [.. .. ..]. إن قلبه يعانى ويتألم، هذا الذى فر هاربًا

(١) إله الحرب فى طيبة. وكان يُعبد فى "أرمنت" على مقربة مباشرة من هذه المدينة الكبرى. ولقد طابقه الإغريق بـ"أبوللو" وهو إله شمسى. وغالبًا، ما تخلط المنشآت والنُصب بينه وبين "رع" .. الشمس.

(٢) كان كبار القوم المصريون، يحصلون من الملك، لحظوتهم الخاصة لديه، على التصريح بأن يقيموا فى المعابد، تمثالاً يصورهم. وكان يمكنهم، أيضًا، فى بعض المعابد الشهيرة، تعليق لوحة تحمل اسمهم، وبعض الابتهالات. وهذا ما يعنى، أن تُوفر للميت ذكرى رائعة فى معبد الآلهة.

(٣) بداية من هذا الجزء، يوجه "سنوهى"، حديثه للملك مباشرة.



لكى يعيش على أرض أجنبية. فهل يوجد إله كل يوم من أجله؟!!.. فهو الذى يسمع الدعوات البعيدة المدى. ولكن، هذا الإنسان، انطلق متجهًا إلى البلد التى وطئت أرضها قدماه لأول مرة ..

لقد تصالحت مع ملك مصر. وأنا أعيش الآن على هباته وعطاياه. كما أؤدى واجباتى للوصية على عرش الأرض[1]، القائمة فى قصرها، وأستمع إلى أحاديث أطفالها. آه !!.. إنه شبابى؛ وها هى الشيخوخة قادمة. إن الهبوط والانحطاط قد شملنى؛ لأن عينَى لا تتذكران أبدًا ما تريانه. وذراعاى تهبطان بتثاقل. أما ساقاى، فهما ترفضان الخدمة؛ والقلب يتوقف. إن الموت يقترب منى. وقريبًا، سوف أُنقل إلى المدن الأبدية [2]. ومنها سوف أتبع "الإله العالى"[3]. آه !!هل عساه يقول لى عن مدى جمال أبنائه .. ويهبنى الأبدية؟!

وقتئذ، تحدث جلالة الملك "خبركارع"[4]، ذو الصوت الصائب المحق[5]، إلى هذا الضابط الواقف بجواره. وأرسل جلالته برسالة إلىّ ومعها هدايا من جانب الملك. وأسعدنى كثيرًا، أنا من أتحدث إليكم، على

(١) ربما يقصد الملكة؛ بل يُحتمل الأوراوس (الحية) الملكية التى يضعها الملك فوق جبينه؛ والتى يُعتقد أنها تفكر وتحارب من أجله. وهى تلهمه بنصائحها؛ وعند اشتعال المعركة، فإنها تدمر الأعداء بواسطة المندفع من فمها.

(٢) المدن الأبدية أو البيت الأبدى، هو الاسم الذى يطلقه المصريون على المقبرة.

(٣) الإله العالى هو "أوزيريس"، الذى يرعاه ويتبعه كل مُتوفى مصرى.

(٤) إنه الاسم العلم الخاص بالملك سنوسرت الأول، ابن أمنمحات الأول وخليفته.

(٥) كان المصريون، كمثل كافة الشعوب الشرقية، يولون أهمية قصوى للكلمات التى توجهها صيغهم الدينية. بل بالإضافة لذلك، للتجويد والتنغيم لكل منها. أو لكى تكون الصلاة صحيحة ومعمولاً بها، وذات تأثير قوى، أمام الآلهة: كان الأمر يحتم تلاوتها بمصاحبة الشدو التقليدى. ولذلك، فإن أسمى درجات المديح الذى يمكن أن يُوجه لشخص ما، مضطر لتلاوة دعاء أو صلاة، أن يُقال عنه إنه "ماع خبرو" أى: ذو الصوت الصائب تمامًا. وإن صوته سليم، وإنه يعرف النغم الذى يجب أن يقدمه على كل جملة.



غرار أمراء كافة البلاد الأجنبية. وكذلك أبناء الملك[1] القائمون فى قصره، أسمعونى حديثهم.

* * *

"نسخة من الأمر الذى أُحضر إلىّ، أنا الذى أتحدث معكم من أجل رجوعى إلى مصر".

"حورس الممثل للإلهتين حياة المواليد، ملك مصر العليا والسفلى، خبركارع ابن الشمس "سنوسرت[2]، مُتع بالحياة دائمًا وأبدًا !!

"أمر للخادم "سنوهى!" "هذا الأمر من جانب الملك، قد أُحضر إليك، لإعلامك: "عند عبورك للبلاد الأجنبية، خارجًا من "كدمى" نحو "تونو"؛ فارًا من بلد إلى آخر، وفقًا لرغبة قلبك؛ ها هو ما يجب أن تفعله؛ وما سوف يُؤدى من أجلك! .. لا تسب ولا تشتم أبدًا، إذا حدث ذات مرة أن صددت بجفاء!.. تحدث أو اصمت فى اجتماع الشباب[3]، تبعًا لما تؤمر به. والآن، ربما أنك قد أنجزت هذا المشروع الذى طرأ على ذهنك. فلا تجعل قلبك يتذبذب أبدًا. لأن الفرعون الذى يُعتبر سماءك أنت، يتسم بالاستقرار، والازدهار؛ ورأسه عظم وانتصب عاليًا بين ممالك الأرض. كما أن أطفاله يقيمون فى مكان مخصص بالقصر.

---

(١) أبناء الملك : قد يكونون، إما أولاد الملك القائم على العرش، أو أبناء أحد الملوك السابقين. وهم يحتلون مكانة فى إطار تدرجات الملكية المصرية، بعد الملك مباشرة، والوصى، والملكة والملكة الأم.

(٢) يتكون اسم هذا الملك من الاسم العلم خبركارع سنوسرت الأول، لتعميم هذا التركيب، تُنظر المقدمة.

(٣) الكلمة المصرية التى ترجمتها هكذا، تعنى "شاب". وهى تفيد الإشارة إلى أحد تدرجات البلاط الملكى. وربما أن هذه الصفة كانت من سمات الأسرة الثانية عشرة والفترة المحيطة بها. فإننى لا أجدها مطلقًا فى بردية "هود" Hood بالمتحف البريطانى التى تحيطنا علمًا بتدرجات المجتمع المصرى فى زمنّى الأسرة التاسعة عشرة والعشرين. وسوف نرى لاحقًا، من خلال إحدى فقرات قصتنا هذه، أن الشباب، هم بمثابة تفرع من "الأصدقاء الملكيين".

"فلتترك الثروات التى تمتلكها شخصيًا، والتى فى حوزتك، كلية، تمامًا !.. وعندما تصل إلى مصر، انظر إلى القصر. وعندما تدخل القصر، خر ساجدًا ملاصقًا وجهك بالأرض أمام "الباب الأعلى": فسوف تكون سيدًا بين "الأصدقاء"(١). ويومًا، بعد يوم، سوف تجد أنك تتقدم فى العمر. وفقدت القوة والمقدرة الرجولية؛ وأخذت تفكر فى يوم الدفن !

"وها أنت الآن قد وصلت إلى حال من النعيم الدائم. وأُعطيت لك، فى الليلة التى يُضمخ خلالها بزيوت التحنيط، الضمادات، بيد الربة "تايت"(٢). ويتبع الكثيرون جنازك فى يوم الدفن. حيث حظيت بالمشد الذهبى، ولُوِّن رأسك باللون الأزرق(٣)، وثبتت فوقك مظلة مصنوعة من خشب "السرو". وأخذت الثيران تجرك. وتقدمك الناحبون، وتعالت التأوهات. وها هن عدة نساء جالسات القرفصاء عند باب مقبرتك السفلية. وتوجه إليك بعض النداءات .. ويتم نحر عدة أضاح عند مدخل بئرك الجنازى. ونُصبت لوحاتك المصنوعة من الحجر الأبيض، فى

---

(١) "الأصدقاء"؛ أو "بصفة عامة، "الأصدقاء الملكيون"، كانوا يشغلون أكثر المناصب رفعة وسموًا فى بلاط الفرعون. ومن خلال "بردية هود"، نجد أن التدرج الكامل، كما يلى: الملك، الوصى، الملكة، الملكة الأم، الأبناء الملكيون، الأمراء الورثة، حاملو الشعارات، الأصدقاء المميزون .. يضعهم فى الدرجة الثامنة. وكانوا يتفرعون إلى عدة فئات، مثل: الأصدقاء المتميزون، الأصدقاء الذهبيون، الشباب (يُنظر سابقًا). ولم يكن من السهل أن تُحدد بدقة مهامهم ومكانتهم. وقد بقى هذا اللقب قائمًا فى البلاط الملكى الخاص بالملوك البطالمة الثلاثة.. ولم يتوار ويخفت تألقه إلا فى أواخر العصر الرومانى.

(٢) حرفيًا، يعنى اسم الإلهة "تايت": بياضات قماش، عُصبة: فهى الربة التى تشرف على تقميط ولف الوليد الجديد والمُتوفى حديثًا. ونجد أن المراسم التى تتناولها هذه الفقرة، قد شُرحت ووُصفت فى كتاب خاص، صدر حديثًا تحت عنوان: "طقوس التحنيط" (ماسبيرو، مذكرات خاصة ببعض برديات اللوفر).

(٣) يُلاحظ أن توابيت مومياوات الأسرة الحادية عشرة والعصور اللاحقة، التى عثرنا عليها وتم حفظها باللوفر على سبيل المثال تبدو مذهبة تذهيبًا كاملاً، باستثناء رأسها، الذى يُدهن غالبًا باللون الأحمر، والشعر بالأزرق.



محيط "أبناء الملك"(١). أنت الآن لا نظير لك مطلقًا. فلا يوجد رجل بين أفراد الشعب يمكنه الوصول إلى مستواك أبدًا. فإنك لم تُلف بداخل جلد غنم، عند دفنك. والجميع يدقون الأرض ويتأسون وينوحون فوق جسدك .. وأنت فى طريقك إلى المقبرة".

عند وصول هذا الأمر إلىّ، كنت جالسًا بين عشيرتى. وعندما سُلم إلىّ انبطحت على بطنى، والتصقت بالأرض، وأخذت أزحف على صدرى(٢). وهكذا بدأت ألف بكافة جنبات خيمتى، لأعبر عن الفرحة التى أحسست بها عند تلقيه: "فكيف عساه يتم أمر كهذا بالنسبة لى؛ أنا الذى دفعه تمرد قلبه للفرار نحو البلاد الأجنبية .. المعادية للفرعون ؟!.. والآن تَحقق الخلاص الطيب الدائم. لقد أُنقذت من الموت .. وسوف تجعلنى قويًا فى وطنى !".

* * *

"نسخة من الرد على ذاك الأمر

الذى قدمه النبيل سنوهى"

"العفو العظيم الذى لم يُسمع مثله أبدًا، عن هذا الهروب الذى ارتكبته، أنا القائم هنا، شخص لا يعرف ما يفعله .. الذى تمنحنى إياه، أنت الإله الطيب الخيِّر، صديق رع، المفضل لدى مونتو (؟)، رب طيبة، وصديق أمون، إله الكرنك، وابن رع، تجلّى "توم"(٣) وتاسوع الآلهة(٤)..

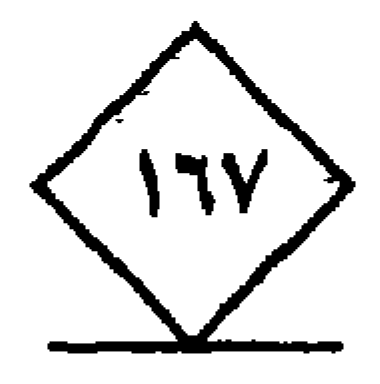
---

(١) ها هنا الوصف الدقيق للجنازات المصرية، كما أعلمتنا بها، تفصيليًا النصب والمنشآت (ماسپيرو، دراسات مصرية، .(t.i,p. 81-194).

(٢) كان المصريون يطلقون على هذه المراسم اسم "سُن تا"، أى: "تشمم الأرض". وكان ذلك أمرًا لازمًا لمصاحبة أية مقابلة ملكية أو قرابين إلهية.

(٣) توم: هو شكل آخر لاسم "أتوم": حيث نوهت، سابقًا عن صفته فى فقرة أخرى.

(٤) فيما يختص بدورة الآلهة: فى حكاية الأخوين: الملاحظة رقم ١ .



فليعمل كل من "سويد"(١) والإله "نفر باوو"(٢) والإله سهرو(٣)، و"حور" بلاد المشرق"(٤)، والحية الملكية التى تهيمن على رأسك(٥)، والزعماء القائمون على حوض "الغرب"(٦)، و"حور" الموجود فى المناطق الأجنبية(٧)،

---

(١) "سويتو": أحد أشكال اسم: حورس. إنه الإله المعبود فى الإقليم الشرقى بمصر. وأحيانًا، كان يُمثل فى هيئة رجل، يحمل فوق رأسه قرص الشمس. ويحظى بلقب: أكثر أرباب هليوبوليس مثلاً وسموًا. ولا يجب مزجه بالربة "سويد" التى يعنى اسمها بالإغريقية: "سوتيس". وهو أحد تجليات إيزيس..وتمثل أقوى وأعظم النجوم تألقًا بالسماء المصرية.

(٢) اسم الإله "نفر باوو" يعنى: "ذو الأرواح الطيبة". وقد لُقب بذلك أحد تجليات الإله الشمسى "توم" .. الشهير خاصة باسم "نورى توم Nowri-Toum".

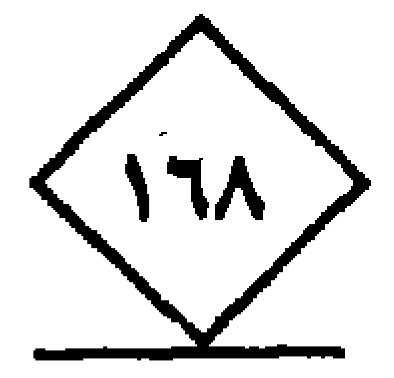
(٣) إن الإله الابن البكرى هو أحد أسماء حورس. ويُلاحظ أن كل ثالوث مصرى يتكون من: الأب، والأم، والابن .. ويقوم الابن فى نطاق العائلة الإلهية بدور وريث العرش المنتظر. أى الدور ذاته الذى يؤديه، فى العائلة الفرعونية كبير الأبناء الباقين فى قيد الحياة. ومن هذا المنطلق انبثق هذا الاسم: الإله الابن البكرى، الذى تسمى به "حورس"، ابن إيزيس وأوزيريس.

(٤) غالبًا ما يُمثل "حورس" بلاد "الشرق" مع "سويد" ودائمًا أيضًا مع الإله "خنوم". وكان يسود على الصحارى التى تمتد من شرق مصر، ما بين النيل والبحر الأحمر.

(٥) يُنظر سابقًا: الأوراوس الملكية (الملحوظة ١، ص١١٧ بالنص الفرنسى).

(٦) "حوض الغرب": هو مساحة المياه السماوية التى تبحر عليها مركب الآلهة بعد مغرب الشمس. أما عن زعماء "حوض الغرب"، فهم الآلهة الذين يسودون على هذا المحيط الأسطورى، أى آلهة الموتى. فإن كل مصرى، بعد موته، كان من المفترض أن يتوجه إلى أبيدوس، ويمر، من خلال ثغرة تُفتح بناحية غرب هذه المدينة، فى "حوض الغرب". حيث يلتقى بمرافقة شمس المساء. وذلك، لكى يعبر الجحيم. ويتوجه لكى يولد من جديد فى "المشرق" بصباح اليوم التالى.

(٧) "حور" البلاد الأجنبية: إنه، فى الواقع إله الليبيين. ولكن، بصفة عامة، كان يُعتبر بمثابة إله كل البلاد التى تقع مباشرة عند تخوم مصر، شرقًا أو غربًا.



و"ورت" ربة بونت(١)، و"نوت"(٢)، و"حورس الأكبر(٣)، و"رع"، وكافة آلهة الدلتا وجزر الأخضر الكبير(٤): فليعمل كل هؤلاء على منحك الحياة والقوة لخياشيمك. فليبينوا عن سخائهم وجودهم. ويمنحوك الزمن اللانهائى، والأبدية اللامحدودة. وينشروا الرهبة منك بين كافة بلاد الوديان أو الجبال. وليضموا من أجلك كل جولة للشمس كاملة !! .. هذه إذًا الدعوات، التى أدعو بها، أنا الحاضر هنا، من أجل سيدى .. وقد تحررت من الأرض الأجنبية !

"أيا أيها الملك الحكيم، إن الكلمة الحكيمة التى نطق بها بحكمته جلالة الملك، فإننى، أنا الماثل هنا، أخشى أن أقولها .. وإنه لأمر خطير جدًا مجرد ترديدها. فإن الإله الأعظم، تجلى رع فى حكمته، قد ساهم بنفسه فى الأداء. وأنا، القائم هنا، أُعد ضمن المواضيع التى تم تداولها؛

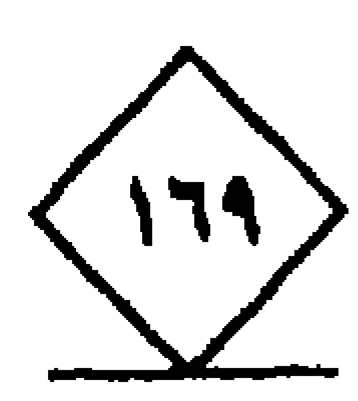
---

(١) لم أتعرف أبدًا من قبل على "ورت" إلا من خلال هذه الفقرة. ولعل لقبها هذا: "ربة بلاد العرب" يصورها لتجلٍّ ثانوى لـ"حتحور": حيث كانت مختلف الروايات والتقاليد الموغلة فى القدم تجلبها من مصر.

(٢) "نوت": هى السماء. إنها تكون مع "جب" الأرض: زوجين إلهين. بل هما من أكثر الأزواج الإلهية عراقة وقدمًا فى مصر. وهما؛ لم يتم أبدًا إرجاعهما إلى النمط الشمسى بواسطة مجمع الآلهة فى طيبة خلال عصر الرعامسة. وتمثل بعض المشاهد "نوت" وقد انحنت على زوجها، ممثلة بانحناء جسمها هذا، القبة المبرقشة بالنجوم.

(٣)"حور البكرى"؛ أو "حرور" الذى حوله الإغريق إلى Arosis هو إله شمسى، على نفس مرتبة "رع". ولا يجب خلطه بـ"حورس الأصغر" ابن إيزيس وأوزيريس.

(٤) أطلق المصريون على البحر اسم "الأخضر الكبير". وقد ينطبق هذا الاسم أحيانًا على البحر الأحمر. بل غالبًا على البحر المتوسط. الأمر يتعلق هنا بهذا البحر الآخر خاصة. وفى واقع الأمر، هذه الفقرة تثير الدهشة والعجب؛ فهى تبين أن المصريين كانوا على علم بجزر البحر الأبيض المتوسط، أى قبرص، ورودس، وربما أيضًا: كريت وصقلية. وربما أن المخطوط الذى نملكه، ويتضمن قصة سنوهى، يرجع إلى الأسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة، ولذا، يجب أن يرجع إلى منتصف الألفية الرابعة قبل الميلاد، تلك الإبحارات التى عرَفت المصريين بجزر الأخضر الكبير !!



وبالتالى وضعت تحت اختباره وفحصه المباشر !.. حقًا، إن جلالتك تتماثل بـ"حور"(١). وكذلك، فإن قوة ذراعيه تمتد على كافة المدن".

"إذًا، فلتأمر جلالتك بإحضار "معكى" من "كدمى" وأيضًا "خنتواش" من بلاد "خنتكس" (٢) و"منوس" من البلاد الخاضعة(٣). وهؤلاء الأمراء مستعدون أن يشهدوا بأن كل شىء قد تم كما ترغب، وأن "تونو" لم تحاول أبدًا الزمجرة والتذمر ضدك، كما تفعل كلابك السلوقى. لأن هروبى، أنا، يحادثك، ربما كان اختيارًا شخصيًا، ولكنه لم يكن أبدًا عن عمد. وإننى إذا لم أكن قد حزنت، فإنه كان من الصعب على أن أنتزع نفسى من المكان الذى عشت فيه. وكان الأمر بالنسبة لى بمثابة حلم. وكان رجل من الدلتا يجد نفسه من خلال رؤية ما، فى إلفنتين(٤)؛ أو رجل من مصر،

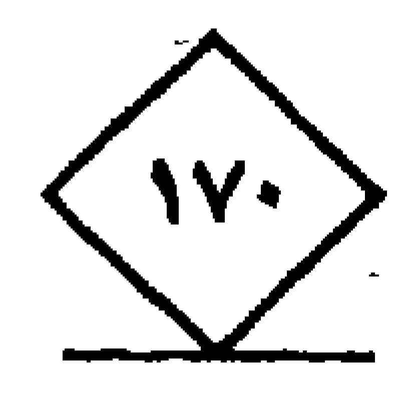
---

(١) الملك الحى يتطابق بالإله. وبالتالى يتماثل بالشخصية الثالثة فى إطار الثالوث المصرى؛ أى الإله الابن. ومن هنا، اكتسب لقب "حور"، و"حور الحى"، وحياة "حور" .. فى إطار البروتوكولات الرسمية.

(٢) "خونت كوشو" Khont-koushou : تعنى حرفيًا: "داخل كوش". وعلى ما يبدو أنها تشير إلى شخصية، من أهالى إثيوبيا. وفى ذات الحين، فإن مجاورة "إديما" يبين بالأحرى عن: إحدى المناطق السورية .. لا أعرف أين أحدد، بالضبط موقعها.

(٣) الكلمات التى ترجمتها إلى: "البلاد الخاضعة"، قد ترجمها "م. بروجش" والكثيرون غيره إلى: "بلد الفينيقيين". عمومًا، لن نخوض فى مشكلة التعرف عما إذا كانت الكلمة العرقية Wonkhin قد تتطابق مع كلمة "فينيقيا". ولكن يكفى القول بأن الإملاء بالمخطوط لا يكفى للإقرار بذلك، فى هذه الفقرة. عامة، إننى لا أعرف المنطقة التى كان المصريون إبان الأسرة الثانية عشرة يسمونها: البلاد الخاضعة، أو بالمزيد من التحديد: البلاد التى خُربت ودُمرت.

(٤) "آبو": هو الاسم المصرى الذى سُميت به "إلفنتين". أما "آثو"، فقد عُرفت به إحدى مناطق الدلتا. ونجد أن هاتين المنطقتين، الواقعتين؛ بالنسبة لأولاهما: فى أقصى الجنوب؛ أما الثانية، ففى أقصى شمال مصر. ولذا، فإن أى إنسان من "آبو"؛ يجد نفسه فى "آثو"، هو بمثابة مصرى من الشمال نقل إلى الجنوب وأصبح متُغربًا تمامًا. فهناك قطعًا اختلاف كبير فى العادات والتقاليد؛ بل ويُضاف إلى ذلك اللغة العامية.



يرى، فى منامه إنه بالجبل(١). لم أكن أخشى شيئًا. ولم تكن هناك أية مطاردة قانونية ضدى. ولم يـ طق البشير باسمى أبدًا جاء اليوم الذى يفعم فيه [.. ..]. وعندئذ، انطلقت أجرى. وأخذ قلبى يرشدنى. وكذلك، فإن الإرادة الإلهية التى قدرت لى هذا المنفى قد وجهتنى إليه. ولم يكن يحق لى أن أتعالى وأتكبر. فإن الفرد قد ينتابه الخوف عندما يعلم أن البلد الذى يلجأ إليه .. يعرف مليكه. ولقد أمر "رع" بأن يسود الخوف منك كافة أنحاء أرض مصر. وأن يجتاح الرعب من جلالتك كل الأراضى الأجنبية. وها أنا الآن فى الوطن؛ ها أنا فى هذا المكان. فأنت دثار هذا الموقع(٢). فالشمس تشرق بإرادتك، ومياه القنوات تروى من يروق لك. أما نسيم السماء، فهو يمنح النفثات لمن تومئ إليه. وأنا من تحادثه، فإننى سوف أورث ممتلكاتى للأجيال التى أعددتها، فى هذا المكان. وبالنسبة لهذا المراسل، الذى حضر إلىّ، فليفعل جلالتك ما يروق لك. فإن الجميع يعيشون على الهواء الذى تمنحه. إن فتحتَّ أنفك الجليلة. فهما بمثابة حب "رع"، و"حور"، و"حتحور". بل إنها إرادة "مونتو" رب طيبة .. مُتعت إلى الأبد بالحياة".

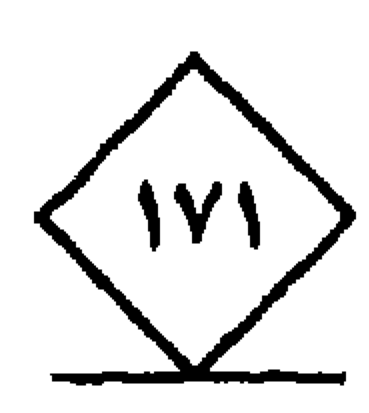
"وأقمت احتفالاً فى "ياء" بمناسبة منح ممتلكاتى لأبنائى. وأصبح ابنى البكرى رئيسًا لقبيلتى. ونقلت إليه كل ما أملك. كما أعطيته كل بهائمى، ومزروعاتى من كافة أنواع أشجار الفاكهة. وعندما سرت نحو الجنوب، ووصلت إلى "ممرات حورس"(٣) طلب القائد، القائم هناك على رأس

---

(١) الترجمة الصائبة هى: بلاد خونتى وربما أن هذه الأخيرة، تعارضًا مع الوادى المفعم بالمزروعات خاتو فى مصر، هى المنحدرات القاحلة العقيمة التى تقع بشمال وشرق الوادى (م. بروجش، القاموس الجغرافى، ص١٢٨١-١٢٨٤).

(٢) هذه التعبيرات المجازية قد تمت مناقشتها فى إطار الأدب المصرى. وهناك نص سابق بوقت ما لبرديتنا هذه عن أحد الشخصيات الكبرى الذى كان بمثابة القاعة التى تدفئ من يشعرون بالبرد فى طيبة.

(٣) انظر مقدمة هذه القصة.

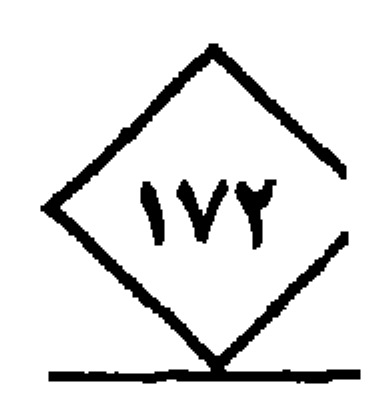


المحميات من القصر الملكى بأن يبعث إليه بمراسل، ليقول رأيه بصددى. وعندئذ، أرسل جلالته المشرف الأعلى على مَزارع الملك، وسفينة محملة بالهدايا من جانب الملك، من أجل البدو الذين صاحبونى لكى يرشدونى إلى ممرات حورس وكنت أخاطب باسمه كلاً من هؤلاء الموجودين معى؛ باعتبارهم معاونين فى كافة المجالات. ولقد تلقيت، واستطعت أن أحمل معى الكثير من المؤن والحلى والزينة والملابس الكافية، حتى أتمكن من العثور على أملاك خاصة بى.

"عندما أشعت الضياء على الأرض فى الصباح التالى، جاء كل منهم لتحيتى. ثم مضى كل واحد منهم. وبدت الرحلة طيبة، حتى لحظة دخولى القصر: وكان المرشدون المقدمون يدقون الأرض أمامى بجباههم. أما الأطفال، فكانوا يقفون بالقاعة، للاحتفاء بى. وقام "الأصدقاء" المتوجهون إلى قاعة الاجتماعات من أجل العرض، بإرشادى إلى طريق "السكن الملكى".

"ورأيت جلالته فوق المنصة الضخمة، بالقاعة القرمزية. وعندما دخلت إليه، تداعيت أرضًا فوق بطنى. وفقدت وعيى فى حضرته. وبدأ هذا "الإله" يوجه إلىّ كلمات ودودة. ولكننى كنت كإنسان أصابه العمى، وعجز لسانى، وفقدت أعضائى فاعليتها. ولم يعد فى صدرى .. وعرفت كيف تكون حياة الموت !!.. وهنا، قال جلالته لأحد الأصدقاء:

"فليرفعه أحد!.. وليكلمنى!!". وقال جلالته: "ها أنت قد عدت إذًا!.. بعد تسكعك فى جنبات البلاد الأجنبية، وقيامك بدور الهارب من وطنه. لقد هاجمك تقدم العمر. فقد أصبحت هرمًا .. واضمحل جسمك كثيرًا. ألن تقوم من فوق الأرض ؟! هل أصبحت كمثل "سيتى" فى الدهاء والرياء، فإنك لا تجيب ؟!!.. فلتذكر اسمك!!. وهنا، انتابنى الخوف من الرفض. فكانت هذه إجابتى: "إننى خائف". عمومًا، ووفقًا لما قاله لى مليكى، أجبت بما يلى: "إننى لم أتحدَّ أبدًا يد الإله. ولكنه الخوف، نعم،



الخوف، الذى اجتاح قلبى .. وجعل فرارى أمرًا محتمًا. والآن، ها أنا أمامك: فأنت الحياة ذاتها .. ولتتصرف جلالتك وفقًا لرغبتك !".

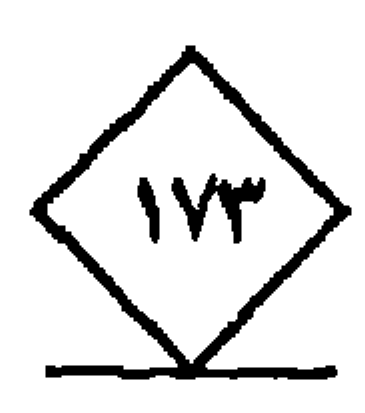
بعد انتهاء موكب أبناء الملك قال جلالته للملكة: "ها هو سنوهى قد حضر، فى شكل خشن غليظ .. ولكن، بمضمون سيتى". وهنا، انفجر أولاد الملك ضاحكين ضحكًا صاخبًا عاليًا، فى صوت واحد، وقالوا فى مواجهة جلالته:

"فى واقع الأمر، إنه ليس هو، أيا جلالة الملك، "سيدى!" .. فقال جلالته: "إنه هو فعلاً !". عندئذ، أخذوا قلاداتهم، وعضاتهم الخاصة بالمراسم، ومزاهرهم؛ وبعد أن أحضروها لجلالته، قالوا: "فلتُمجد يداك، أيا أيها الملك!.. ضع زينة وحُلى سيدة السماء[1]، وأعطنى شارة الحياة لأنفى. ولتكن قويًا كمثل رب الكواكب. وتجول فى القبة السماوية فى مركب سماوية. إن الشبع والاكتفاء يصوره فم جلالتك[2]. ليت الحية الحارسة توضع على جبهتك، وينطلق التعساء بعيدًا عنك؛ يعلن تبوءك مكانة "رع"، رب القطرين. ويصيح الناس نحوك، وكأنك "إله كل شىء". إن رمحك يُردى المرء قتيلاً، وسهمك يدمر. ولتهب الحياة، لمن أصبح فى الفناء!.أعطنا القدرة على الاستنشاق بكل يسر فى الطريق الصحيح

---

(١) ربما أن يصير: "وضع زينة سيدة السماء"، قد يعنى وفقًا لمضمون النص: الرحمة والشفقة. ونجد أن الكثير من الربات يحملن لقب: "إلهة السماء". ولكننى لا يمكننى أن أجزم، بمن يتعلق الأمر هنا.

(٢) قد تعبر هذه الصيغة الاصطلاحية المصرية عن: أن الملك قد شبع بكل الخيرات. وبالتالى، فهو متساوٍ بالآلهة الذين لا يعانون مطلقًا من الجوع. وبذا، فإنه، هو الإله ذاته. وتعمل كافة الجمل السابقة واللاحقة على توضيح هذا المضمون، فى شخصيته. وكذلك يجوب مياه السماء فى المركب. لأنه هو "رع"، الشمس ويحمل فى كيانه كافة القوى الخاصة بالأرباب الشمسية.



الذى نسلكه. هذا الشيخ ابن آلهة الشمال المولود فى مصر[1]، إذا كان قد فر هاربًا، فلأنه يخشاك. وإذا كان قد ابتعد عن وطنه، فلرغبة منك. ألا ترى أن الوجه قد يشحب ويصفر لونه عند رؤية وجهك ؟!.. وأن الخوف يتراءى فى العين عندما تحدق فيها ؟!". قال الملك: "عليه ألا يخاف مطلقا. وليتخلَّ عن الرعب !.. وسوف يُدمج بين "الأصدقاء" بنظام "الشباب". وليوضع بين أفراد الدائرة [2]، الذين يُقبلون فى "السكن الملكى". وليأمر بأن تُخصص إقطاعة من أجله !".

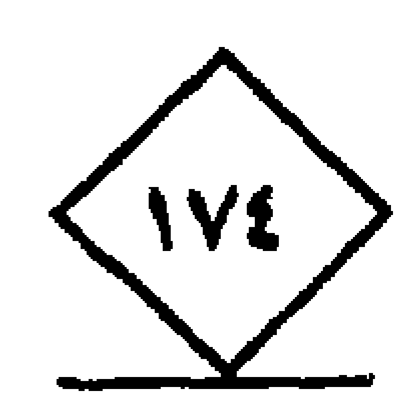
ذهبت إليه فى "البيت الملكى"، وأعاننى أولاد الملك ونحن نتوجه فى حاشية البابين العظيمين العظيم مرتين[3]. وأوصلونى إلى بيت "الابن الملكى": حيث كانت توجد أشياء ثمينة نادرة؛ وهناك جوسق لتنسم الهواء العليل؛ كما تتراءى عدة زخارف إلهية، وعرائض عن خزينة الفضة، وملابس من أقمشة ملكية، وأصماغ، وعطور ملكية، مثل التى يُولع الشباب باقتنائها فى كل بيت. وكذلك، كانت هناك مجموعات من الحرفيين، والصناع. وباعتبار أن أعضائى قد مر عليها الدهر؛ وفقدت

---

(١) لا أرى مبررًا لوجود هذا الاختلاف فى اسم سنوهى؛ وربما قد يكون مرجعه إلى نزوة ما من جانب الكاتب. عمومًا، إنه يعنى حرفيًا: "ابن الشمال". وقد لُقب سنوهى بلقب Siti بسبب قامته الطويلة المدى عند البدو، الذين جعلوه يتخلى عن مظهر الأبهة والفخامة التى يتسم بها البلاط الملكى. ولقد قال الملك عنه، قبل ذلك: "إنه جاء فى شكل رجل فظ، خشن السمات؛ فى هيئة Siti. أما عن التاميرى Tamiri فهى "أرض القنوات"؛ أحد أسماء الدلتا؛ الذى تُسمى به أيضًا مصر قاطبة.

(٢) يُلاحظ أن الأشخاص الملحقين ببلاط الفرعون يحظون بأهلية عن جماعتين، هما: Shantiou أى أعضاء الدائرة؛ الذين يتحومون فى دائرة حول الملك؛ ثم صفة الـ Qabtiou "أفراد الزاوية": ربما أنهم من يقفون عند زوايا قاعة الاجتماع.

(٣) "الروتى" وقد أُضيف إليه "الـ" التعريف، أى "بروتى" يتشابه بكلمة "برعا" أى "فرعون" وهى تسمية طبوغرافية إرثية: قد عمل، بداية على الإشارة إلى قصر الملك؛ ثم الملك نفسه. ومن هذا اللقب استمدت الأسطورة الإغريقية كلمة الـ Pro-tee ملك مصر، الذى استقبل هيلين، وباريس، ومنيلاوس، فى بلاطه (هيرودوت، جـ٢، CXVI-CXII.).



شعر رأسى، فقد أعطونى بعض واردات البلاد الأجنبية، وأقمشة من الكتان(١). وتزينت بأرفع أنواع الكتان، وأغرقت نفسى بالعطور. وكنت أنام فوق سرير. وقُدمت لى الحلوى والفطائر لغذائى، وكمية من الزيوت العطرية لأتضمخ بها .. وأعطونى حقًا المنزل المناسب تمامًا، لشخص يُعد، ضمن "الأصدقاء". ولقد استغنت من قبل، لبنائه بعدد كبير من العمال. حيث أُعيد إقامة بنيانه من جديد. وكذلك، كانت الفاكهة تُحضر إلىّ من القصر ثلاث مرات، أو أربع مرات يوميًا. كما يُضاف إلى ذلك، ما كان يقدمه أبناء الملك .. بدون لحظة توقف !!

وشُيد من أجلى قبر من الحجر، فى وسط المقابر الجنازية. حيث قام رئيس المساحين العاملين لدى جلالته، باختيار الأرض. بعد ذلك، قام المشرف على الرسامين بأداء رسومه؛ أما زعيم نحَّاتى الحجر، فقد قام بمهمة نحته. وعن المشرف على الأعمال بالبلد العليا، فقد جال فى أرض مصر لكى يبحث عن كافة المواد اللازمة للبناء(٢). وعند إتمام كل اللازم بداخل القبر نفسه، قدم لى عددًا من الفلاحين. وأعد من أجل هذا القبر، حديقة بسياج، ومصطبة، ومزارع بداخل الأملاك الجنازية: تمامًا كما يؤدى "للأصدقاء" الرفيعى الشأن. كما نُصب أيضًا تمثال منقوش بالذهب، ذو ثوب قرمزى اللون. ويُلاحظ أن جلالته هو الذى كان قد قدمه. قطعًا، إنه لم يفعل كل ذلك لرجل من العامة .. وفى واقع الأمر، فقد حظيت دائمًا بإعزاز الملك وفضله .. حتى يوم الممات".

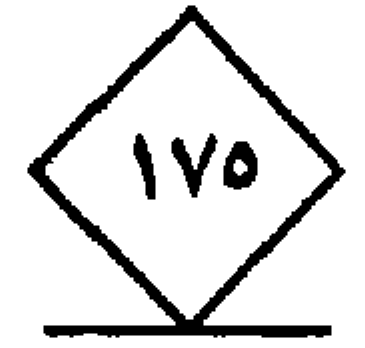
انتهى النص من البداية حتى

النهاية .. مثلما عُثر

عليه بالمخطوط.

(١) ملحوظة ٢، ص١١١، بالنص الفرنسى.

(٢) انظر مقدمة القصة، ص١٠١ بالنص الفرنسى، النسخة الخاصة بهذه الفقرة التى حفظتها لنا الأوستراكا رقم ٥٦٢٩ بالمتحف البريطانى.



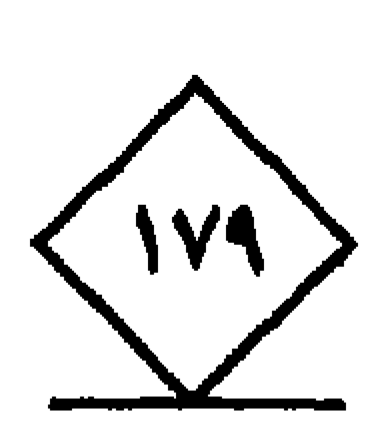
قصة الملاح الغريق

تُعتبر البردية التى حفظت لنا هذه القصة، من ممتلكات متحف الأرميتاج بلينجراد L' Ermitage Imperial فى "سان بطرسبرج". ولقد تم اكتشافها فى عام ١٨٨٠، من جانب "م. فلاديمير جولينشيف". وأعلن عنها العلماء الذين ساهموا فى "المؤتمر العالمى الخامس للمستشرقين" فى برلين، عام ١٨٨١. ويتبين أن النص لم يسبق نشره من قبل. ولكن، ظهرت حديثًا ترجمة له.

وعُنونت بـ:"قصة مصرية قديمة"، خلاصة قُرئت فى "مؤتمر المستشرقين"، ببرلين من جانب "فلاديمير جولينشيف"، عام ١٨٨١؛ وبدون ذكر اسم الناشر؛ grand in 8، ص٢١، مطبعة Breitkopf et Hrtel، فى "ليبزج".

ونجد أن الترجمة مطابقة تمامًا، وفقًا لما لاحظته أنا شخصيًا، عندما تفضل "م. جولينشيف" بإطلاعى على الأصل. وهذه الترجمة نفسها هى التى استنسختها، بعد إذن مقدمها .. مع بعض التغيير الطفيف جدًا، بالنسبة لبضع نقاط قليلة.

ولم يُعرف بعد، سواء موقع اكتشاف المخطوط، أو الأسلوب الذى وصل من خلاله إلى روسيا. بل، ولا الفترة التى دخل خلالها إلى متحف "الأرميتاج". وكذلك، فإنه لم يكن قد فُتح بعد، فى عام ١٨٨٠. وبدون الفضول وحب الاستطلاع الذكى من جانب "م. جولينشيف"، كان سوف ينتظر أكثر من ذلك .. لكى يتفضل أحد بفرده وشرحه !!



ونرى، إنه دُوِّن بالكتابة نفسها التى حُررت بها البرديات ١-٤، فى برلين؛ ويرجع مثلها إلى الأسرة الثانية عشرة. وهو يتضمن مائة وتسعة وثمانين عمودًا رأسية، وعدة أسطر أفقية. وهو مكتمل تمامًا من البداية حتى النهاية. ولم يمسه ضرر، باستثناء بعض الكلمات الطفيفة.

كما يُلاحظ أن لغته واضحة وسهلة. وشكله الأصلى سليم تمامًا، وفى أحسن حال. ونادرًا جدًا، إذا لاحظنا فى مكان أو آخر بعض الكلمات الصعبة قراءة أو اصطلاحًا؛ أو أشكالاً نحوية حديثة. وربما، قد يتراءى كلاسيكيًا بالنسبة للإنسان المصرى خلال الأسرة الثانية عشرة. تمامًا، كما هو الحال بالنسبة لرواية الأخوين، بالنسبة للمصرى إبان الأسرة التاسعة عشرة. وإننى لأتمنى كثيرًا أن يعمل "م. جولينشيف"، فى أسرع وقت، على نشره فى هيئة "فاكسميلى". فلا شك أنه قدم خدمة فعلية للعلوم .. باكتشافه للمخطوط !.. وبذا، سيضاعف تأثير خدمته هذه .. إذا أسرع إلى إتاحة اكتشافه هذا لمتناول جميع علماء المصريات.

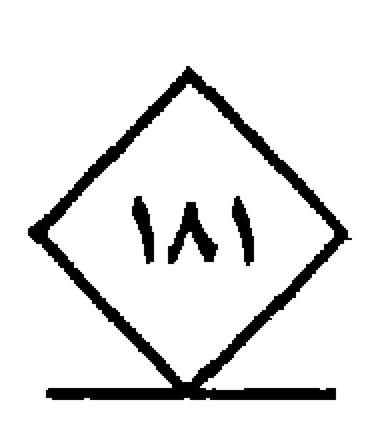
الملاح الغريق

(الأسرة الثانية عشرة)

يقول التابع الكلام: "فلتبهج قلبك، أيا سيدى؛ فها نحن قد وصلنا للوطن؛ بعد أن مكثنا عند مؤخرة السفينة، وضربنا (الماء) بالمجاديف؛ ولقد لامست المقدمة الأرض.. وها هم الناس جميعًا يفرحون ويُسرون ويقبلون بعضهم بعضًا. فربما أن قومًا غيرنا قد عادوا فى حال جيدة؛ ولكننا، نحن لم نفقد رجلاً واحدًا؛ ومع ذلك، فقد وصلنا إلى آخر حدود بلاد "واوات". كما عبرنا مناطق سونموت[1]. ولقد رجعنا الآن فى سلام. وعن بلدنا، وها نحن قد وصلنا إليه!.. فاستمع إلىّ، أيا سيدى. فإنك إذا لم تعضدنى، فسوف أكون عديم الحيلة وبلا مصدر رزق. قم فاغتسل، واسكب المياه فوق أصابعك. ثم اذهب، ووجه كلامك للفرعون. وليعمل قلبك على حماية حديثك من التنافر. فربما أن فم الإنسان قد ينقذه،

---

(١) بلاد "واوات"، خلال تلك الحقبة، هى جزء من النوبة يقع فيما وراء الشلال الثانى. أما "سونموت"، فهو الاسم الذى أضفته النصب والمنشآت على جزيرة "بيجة"؛ فى مواجهة "فيلة"، عند بداية الشلال الأول. ومن خلال هذه الفقرة، نجد إن الملاح المصرى كان يتباهى ويزهو، بأنه قد وصل، عند صعوده مجرى النيل، إلى البحر العظيم: حيث كان يُظن أن النهر ينبع منه.



ولكن، من ناحية أخرى، تعمل كلماته على إظلام وجهه(١). فتصرف إذًا وفقًا لدوافع قلبك؛ وبذا، فإن كل ما سوف تقوله، سيريح بالى.

والآن، سوف أقصُّ عليك ما حدث لى شخصيًا. فقد كنت متوجهًا نحو مناجم "هنهن"(٢). ونزلت البحر على متن سفينة، يصل طولها إلى مائة وخمسين ذراعًا؛ أما عرضها، فهو: أربعون. وبها مائة وخمسون من أفضل ملاحى مصر، رأوا السماء والأرض. وقلبهم أكثر جسارة من قلوب السباع. وكانوا قد أعلنوا: أن الرياح لن تصبح عاتية؛ بل ربما قد تنعدم تمامًا. ولكن، فجأة، هبت بعده ونحن فى عرض البحر!.. وبينما نحن نقترب من الأرض، هبت ريح شديدة باردة، عملت على ارتفاع الأمواج إلى ثمانى أذرع !!.. وقمت، من ناحيتى بإمساك قطعة خشب. أما الآخرون الذين كانوا على السفينة، فقد هلكوا جميعًا .. ولم يبق منهم أحد !!

"وأخيرًا، قذفت بى إحدى أمواج البحر إلى جزيرة ما؛ بعد أن أمضيت ثلاثة أيام بمفردى؛ وليس لى من رفيق آخر .. سوى قلبى. وهناك، تمددت بداخل دغل (صغير)، وسترتنى الظلال. بعد وقت ما، قمت على ساقى، وسرت باحثًا عن شىء ما.. من أجل فمى. فعثرت على بعض التين، والعنب، وكافة أنواع الخضراوات الرائعة؛ وكذلك عنيبات، وحبوب، وشمام من كافة الأنواع؛ وأسماك، وطيور: فلم ينقصنى شىء !.. وشبعت، فألقيت أيضًا فائض ما كانت قد حُملت به يداى. وأخذت أحفر حفرة، وأشعلت نارًا. وأقمت بعض الحطب بمثابة أضحية للآلهة.

---

(١) أعتقد، أننا هنا أمام إشارة للعادة الدارجة التى تحتم تغطية وجه المجرمين، الذين يُقادون إلى العقاب والتعذيب. كما أن إصدار هذا الأمر بأن يُغطى وجهه: يعنى: الإدانة. حقًا، لم أكن أعرف، حتى الآن بوجود هذا العرف فى مصر.

(٢) "هنهن" : لقب دارج بالنسبة للآلهة. وأعتقد، أن هذه هى المرة الأولى التى يُطبق، بكل تأكيد على أحد الملوك.



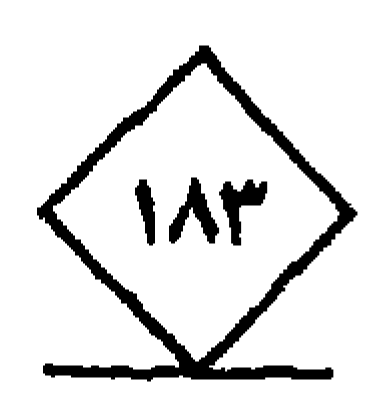
"فجأة، سمعت، ضجة كأنها رعد. واعتقدت أنها لا تعدو أن تكون سوى موجة بحر. وارتعشت الأشجار واهتزت الأرض. فكشفت وجهي .. وتبينت إنه ثعبان، يقترب نحوي. إن طوله يبلغ ثلاثين ذراعًا. أما ذقنه فطولها أكثر من ذراعين[1].. وبدا جسمه وكأنه مرصع بالذهب. ولونه كلون اللازورد الحقيقي !!. وانتصب أمامي وفتح فاهه. أما أنا، فقد مكثت ساجدًا أمامه. وقال لي: " من الذي أحضرك، من الذي أحضرك، أيها الصغير، من أحضرك ؟!.. وإذا توانيت عن إخباري عمن أتى بك إلى هذه الجزيرة، فسوف أعلمك من تكون[2]. فإما، أن تصبح كمثله شعلة نار، متلاشيًا مختفيًا .. وإما أن تقول لي أمرًا ما، لم أسمعه أبدًا من قبل، وكنت أجهله مثلك" .. ثم أخذني في فمه. ونقلني إلى مأواه. وأقعدني دون أن يمسني بأذى: فها أنا سليم معافى، ولم يُستأصل مني شيء. وعندما فتح فمه، في حين كنت ساجدًا أمامه؛ قال لي: "من الذي أتى بك، من أتى بك، أيها الضئيل، في هذه الجزيرة .. التي تمتد ضفافها في قلب الأمواج ؟!".

"وأجبته، وقد تدلت يداي أمامه[3]: "لقد ركبت السفينة متجهًا إلى المناجم، بأمر من الفرعون، على متن سفينة طولها مائة وخمسون ذراعًا، وعرضها أربعون. وكان عليها مائة وخمسون بحارًا من أفضل بحَّاري مصر، الذين رأوا السماء والأرض. وقلوبهم أكثر جسارة وإقدامًا من الآلهة نفسها. وكانوا قد أعلنوا، أن الرياح لن تصبح عاتية؛ أو ربما لن

(١) لقد عرفتنا النصب والمنشآت بالكثير من الثعابين الملتحية، ضمن الوحوش التي يُزخرف بها الجحيم المصري. وليس من الصعب أيضًا، أن يوجد بينها، ثعبان أزرق اللون، مبرقش بالأصفر، تتطابق مقاييسه بتلك الخاصة بثعباننا هذا.

(٢) حرفيًا: "سوف أعرفك نفسك ذاتها". إنه تعبير اصطلاحي يتردد كثيرًا في النصوص. ومعناه: أن يوضح لإنسان ما مدى عجزه أمام من يعلوه قدرًا.

(٣) إنه الوضع ذاته الذي تقدمه لنا المنشآت والنصب للمتوسلين المتضرعين، أو القليلي الشأن أمام السيد المهيمن.



تكون هناك رياح بالمرة. فإن كُلاً منهم كان يفوق زملاءه، فى حذره، وقوة ساعديه. أما عنى أنا، فلم أكن أخضع لهم مطلقًا. ولكن، فجأة هبت ريح عارمة، أثناء وجودنا فى عرض البحر .. وبينما نحن نقترب من اليابسة، اشتد عنفوان الرياح وقوتها، لدرجة أنها رفعت الأمواج إلى ارتفاع ثمانى أذرع !!

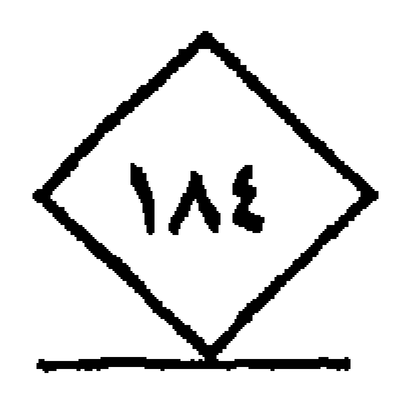
"وقمت، من جانبى بإمساك قطعة خشب. أما من كانوا فوق السفينة، فقد هلكوا .. ولم يبق أحدهم معى على مدى ثلاثة أيام. والآن، ها أنا ذا بجوارك .. فإننى قد قُذفت إلى هذه الجزيرة بواسطة إحدى أمواج البحر".

"هنا، قال لى: "لا تخف، لا تخف، أيها الصغير؛ ولا يبدو وجهك مبتئسًا حزينًا!!.. إنك إذا كنت قد وصلت إلىّ، فذلك لأن الإله قد تركك فى قيد الحياة. فهو الذى أتى بك فى "جزيرة الازدواج" (١) هذه؛ حيث لا ينقص أى شىء. وهى ملبسة بكل ما لذ وطاب. انتبه إذًا؛ سوف تمضى شهرًا وراء الآخر، حتى تصل إقامتك فى هذه الجزيرة إلى أربعة أشهر. بعد ذلك، سوف تصل إحدى السفن من بلدك، وعليها الكثير من البحارين. وعندئذ، سيمكنك السفر معهم إلى وطنك. وستموت فى مدينتك.

"قطعًا، إن المحادثة الودية تسر وتبهج. وإن من يتذوق المحادثة، قد يتحمل المصائب. إذًا، سوف أحكى لك، عما تتضمنه هذه الجزيرة. فإننى أعيش هنا مع إخوتى وأبنائى؛ وهم يحيطون بى. إن عددنا لا يقل عن ستين واحدًا: منهم خمسة عشرة ثعبانًا، ثم البنَّاء والعاملون لدى العائلة؛ بل وهناك أيضًا فتاة شابة، ساقتها إلىّ الصدفة البحتة .. حيث سقطت

---

(١) الازدواج هو الروح المصرية. وجزيرة الازدواج هذه هى إذًا جزيرة تسكنها الأرواح السعيدة. إنها إحدى الجزر المحظوظة، التى تناولتها بالذكر فى المقدمة p.L XXVI-LXXVII).



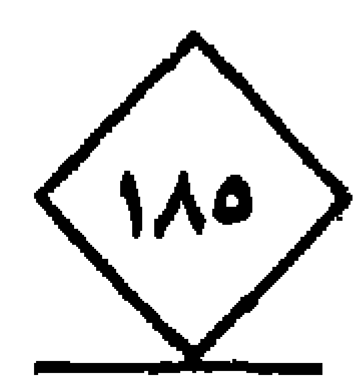
فوقها نيران السماء، وحولتها إلى رماد[1]. أما عنك أنت، فإذا كنت قويًا، واتسم قلبك بالصبر والتروى، فإنك سوف تحتضن أبناءك على صدرك، وتقبل زوجتك، وسترى ثانية منزلك، الذى لا يدانيه أى شىء آخر. وسوف تصل إلى بلدك، وستكون وسط أفراد عائلتك !".

"وحينئذ، انحنيت، ولمست الأرض فى مواجهته. وقلت: "ها هو إذًا ما يجب أن أقوله لك فى هذا الشأن. سوف أصفك للفرعون. وسأبين له مدى عظمتك وجلالك. وسأجعلك تتزين وتتعطر بالدعاء والهتاف[2]، والدهانات العطرية.. والبخور الذى يُستعمل فى المعابد، من أجل تكريم وتبجيل كل إله. وسوف أحكى بعد ذلك عما رأيته، بفضلك. وسوف تُوجه إليك عبارات الشكر والامتنان أمام جموع البلد بأسرها. وسأذبح من أجلك عددًا من الحمير، كأضحية. ومن أجلك أيضًا سأنزع ريش الكثير من الطيور. وسأبعث من أجلك عدة سفن متخمة بكافة النفائس من مصر .. وفقًا لما يجب أن يُتبع بالنسبة لأى إله، صديق البشر فى بلد ناء بعيد لم يكن الرجال يعرفونه أبدًا من قبل". وابتسم لقولى هذا؛ لما يجيش به قلبه. وقال لى: "جوهريًا، أنت لست ثريًا. فإن كل ما قلته لى، لا يعدو أن يكون جملة .. سوى مجرد إطراء. أما أنا، فإننى ملك بلاد بونت[3]. وترى هنا الكثير من العطور. ولكن، بالنسبة لعطر الدعاء والإجلال الذى فكرت إنك سوف تحضره لى، فهو ليس وفيرًا فى هذه

(١) لا يبدو النص كامل الوضوح فى هذا المكان. عمومًا، لقد عملت، على أن الخص فى بضع كلمات المضمون المكون من عدة أسطر، حيث سُردت حكاية الفتاة.

(٢) عطر الدعاء والهتاف: إن "الحكنو" قد اعتُبر بمثابة أحد العطور السبعة الإلهية التى كانت تُقدم للآلهة وللموتى، خلال طقوس القربان. ولم تُعرف بعد مكوناته. ويُحتمل أن اسمها قد انبثق من الابتهالات التى تصاحب تقديمه.

(٣) "بونت": هو اسم البلاد الواقعة بجنوب شرق مصر، على ضفتىّ باب المندب. ومنذ وقت بعيد، استمد المصريون منها معظم العطور التى يستعينون بها فى أداء الطقوس والشعائر.



الجزيرة. ولكن، حالما ستبتعد من هذا المكان، فلن ترى أبدًا هذه الجزيرة .. فإنها ستتحول إلى أمواج"..

"وعندما اقتربت السفينة وفقًا لما كان قد تنبأ به مسبقًا، جثمت فوق إحدى الأشجار العالية، لكى أحاول تبين القائمين بها. ثم توجهت بعد ذلك لأنقل إليه هذا الخبر. ولكننى وجدت أنه كان يعرفه من قبل. وقال لى: "سفرًا سعيدًا، سفرًا سعيدًا، إلى مأواك، يا صغيرى. فلترَ ثانيًا أولادك. وليبق اسمك دائمًا طيبًا فى المدينة. فهذه هى أمنياتى من أجلك !!".

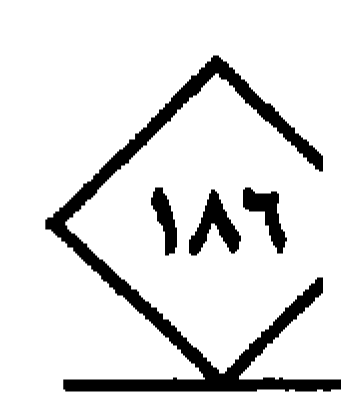
"وعندما انحنيت أمامه، وقد تدلت يداى بجانبى، قدم لى هدايا من العطور و"عطر الدعاء والتبجيل"، ودهانات عطرية، وأشجارًا من الفصيلة الصنوبرية، وأشجار البقم، ومسحوق الكحل، وبعض السرو، والبخور العادى بكميات ضخمة؛ وأنياب فيلة، وكلابًا سلوقية، وقردة من فصيلة القرد وحيات؛ وقردة خضراء اللون، وكافة الطيبات النادرة (١).

"وعملت على نقل كل ذلك إلى هذه السفينة القادمة. ثم سجدت أمامه، وأخذت أتعبده. فقال لى: "ها أنت سوف تصل إلى بلدك بعد مُضىّ شهرين. وتضم أبناءك إلى صدرك. وستخلد إلى الراحة فى مقبرتك". بعد ذلك، هبطت إلى الساحل، نحو السفينة. وناديت على البحارة القائمين بها. وأديت عبارات الشكر؛ على الساحل لإله هذه الجزيرة، وكذلك لمن يعيشون بها.

"عندما رجعنا إلى قصر الفرعون، فى الشهر الثانى، تطابقًا بما قاله الآخر، اقتربنا من القصر، ودخلت أمام الفرعون وقدمت كافة الهدايا التى أحضرتها من هذه الجزيرة، إلى البلد. ووجه إلىّ الشكر أمام حشود

---

(١) ربما قد يبدو لنا هذا الإحصاء غريب الشأن. ولكنه، فى واقع الأمر حقيقى تمامًا. ويمكن أن نقابل مثله تقريبًا، بعد ما يزيد على ألف عام وزيادة، فوق جدران المعبد الخاص بالملكة "حتشبسوت" من الأسرة الثامنة عشرة: حيث مثلت مشاهد رحلة استكشافية، بواسطة أسطول، بعثه هذه الملكة إلى بلاد بونت.



أهالى البلد بأسره. ولذا، فلتجعلنى تابعًا لك. وقرينى من حاشية الملك. فألقِ بنظرك نحوى. بعد أن وصلت إلى الأرض الصلبة. بعد أن رأيت الكثير وجريت الكثير. فلتستمع إلى التماسى، فمن الخير الإنصات إلى الناس. ولقد قيل لى: "فلتصبح عالمًا يا صديقى. فسوف تصل إلى المجد والتعظيم .. وها أنا ذا قد أصبحت".

انتهت القصة من البداية إلى النهاية

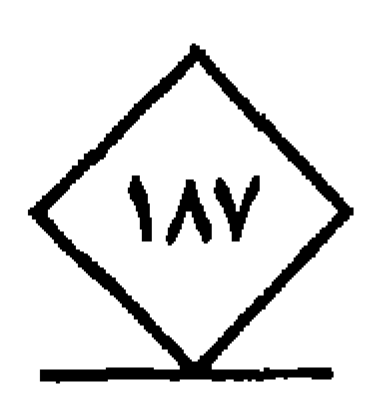
وفقًا لما عُثر عليها بالمخطوط.

من الذى كتبها ؟ إنه الكاتب

ذو الأصابع الماهرة

أمونى أمون عا

له الحياة والصحة.



حكاية
رمبسينيتوس (رمسيس سانيت)

نجد أن الشكل الأكثر قدمًا الذى عُرف عن هذه القصة، قد حفظه هيرودوت بالكتاب الثانى: "حكايات". (ch.CXXI) ثم نجده أيضًا لدى معظم شعوب الشرق والغرب. ولذا، فإننى أوجه القارئ الذى يريد أن يلم بتاريخها إلى هذين الكتابين:

- Dunlop-Liebrecht, Geschichte der Prosadichtungen, p. 264.

- A.Schiefner, Ueber einige morgenlandische Fassungen der Ramipsinit Sage, dans le Bulletin de l'Académie impériale des Sience de Saint Pétersbourg, t.XIV, page 299-315.

ويُلاحظ أن هذين الكتابين المذكورين لا يتضمنان كافة الروايات المعروفة حاليًا: بل يكفى أنهما يبينان مدى الشعبية التى حققتها هذه القصة فى العالم القديم والحديث على حد سواء.

وربما، قد قامت بعض المجادلات والمناقشات بخصوص مصدر ومنبع هذه القصة. ولذا، فإننىَ من خلال المقدمة التى استهللتها، (p.XXXVII-XLI) أذكر الأسباب التى دفعتنى إلى الاعتقاد الآتى: إن لم تكن هذه القصة مصرية الإلهام .. فلا شك أنها كانت قد تمصرت منذ أمد بعيد، عندما عثر عليها "هيرودوت". كما يجب أن أضيف هنا: أن اسم Ramp-sinitos قد أُطلق فى مصر، على أحد أبطال المغامرات العديدة الخارقة للطبيعة. يحكى الكهنة أن هذا الملك قد هبط حيًا بالمنطقة التى عرفها



الإغـريق بـاسم Hadès وهنـاك، مـارس لعبـة النَّرْد مع الربـة "ديميـتـر" وأحيـانًا كان يتغلب عليها، وأحيـانًا أخرى قد ينهـزم أمامـها. ثم عـاد من هذه المنطقـة، وهو يحمل معه محفظة ذهبية. (هيرودوت II, CXXII).
ها هنا إذًا، من خـلال بضعـة أسطر الملخص الخـاص بحكاية مـصـرية: حيث يعيد المشهد الرئيس، بشكل يثير الدهشة والعجب ذكرى المنافسة، فى قصة "ساتنى"؛ بين "ساتنى"، و"نفركابتاح"، (c.f.p.68-69).

وقطعًـا، لن أتعـجب أبدًا، إذا علمنا من خـلال بعض الدراسـات الحـديثـة، أن شكلاً آخـر من قـصـة "سـاتنى"؛ حـيـث سُـمى بطلهـا باسم "رمسيس سانيت" قد انتشـر بأجواء الشعب، فى عهـد "هيرودوت" والملوك الصاويين.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الترجمة التى أقدمها لقصة "رمسيس سانيت" قد أبدعها "پيير ساليبه".. ويتخللها قدر بسيط من "الرتوش"!

حكاية رمبسينيتوس (رمسيس سانيت)

(العصر الصاوى)

يُحكى أن الملك "رمسيس سانيت"[1]، كان يملك كنزًا هائلاً، لدرجة أن خلفاءه لم يفوقوه أبدًا فى ذلك. بل لم يتمكن أحد منهم من الوصول إليه !.. ولكى يجعل الملك كنزه فى مأمن، أمر بتشييد قاعة من الحجر المنحوت. وعمد إلى أن تكون إحدى حوائطها من البناء وخارج فناء القصر المُسوّر. ولكن، على ما يبدو، أن البنّاء قد نحت وأعد بكل مهارة وثقة كتلة حجرية، لدرجة أن رجلين، بل ربما واحد فقط، قد يستطيع أن يسحبها ويحركها من مكانها [2]. وعند انتهاء بناء القاعة، جمع الملك بداخلها كل كنوزه. وبعد فترة زمنية، عندما شعر البنّاء المعمارى بدنو أجله، استدعى أبناءه؛ وهما اثنان. وصرح لهما، إنه كان حريصًا على مصلحتهما؛ وكشف لهما عن الخداع الذى لجأ إليه، عند قيامه ببناء قاعة الملك .. حتى يتمكنا من العيش فى رغد ورخاء ..وبعد أن أوضح لهما تمامًا عن

---

(١) هذا الاسم هو الشكل المحوَّر لاسم مصرى: "رمسيس سانيت" قد تحدثت عنه آنفًا بالمقدمة (p.XXIX) .

(٢) يُنظر المقدمة (p.XXXVIII-XXXIX) بداية هذه الفقرة.

الوسائل التى تمكّنهما من نزع الكتلة الحجرية، ذكر لهما بعض الوسائل، التى إذا التزما بها، فسوف يصبحان كبيرَى المشرفين على خزائن الملك .. ثم انتقل من عالم الأحياء إلى عالم الموتى.

إذًا والحال هكذا، لم يتوانَ ابناه أبدًا عن البدء فى هذه العملية. فقد حضرا مساء إلى قصر الملك. وبكل يسر وسهولة وجدا الكتلة الحجرية، فسحباها من مكمنها واستحوذا على قدر كبير جدًا من الفضة.

ولكن، عند توجه الملك إلى قاعته هذه؛ وفتحها، تملّكه العجب الشديد، حيث رأى أن محتوى خزائنه قد قل بشكل فائق. ولكنه، لم يعرف لمن يوجه اتهامه، أو من يشك فيه: وذلك لأنه، قد وجد العلامات التى كان قد حددها، لم تمس أو تُنتقص؛ بالإضافة إلى أن القاعة كانت محكمة الإقفال تمامًا. بعد ذلك، رجع إلى القاعة ثلاث أو أربع مرات لكى يتفقدها، فكان يجد أن محتوى الخزائن كان يتناقص تناقصًا مستمرًا !!

وأخيرًا، لكى يعمل الملك على استحالة رجوع اللصوص إلى منازلهم. قرر أن يعد لهم بعض الشراك؛ ويضعها على مقربة من الخزائن التى تحوى الكنوز. ووفقًا لعادتهما عاد اللصان؛ ودخل أحدهما فى القاعة. وفجأة، عند اقترابه من إحدى الخزائن.. سقط فى الفخ !!.. وهنا، اتضح له مدى الخطر الذى يتعرض له .. فأسرع بمناداة أخيه، وبين له الحالة التى وقع فيها. فنصحه بأن يدخل عنده، ويقطع رأسه حتى لا يهلك هو الآخر معه، إذا اكتُشف أمره !!

هنا، فكر الأخ مليًا، ووجد أن كلام أخيه هذا يبدو منطقيًا وحكيمًا. وبالتالى، نفذ فيه ما اقترحه عليه !!.. بعد ذلك، أعاد الحجر إلى موضعه، ورجع إلى بيته .. ومعه رأس أخيه.

أشرق النهار، ودخل الملك إلى قاعته. وعندما شاهد جثة اللص الواقع فى الفخ؛ وبدون رأس .. أصابه فزع شديد. خاصة، أنه لم يجد أية أدلة

عن دخول أحد أو خروجه !!.. وتملكه الشك والحيرة، إزاء ما يجب عمله في مثل هذه المعضلة. وفي النهاية، وجد هذه الوسيلة: أن يعلق جثة الميت فوق جدار المدينة [1]. بل وأصدر أوامره لبعض حراسه، بأن يعتقلوا؛ وأن يحضروا إليه من يرونه يبكي أو يتأسى على الشخص المشنوق. وها هي الجثة مرفوعة عاليًا. وكانت الأم تتألم أسى وحزنًا؛ فوجهت كلامها لابنها الآخر؛ وأمرته، بأن يعمل بكل وسعه، على أن يحضر إليها جثمان أخيه. بل إنها، هددته، إذا رفض عمل ذلك .. بأنها سوف تذهب إلى الملك، وتصرح له بأن كنوزه في حوزتها. وكان الابن يعرف أن أمه تعالج الأمور بإصرار شديد؛ وأن أي تحذير لها من جانبه لن يجدي شيئًا. وبذا، قام بتنفيذ هذه الخدعة: فقام ببردعة بعض الحُمر. وحمَّلها بعدد من جلود الماعز الممتلئة بالنبيذ[2]. ثم ساق الحمير أمامه.

(١) يتضح أن هذا العرض للجثمان فوق جدار المدينة، يُعد بمثابة دليل على أن مصدر القصة غير مصري. ولقد سبق أن نوهنا، إلى مدى ما يتمتع به المصريون من اهتمامات عقائدية. ولذلك، فإن قانونهم العام لم يكن يسمح بمثل هذا العرض: فبعد تنفيذ العقوبة، كان الجسم يُسلم للعائلة من أجل تحنيطه. ومجابهة لهذا الفحص والاعتراض، لن أذكر سوى فقرة بإحدى لوحات أمنحتب الثاني حيث يحكي هذا الملك، قائلاً: إنه بعد أسر عدد من الزعماء السوريين، أمر بأن تُعلق أجسادهم فوق جدران طيبة نباتا. وذلك لإثارة الذعر والرعب في قلوب المتمردين بواسطة مثل هذا المثال الرهيب. عمومًا، إن ما يفعله أي فرعون واقعي حقيقي، يستطيع تمامًا أن يقلده أي فرعون في حكاية أو قصة ما .. حتى لو كان ذلك مجرد أمر استثنائي.

(٢) عادة، لم يكن المصريون يستعينون بالقِرَب من أجل حفظ النبيذ. ولكن، غالبًا، يستعملون الجرار المدببة الصغيرة الحجم. وكان العبيد يحملونها معهم، إلى الورش أو في الحقول. ولا يُستبعد أبدًا، أن ترى، من خلال الرسوم الملونة، التي تمثل الزراعات، بعض القائمين بالحصار، وقد حملوا المذراة تحت أذرعهم، ويحتسون النبيذ من فوهة الجرة نفسها. ومع ذلك، فقد عُرف استعمال جلد الماعز. ويمكنني أن أذكر، ضمن نماذج أخرى، مشهدًا لفلاحة الحدائق، عُثر عليه في مقبرة ما في طيبة، واستنسخه "ويلكنسون" (A popular Account of the Ancient Egyptians, t.I, p.35, feg.29) ومن خلاله نشاهد ثلاثة جلود عنزات لحفظ المياه موضوعة عند حافة حوض ماء، للشرب. إذًا، فإن المعلومات التي استقصاها "هيرودوت" تتطابق تمامًا بعادات وتقاليد مصر.

وعند وصوله إلى مكان الحراس، حيث يتدلى الشخص المشنوق؛ قام بفك أربطة اثنين أو ثلاثة من جلود الماعز هذه. وعندما رأى النبيذ ينساب أرضًا، أخذ يضرب بكفيه على رأسه، وهو يصيح عاليًا .. وكأنه لا يعرف أى من حميره يجب أن يديره أولاً ..

وعندما رأى الحراس، أن كميات من النبيذ كانت تتدفق سُدًى .. اندفعوا ناحيتها، آملين أن يحصلوا لأنفسهم على النبيذ المسكوب. وحينئذ، أخذ التاجر (المزعوم) ينهال عليهم بالشتائم، ويتصنع الغضب الشديد. وهنا، أبدى الحراس شيئًا من اللطف ورقة المعاملة. وعنه هو، فإنه شيئًا فشيئًا قد عبر عن بعض الهدوء، وكبح جماح ثورته. وفى نهاية الأمر، عمل على تغيير اتجاه حميره من الطريق، لكى يعيد تحميلها. ومع ذلك، فقد أخذ كلا الجانبين يتبادلان بعض العبارات السريعة؛ حيث وجه أحد الحراس كلمة تهكم للتاجر (المزعوم). ولم يفعل هذا الأخير إزاء ذلك سوى الضحك. بل وأهداهم، بالإضافة لذلك عنزة مليئة بالنبيذ. وهنا، جلسوا جميعًا فى مكانهم، وأخذوا يحتسون الخمر. بل ورجوا التاجر أن يبقى معهم، ويشاركهم فى الشراب. وهذا ما نفذه فعلاً من أجلهم: وعندما لاحظ أنهم يعاملونه معاملة لطيفة؛ بسبب تناولهم الشراب، منحهم ما تبقى من العنزات المملوءة بالنبيذ.

وعندما انتشوا تمامًا من الشراب، وكادوا أن يموتوا سُكرًا .. غلبهم النعاس فى نفس المكان. وبقى التاجر حتى تقدم الليل تمامًا. ثم توجه لفك جثمان أخيه المشنوق ..وأخذ يهزأ بالحراس ويتهكم عليهم .. بل وحلق لهم جميعًا ذقونهم من الناحية اليمنى[1]. وحمل جثة أخيه فوق حميره، ودفعها ثانيًا نحو منزله. وبذلك، فقد نفذ أمر والدته.

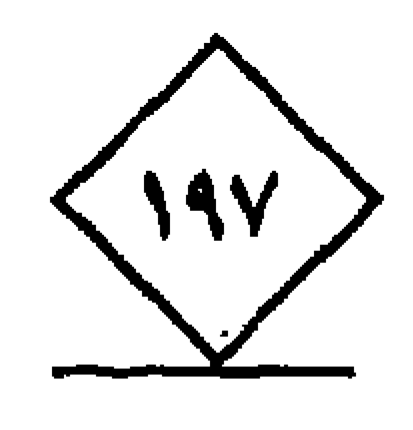
(١) يُنظر المقدمة، بخصوص ذقون الجنود المصريين.

فى اليوم التالى، عندما علم الملك بأن جثمان اللص قد نُشل فجأة، انتابه غضب شديد . وأصر، بكافة الوسائل على اقتناص من لعب هذه الألعوبة. لقد فعل أمرًا، أكاد، من ناحيتى لا أصدقه !!.. فقد فتح بيت ابنته؛ وأمر، بأن تستقبل، بدون استثناء أى إنسان يقبل إليها للحصول على متعته. ولكن، بشرط: قبل أن تسمح لمثل هذا الشخص بملامستها، عليها أن ترغمه لكى يقول لها عما فعله فى حياته من أمور حكيمة قويمة، أو شريرة !!.. وأيضًا، فإن من يحكى لها عن لصوصيته .. عليها أن تمسك به .. ولا تتركه يهرب من حجرتها[1]. وأطاعت الصبية أمر أبيها. ولكن، على ما يبدو، أن اللص، قد عرف هدف هذا التدبير وغايته. ولذلك، صمم على التغلب على كل حيل الملك ودهائه؛ بل وجابهه بمكيدة مضادة، كالآتى: فلجأ إلى استئصال ذراع ميت حديث، وأخفاها تحت ملابسه. وسلك طريقه نحو الفتاة. وحالما دخل حجرتها، بادرته بالاستجواب كما فعلت مع الآخرين. فأخذ يقص عليها: أن أكثر الجرائم بشاعة التى ارتكبها: عندما قطع رأس أخيه الذى وقع فى الفخ وهو بداخل خزائن الملك !!.. وأيضًا، فإن الأمر الأكثر ذكاء وفطنة، الذى قام به: عندما فك مشنقة أخيه عن عنقه.. بعد أن أسكر الحراس بالشراب.

وفجأة، عند سماعه، لم تخطئ فى التشبث به؛ ولكن، هذا اللص، بمساعدة الظلمة الحالكة فى الحجرة، أخرج لها ذراع الميت التى كان يخبئها تحت ملابسه. فأمسكت بها بكل قوة، معتقدة أنها يد من كان يحدثها وقتئذ .. ولكن، للأسف!!.. لقد غرر بها !.. فقد سنحت الفرصة عندئذ للص بالخروج والفرار.

---

(١) حقًا، تبدو لنا هذه الوسيلة غريبة الشأن. ولكن ربما أن المصريين يجدونها طبيعية جدًا. فإن ابنة الملك "خوفو" قد تلقت من أبيها أمرًا بفتح منزلها لكل عابر سبيل، بحيث يدفع الأجر. كما أن "تحبو" قد استقبلت "ساتنى" فى بيتها؛ لكى تستعيد منه كتاب "تحوت".



وعندما أُعلم الملك بهذا الأمر تملكته دهشة فائقة من حذق ودهاء وجسارة هذا الرجل.

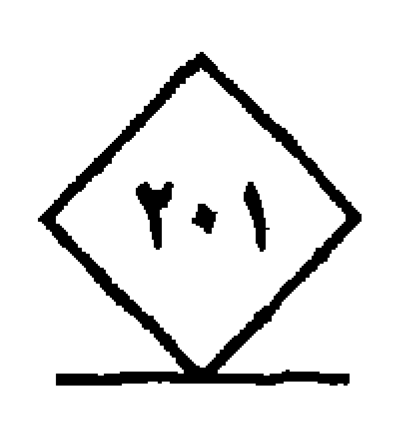
وأخيرًا، أمر بأن يُنشر فى كافة مدن مملكته، بأنه سوف يعفو عن هذا الشخص؛ وإذا أراد أن يحضر ويَمْثُل أمامه، فإنه سوف يمنحه خيرات كثيرة. وهنا، وثق اللص فى المنشور الذى أذاعه الملك. وتوجه إليه. وعندما رآه الملك، جعله يفيض دهشة وانبهارًا: فقد منحه ابنته كزوجة له وكأنه أكثر الرجال قدرة على الترقى بفكر المصريين الذين قاموا، بدورهم بالارتقاء بكافة الشعوب.

مقتطفات من كتب

ربما أن الحكايات التالية، ستكون كافية لإعطاء القاعدة العريضة من الناس فكرة عن الأدب الروائى لدى المصريين.

وقطعًا، كان يمكننى، بدون أى مانع، أن أتوقف فى كتابنا هذا عند حكاية "رمسيس سانيت" فلم يكن أحد من قرائى، ليسارع بالمطالبة بنشر النبذات والمقاطع التى سأذكرها هنا. ومع ذلك، فقد اعتقدت أن الضرورة تقتضى عدم نبذ هذه البقايا البائسة أو إهمالها .. فربما أن العلم يحتّم عدم إقصائها تمامًا.

بداية، يُلاحظ، أن مجرد عدد هذه المقاطع الأدبية، يؤكد مدى انتشار نوع الأدب الذى انبثقت منه فى أنحاء مصر قاطبة. [illegible]
وبرهان إضافى يدعم ويعضد النظرية التى تقول: إن
أحد المصادر الأصلية للقصص الشعبى الفولكلورى. و
بعض هذه المقاطع والنبذات الأدبية، لم تُدمر أو تُشوَّه إ
يمكن أن تتيح تبين أية أحداث مهمة ! وأكيد أن اثنى عشر أو خمسة عشر سطرًا من نص ما لن تروق أبدًا، لأى قارئ بسيط محب للاستطلاع. ولكن، لا ريب أن أى عالم محترف، قد يتبين بها معلومة ما، تسمح له بإعادة تكوين حدث ما، كان يعرفه من قبل، أو رواية هيروغليفية لسرد ما كان من قبل لدى شعوب أخرى.



لا شك إذًا، أن الفائدة فى مجالنا هذا ستكون مزدوجة: فإن علماء المصريات، سوف يستطيعون، إجمالاً، إعادة تكوين بعض كتابات الفكر المصرى .. التى ربما كانت ستبقى مستغلقة المضمون .. بدون هذه المقتطفات !.. وهناك آخرون، سوف يسعدون بذلك: عندما يلاحظون؛ أن العصور الغابرة، قد تضمنت قصة ما، لم يوجد منها سوى بعض الكتابات فى الزمن اللاحق.

لقد جُمعت إذًا، فى الصفحات التالية .. بقايا ست حكايات ترجع إلى عصور متباينة:

١- مقطع من قصة خرافية ترجع إلى الأسرة الثانية عشرة.

٢- حكاية الفلاح الفصيح.

٣- الصراع ما بين سقننرع وأبوفيس.

٤- ثلاث قطع من حكاية عن الأشباح.

٥- قصة البحَّار.

٦- حكاية الحيلة الخبيثة.

ويؤسفنى إننى لم أتمكن من إضافة رواية متحف بولاق؛ ولا قصة سان بطرسبرج الأولى: لأن رواية بولاق قد دُمرت وشُوهت لدرجة لا تسمح بأن نتبين بها أى معنى أو مضمون. أما عن النص الخاص برواية "سان بطرسبرج"، فهى لم تُطبع بعد.

وربما قد أتمكن من سد تلك الثغرة، لو قُدر لى فى يوم ما أن أقدم طبعة ثانية من هذا الكتاب الصغير.



مقطع من قصة خرافية

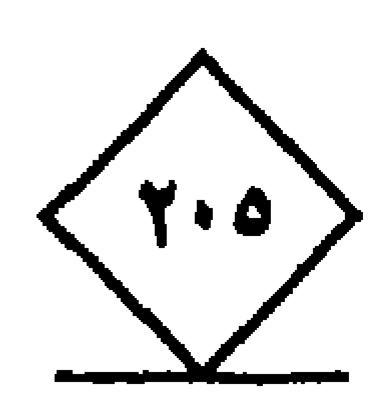
مقطع من قصة خرافية

(من الأسرة الثانية عشرة)

تتضمن "بردية برلين رقم ٣"، بقايا مؤلّفين اثنين. أولهما: حوار فلسفى ما بين شخص مصرى وروحه؛ ثم حكاية خرافية خيالية. ويُلاحظ أن الحكاية تبدأ من السطر (١٥٦)؛ وتشغل الأسطر الستة والثلاثين الأخيرة بالمخطوط الحالى (١-١٣٦-١٩١). وعند هذه النقطة، نجد أن الناسخ، ربما قد أعاقه شيء ما عن تكملة كتابته .. أو أنه قد نفد صبره. فنتبين أن المخطوط قد توقف فجأة فى نهاية أحد الأسطر .. ولم يكمل أبداً!!.. ويتراءى أيضاً أن الأسطر الأحد عشر الأولى، قد تلاشت ومُحيت إبان العصور القديمة .. والحكاية ذاتها، ليس لها بداية !!

"لقد نزلت المستنقع الذى ينساب بداخل هذا الكهف. وهناك، رأيت امرأة لا يبدو مظهرها كمثل البشر. فلقد تقلص شعرى عندما لمحت ضفائرها. أما عن لون بشرتها، فلا يمكن أبداً وصفه !!. ولم أحادثها مطلقاً، لأن رعبى وهلعى منها قد تخلل أعضائى.

"ها أنا أقول لكم: واه !!.. بالنسبة للثيران، فلنعمل على عبورها المخاضة!.. أوه !!.. وعلينا نقل العجول والعمل على إراحة المواشى الصغيرة عند مدخل المستنقع. وعن الرعاة، فعلى كل منهم أن يكون خلف



قطيعه !.. فلنقفز إذًا في الماء، في حين تعبر البهائم، في هيئة مجموعات. ولتكن في المؤخرة تلك الخاصة بالرعاة الذين يلمون بالأمور السحرية؛ لكي يعملوا تعويذة لسحر معبر المياه.

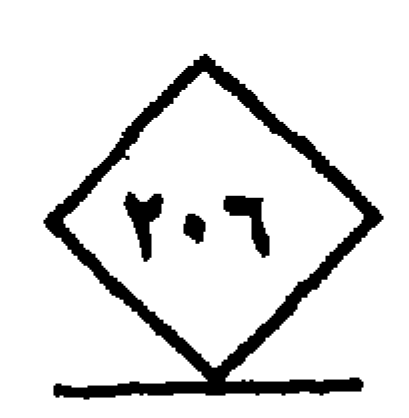
"هيا، ابتعد .. ما دمت تخشى الدمار، وتخاف من الابتعاد معى لتدمير غضب وعنفوان الإلهة "أوزيريت"، وضراوة "ربة البلدين".

"في اليوم التالى، فجرًا، سار في طريقه؛ كما سبق أن قال. وعن تلك الربة، فإنه عندما وجد نفسه في مواجهة "الوادى" .. تقدمت نحوه، وقد تعرت من ملابسها .. وأنتفش شعرها!".

يتبين أن القصة التى يفصح هذا المقطع عن وجودها، ترجع إلى الأسرة الثانية عشرة؛ بل ربما أبعد من ذلك. وكمثل الحوار الفلسفى المتضمن بالأسطر الأولى من المخطوط، فإن النص الذى في حوزتنا حاليًا، ليس سوى نسخة منه: تمت من خلال مخطوط أكثر قدمًا. فلا شك أن المجال البيئى والمشاهد المشار إليها، قد اتُّخذت فعلاً من الطبيعة والعادات في مصر ..

فها نحن إذًا على ضفة إحدى المساحات المائية، تتراءى ما بين المستنقع وما بين البركة، حيث كان نبلاء مصر بالدولة القديمة يولعون بصيد الطيور، ومطاردة التمساح وفرس النهر .. والأمر يتعلق هنا بالفيضان وبالمراسيم التى أصدرها النيل بخصوص الأراضى، التى يرويها؛ وبالرعاة الذين ينقلون، عبر إحدى القنوات عددًا من البهائم، والمواشى الصغيرة؛ وأيضًا بثورات وشراسة الربة "أوزيريت"، أو "إلهة البلدين".

وربما، قد لا يستدعى الأمر التوغل بعيدًا .. حتى جبانات منف وبنى حسن، لكى نرى بعض النقوش الغائرة التى قد تمثل وتصور هذا النص المنبثق من قصتنا المشار إليها. فمن الممكن، أن نرى، في مقبرة "تتى" مشاهد جدارية لبعض الرعاة وهم يقودون قطعان مواشيهم وعجولهم

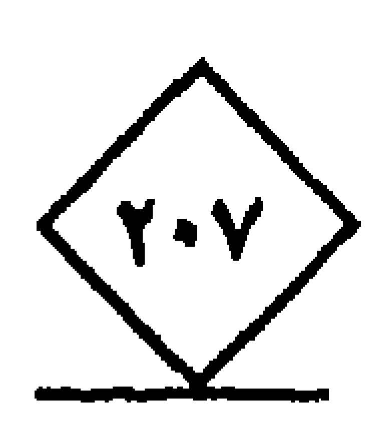


عبر إحدى القنوات أو البرك. حيث يُرى الرجال والبهائم وقد وصلت المياه إلى منتصف سيقانهم. بل إن أحد رعاة البقر، قد حمل فوق ظهره، عجلاً بائسًا صغيرًا .. أوشك التيار أن يجرفه !!

كما تضيف القصة، زيادة إلى ما كنا نحيط به من خلال النصب والمنشآت ذات النقوش والرسوم: معلومة غير عادية ومميزة للغاية. فترى، بعض الرعاة المتفاهمين تمامًا فى نطاق مهنتهم، وهم يسيرون خلف قطعانهم؛ ويرتلون بعض التعازيم والرُّقى التى تقيهم من أخطار النهر. وكذلك نجد، أن "البردية السحرية" بمجموعة هاريس، تتضمن أيضًا الكثير من الصيغ السحرية المماثلة لهذا النمط: الموجهة أساسًا ضد التمساح؛ وعامة، ضد كافة الحيوانات الخطيرة التى تعيش فى أعماق المياه. ولكن، يُلاحظ أن هذه التعاويذ تبدو فائقة الاستطالة، وبالغة التعقيد؛ ولا تصلح للاستعمال اليومى الدارج. ومن ناحيتى، فإننى أعتقد، أن تعاويذ الرعاة كانت تتسم بالقِصَر وسهولة استيعابها.

حقًا، ليس من السهل تمامًا، أن نخمن، بكل يقين، موضوع القصة. ومع ذلك، فقد عثرت فى هذا الكتاب الغريب الشأن الذى قدمه "مرتضى" عن: "معجزات مصر" .. هذه الأسطورة التى قد تتشابه إلى حد ما، مع الوقائع التى سردناها فى المقطع الآنف الذكر؛ حيث يقول:

حينما كان الملك "جبى رع" يبذل قصارى جهده لبناء الإسكندرية من أجل الملكة "شاروبى"؛ كان الراعى العامل لديه، يقود بعض القطعان التى تنتج اللبن للمطبخ الملكى .. إلى شاطئ البحر. "وفى مساء يوم ما، عندما كان يوكل بمواشيه بين أيدى الرعاة الذين كانوا يطيعونه؛ هو، الجميل الطلعة، الوسيم السمات، البديع القوام .. شاهد سيدة جميلة شابة تخرج من بين أمواج البحر !.. وتتقدم نحوه. واقتربت منه اقترابًا شديدًا، وحيته. فرد على تحيتها. وبدأت تتحدث إليه، بكل لباقة ولطف، ورُقى بالغ. وقالت له:



"أيا أيها الشاب، هل تريد أن تتصارع ضدى من أجل شىء ما سوف أتنازعه معك؟". فأجابها الراعى: "ما الذى تريدين أن تتنازعيه معى ؟". فردت عليه السيدة الشابة: "إذا تمكنت أنت من أن تطرحنى أرضًا، فسوف أكون لك، وستفعل بى كل ما يحلو لك. أما إذا طرحتك أرضًا، فإننى سأحصل على إحدى حيوانات قطيعك".

كيف عساها السيدة الشابة أسقطت الراعى الشاب .. وكيف تُراه الملك "جبى رع" عندما رأى نعاجه تتلاشى؛ فاندفع يصارع السيدة الشابة وصرعها أرضًا بدوره؟!!.. ألم يُسرد كل ذلك فى مصر فى كتابات مرتضى بن الخفيف ترجمة "م. پيير فاتييه"، الحاصل على دكتوراه فى الطب، قارئ ومدرس الملك للغة العربية(1)؟!..

أما من ناحيتى أنا، فإننى أعتقد أن المرأة الفاتنة فى حكاية القصاص المصرى القديم قد قدمت للراعى الشاب بعض الاقتراحات المماثلة لتلك التى قدمتها فى قصة الراوى العربى للراعى. عمومًا، إن الحكاية البحرية فى "سان بطرسبرج" قد صورت لنا من قبل، تنينًا يتحدث، وسيدًا لإحدى الجزر المسحورة. أما الجزء الموجود فى برلين، فهو يعرفنا بجنية، ربة إحدى المستنقعات. وعامة، كلما سنحت الصدف لأبحاثنا، فعلينا أن نتوقع، فى إطار الأدب المصرى مقابلة كافة المخلوقات الخيالية الخرافية التى تضمنها الأدب العربى فى العصور الوسطى !!

(1) "مصر التى عاش بها مرتضى بن الخفيف"، حيث علم من الأهرام، وفيضان النيل، وكافة العجائب الأخرى بهذا الإقليم، وفقًا لآراء العرب وأعرافهم. ترجمة "م. پيير فاتييه"، دكتوراه فى الطب البشرى.

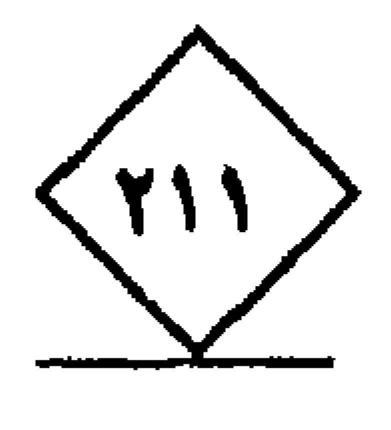
حكاية الفلاح الفصيح

على ما يبدو أن هذه القصة قد لاقت شعبية فائقة على مدى حقبة الدولة الوسطى المصرية. فقد أحطنا علما بثلاثة مخطوطات تضمنتها. منهـا اثنان فى لندن، وواحد فى برلين. وعن المخطوطين الموجـودين فى برلين، فقد نُشرا بالـ

- Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien de Lepsius, Abtheilung VI.

١- بردية برلين رقم ٢، بداية من اللوحة ١٠٨، إلى اللوحة ١١٠: تتضمن ثلاثمائة وخمسة وعشرين سطرًا، بالخط السميك، ترجع إلى الأسرة الثانية عشرة. وتبدو منظمة ومنسقة فى بدايتها. ثم بعد ذلك، تزداد إهمالاً ولا مبالاة، كلما قربت من النهاية. ويُلاحظ غياب البداية والخاتمة.

٢- بردية برلين رقم ٤، اللوحة ١١٣؛ بها مائة واثنان وأربعون سطرًا بخط سريع جدًا؛ وترجع إلى الأسرة الثانية عشرة. ومن الواضح أن هذه البردية قد تدهورت، بسبب استعمالها لأمد طويل. كما أن الثغرات الناجمة من الاستهلاك، بالإضافة إلى عدم وضوح الأحرف - قد جعلت النص يكاد أن يكون غير واضح!.. ونجد أن الأجزاء التى حُفظت، تستوعب، عند النهاية، حوالى خمسين سطرًا زائدًا. وفى ذات الحين، فإن خاتمة النص ما تزال مفتقدة.



وعن بردية لندن، فهى لم تُطبع بعد. وكانت ضمن مجموعة مؤلفات "بتلر" وبالتالى، فقد سُميت بـ :

٣- "بردية بتلر"، رقم ٥٢٧. وقد كُتبت بكتابة غليظة، منمقة ومنسقة إلى حد ما. وترجع إلى الأسرة الثانية عشرة. وهى أكثر اكتمالاً من المخطوطين السابقين. وتضيف إلى ما تحويه من معلومات، خمسين سطرًا فى هيئة مقدمة.. لا تعمل فعلاً على إفادتنا ببداية القصة.

عامة ، إننا إذا جمعنا العناصر التى تقدمها لنا هذه المخطوطات الثلاثة.. فإننا قد نتوصل إلى إعادة تكوين نص واضح الاستطالة؛ ولكنه ناقص، سواء فى المقدمة، أو النهاية!

لقد اكتُشف موضوع النص وأُعلن، فى آن واحد، من جانب كل من "م. شاباس" و "جودوين". وكان "م.شاباس" هو أول من قدم الترجمة تليها الأسطر الأولى. وذلك فى مبحثه عن:

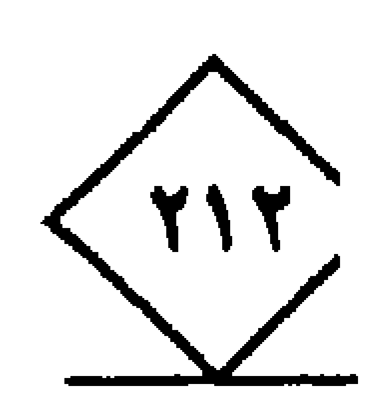
"برديات برلين الهيراطيقية. قصص عمرها حوالى أربعة آلاف عام"، باريس، ١٨٨٣، in-8 ، ص ٥-٣٦.

أما عن "جودوين" فقد اكتفى بنشر تحليل مختصر للغاية، فى مقال بعنوان:

- The story of Saneha, An Egyptian Tale of Four Thousand Years Age. وذلك فى مجلة Frazer's Magazine (عدد ١٥ فبراير ١٨٦٥، ص ١٨٥-٢٠٢).

ونجد أن "م. شاباس"، قد أدمج نصه هذا فى إطار "برديات برلين". أما "م.جودوين"، فقد واتاه الحظ أن يكتشف بردية "بتلر" فى المتحف البريطانى؛ وبالتالى، فقد أدخل مقدمته المستنتجة المكونة من بضعة أسطر، فى إطار:

"منوعات فى علم المصريات" لـ "م. شاباس"؛ السلسلة رقم ٢، باريس، ١٨٦٤، "بنجامان دوبرا"، in-8، ص ٢٤٩-٢٦٦. ولقد أتاح ذلك لـ "م. شاباس" نفسه (ص٢٦٦-٢٧٢) الفرصة لكى يصوب بعض التفاصيل فى ترجمته ذاتها، وبالترجمة الإنجليزية أيضًا.



منذ ذاك الحين، لم يُنشر شىء مطلقًا فى هذا الصدد. ولقد واتتنى الفرصة لدراسة النص وترجمته من أجل محاضراتى فى "كوليج دى فرانس". وما سنقرؤه الآن، هو بمثابة جزء من هذه الترجمة. ولقد فكرت أنه من الأجدى وقف السرد عند اللحظة التى وضع فيها الفلاح تحت المراقبة، بأمر الملك.. وأخذ يتأسى ويتوجع!

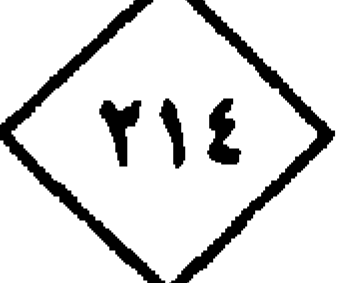
ويبدو النص المتضمن لذلك النواح والشكوى، بمثابة قطعة أدبية منمقة الأسلوب: بها الكثير من العبارات التى تتطلب شرحًا وتفسيرًا متواليًا، وربما لا يهم القارئ. كما وجدت أيضًا، إنه لا مانع من الإرجاع والتصويب، فى البداية، لبضعة أسطر توضح استهلال حكاية الفلاح.

حكاية الفلاح الفصيح

(الأسرة الثانية عشرة)

كان هناك مرة، ببلد "ننى نسوت"(١)، فلاح. وكانت له زوجة، وعنده ثلاثة أبناء. وكان لديه بضعة حمير ينقل فوقها بعض منتجات البلد، لكى تخرج بعيدًا لبيعها. وفى يوم ما، توجه إلى "واحة الملح"(٢)، وباع ما كان قد أحضره معه؛ وأخذ فى المقابل: بعض الخضر، والفاكهة، وقدرًا من المواد والخلاصات الطبية المتنوعة المستمدة من واحة الملح.

وعندما انطلق الفلاح للعودة إلى "ننسو" ووصل إلى المنطقة التى يقع فيها منزله، عند الوادى الصغير المتجه من مدينة "تونو"، قابل هناك شخصًا ما كان يقف على ضفة المياه. إنه أحد الصيادين؛ ويُدعى "تحوت نخت بن أسرى"، من أتباع المسئول الكبير "رنزى بن مرو". عندئذ، قال الصياد فى سريرة قلبه، عند رؤيته لحمار هذا الفلاح: "هذا أمر رائع !!" .. ثم أضاف: "إن الفرصة لسانحة لى لكى أستولى على بضاعة هذا الفلاح".



(١) أهناسيا المدينة.

(٢) وادى النطرون.

وكان بيت هذا الصياد يشرف على أرض تجمع ما بين طرفَى الطريق: الذى كان يتسم بضيقه، وعدم اتساعه. وهناك، كان يتم غسل الأقمشة: حيث توجد المياه من ناحية؛ أما بالناحية الأخرى، فتُرى شجرات فاكهة. وهنا قال الصياد لخادمه: "هيا أسرع، وأحضر لى صندوقًا خاصًا بالقماش والبياضات من البيت". وجاء به الخادم على الفور. ونقل الصندوق بجوار الأرض التى تجمع ما بين الطريق. ثم ثبت أحد أركان القماش فى الماء، وبسطه من الناحية الأخرى، حتى أشجار الفاكهة.

وصل الفلاح إلى الطريق العام. فقال له الموظف (الصياد): "مِن فضلك، أيها الفلاح، لا تطأ ملابسى". فأجابه الفلاح: "من فضلك، إن طريقى ممهد. وعندما أصبح فى الطريق، قال له الصياد: "لماذا أخذت تجرى وأنت فى الطريق". فأجابه الفلاح: "كان الصعود ممتدًا، وفى الطريق وجدت ثمار التمر؛ ولقد عملت من ناحيتك، على ألا يمكن المرور إلا فوق ملابسك!! .. ألم يكن عليك إبعادها عن الطريق العام ؟! وهكذا، فإن هذا الحمار، الخاص بى، قد ملأ فمه بتمر النخيل". هنا، أجابه الصياد: "إذًا، فإننى سوف أستولى على حمارك، لأنه التهم تمرى .. فمن اللازم أن يلقى عقابه". فقال له الفلاح: "إن مسارى ممهد. وهذا ظلم. وسوف أجعل حمارى يتقهقر إلى الخلف، وسأبعد حمارى عن قماشك وملابسك؛ وأنت تريد الاستحواذ عليه لأنه ملأ فمه ببضع تمرات !!.. ولكننى، أكيدًا، أعرف حاكم هذه الأملاك، إنه الحاكم الكبير "رنزى بن مرو" وهو قطعًا، يُعاقب على ممارسة العنف فى كافة أنحاء هذه الأرض. وهل أُعامل بعنف فوق أرضه ؟". فقال هذا الصياد: "هل هذا حقًا أسلوب يمكن أن يتحدث به إلى سيده رجل ينطبق عليه الحقير ؟!!. "أنا، إذا كنت أنا الذى يكلمك، فإن الحاكم الكبير هو الذى سيحاكمك !". وهنا، أمسك ببعض أفرع شجرة الطرفاء والسنط، وأخذ ينهال جَلْدًا على كافة أعضائه. واستولى على حماره، وأدخله فى حقله. عندئذ، أخذ الفلاح يبكى بكاءً شديدًا من شدة الألم مما ينزل به. وقال هذا الصياد:



"لا ترفع صوتك عاليًا، أيها الفلاح، وإلا فسوف تذهب إلى مدينة إله الصمت!!. فقال هذا الفلاح: "لقد ضربتنى، وسرقت ما أملكه، واستوليت عليه. إذًا، فأنا الذى سوف أبتهل بفمى إلى رب الصمت. رد إلىّ إذًا ما يخصنى. وقطعًا، فإننى لن أجأر بشكواى من غلظتك وعنفك".

وأمضى هذا الفلاح يومه فى التوسل إلى هذا الصياد. ولم يأبه هذا الأخير لحقه فى هذا. وعندما توجه هذا الفلاح إلى "ننسو" لكى يتوسل إلى الحاكم الكبير، وجده خارجًا من الباب لكى يصعد إلى المركب المرابطة أمام إدارته. فقال هذا الفلاح:

"أيا سيدى، سوف أريح قلبك بحديثى. وها هى الفرصة مواتية لكى تحضر أمامى تابعك المقرب إلى قلبك. فإننى قد توجهت إليك، لكى تجعله يحضر هنا". عندئذ، أمر المدير الكبير "رنزى بن مرو" بإحضار تابعه، المقرب إلى قلبه، المقدم بجواره. وبذا، أخذ هذا الفلاح يقص عليه هذه المشكلة برمتها تمامًا وفقًا لما حدثت، كاملة ..

وقام المدير الكبير بالاستعلام عن هذا التابع - المُراقَب من جانب الشباب الذين كانوا يصاحبونه. فقالوا له:

"إنها إحدى الخلافات التى قد تحدث من جانب فلاح يقابله آخر. وهكذا يفعل القوم بالنسبة لبلدهم عندما يحضر إليهم آخرون. فكذلك هم يتصرفون. وفى هذه المناسبة، قام الصياد بسرقة قليل من النترون، وشىء من الملح، الذى كان قد تلقى الأمر بإحضارها .. فحصل عليها بمثل هذه الطريقة".

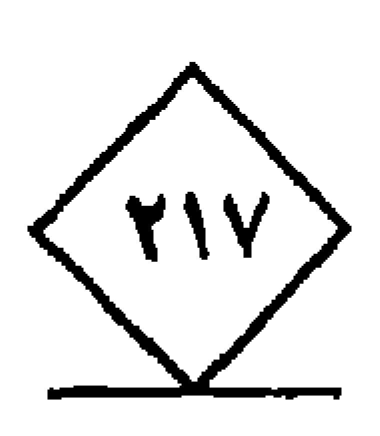
عندئذ، صمت المدير الكبير. ولم يرد على هؤلاء الشباب الصغار. ولكنه أجاب الفلاح. وعندما جاء هذا الفلاح، لكى يتضرع للمدير الكبير "رنزى بن مرو" قال له: "أيا سيدى، أعظم العظماء، المرشد الذى لا يملك شيئًا !!.. عندما يهبط إلى حوض العدالة .. فلتبحر وسط رياح مواتية وعسى ألا يتمزق أبدًا شراع ساريك. وألا يكون هناك أى أنين أو تأوه فى



قمرتك .. وألا يسير البلاء خلفك أنت .. وأن تبقى حسناتك، ولا تتحطم أبدًا. وألا يُقذف بك مطلقًا، أو تلقى أرضًا، وألا يغمرك التيار. وأنت، لن تذوق من إناء النهر. وعسى أ" يصبح مظهرك مصدرًا للرعب وتهجم عليه الأسماك.. ويُبعد الناس عن الضفة .. وعسى ألا تصبح أبدًا مجرد قذارة ودنس فى الماء. فأنت أب للبائس، وزوج للأرملة، وشقيق المرأة الشابة، ورداء المفتقد للأم. فلتعمل على أن أعلن وأنادى باسمك، باعتباره قانونًا بالبلد. المرشد بدون أية نزوة أو نزعة؛ العظيم بلا حقارة. أنت يا من تدمر الخداع، وتعم الحقيقة. فلتتقبل كلمات فمى: فها أنا أتحدث؛ فلتستمع، ولترسِ العدالة. أيها الكريم، أكثر الكرماء كرمًا؛ فلتحطم ما تسبب فى ألمى وأساى. فها أنا ذا؛ ارفعنى، وحاكمنى، فإننى ماثل أمامك متضرعًا متوسلاً".

كان هذا الفلاح يقول كلامه هذا إبان عهد ملك مصر العليا والسفلى، "نب كاورع" ذى الصوت الحق. وعندما حضر المدير الكبير "رنزى بن مرو" الأول لدى جلالته، قال: "أيا سيدى، لقد قابلت أحد الفلاحين الذى يصر قائلاً، إن ممتلكاته قد سُرقت. وبذا، فقد جاء إلىّ، لكى يُحكم فى أمره بهذا الصدد". فقال الملك: "إذا أردت أن أبين عن نزاهتى، فلا ترد مطلقًا على ما سيقوله. وأرجو، مهما قال، أو لزم الصمت أن تعد ذلك فى تقرير مكتوب: وبذلك، سوف نستمع إلى ما يُنقل إلينا. وكذلك أن تصبح زوجته وأولاده ملكًا للملك. فإنه أحد الفلاحين المفتقر إلى مأوى. ولجأ إلينا. ولتضفى الرعاية أيضًا، فى صمت على هذا الفلاح، وشخصه ذاته. وعليك أن تأمر بإعطائه بعض الخبز. ولكن، اعمل على ألا يعرف أنك أنت الذى أعطيته له".

ومُنح الفلاح قدرًا من الخبز، وإناءين من الجعة؛ كل يوم. وكان المدير الكبير قد منحها له عن طريق أحد خدمه. وهذا الأخير هو الذى أعطاها له.



ولكن، ها هو الحاكم الكبير، قد أرسل إلى أمير "واحة الملح"؛ من أجل صناعة كمية من الخبز من أجل زوجة هذا الفلاح، بحيث تُمنح ثلاثة أرغفة يوميًا ..

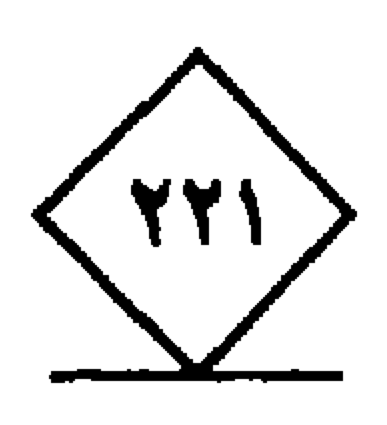
بداية من هنا، أصبح النص مجرد تمرين تحريرى للأسلوب المنمق. فنجد أن المؤلف يحكى أن الفلاح قد حضر، لإبداء شكواه للمرة الثانية، ثم للمرة الثالثة، وهكذاعلى التوالى، للمدير الكبير "رنزى بن مرو" وانخرط فى نواح ونحيب يشوبه بعض المديح المُغَالى فيه. عمومًا، إننا لن نتبعه فى تخريفاته هذه، كخطيب متصنع عتيق؛ فقد يقودنا إلى أبعد مدى؛ دون أن يوصلنا إلى نهاية القصة. وأعتقد أن فصاحة الفلاح قد ساعدته فى النهاية على أن يحظى بالسماح والعفو أمام الملك؛ وأن يرد إليه حماره. والآن، تُرى، هل عُوقب اللص ؟! فلا شك أن سيده "رنزى بن مرو" كان يشغل منصبًا رفيعًا للغاية، لكى يتخذ إزاءه مثل هذا الإجراء. وربما أن هناك غيرى من يعتقدون ما يريدون ولكننى، من ناحيتى، أظن أن الموظف الكبير قد برئت ذمته مع شىء من التأنيب، وأن الدرس كان نافعًا له. ولا شك أنه قد وجد بعض الأساليب الشريفة لكى يجمع الفدية من الناس؛ بدون أن يجعلهم يصرخون وينوحون. بل وأن يُخلّى سبيلهم .. ليس وهم أكثر سرورًا .. بل على الأقل .. أقل عويلاً وتأوهًا من الفلاح !!

الصراع بين
أبوفيس و سقننرع
(الأسرة السابعة عشرة)

هذه القصة هى أول الأجزاء التى تضمنتها "بردية ساليبه رقم ١". وعامة، اعتُبرت حتى يومنا هذا، بمثابة رواية تاريخية: لأن الأسلوب، والعبارات المستعملة، وموضوع النص نفسه ـ تبين جميعها أنها رواية. حيث يقوم بالأدوار الرئيسة أشخاص يُعرفون بأسماء تاريخية. ولكن، الموضوع برمته قد انبثق من الخيال الشعبى.

ولقد رأى "شامپليون" تلك البردية لدى مالكها الأول "م. ساليبه" فى عام ١٨٢٨، قبل سفره بعدة أيام إلى مصر؛ ثم مرة أخرى، فى عام ١٨٣٠ عند عودته إلى مصر. ولقد أفصحت الحواشى والتعليقات التى نشرها "سالفونى" إنه ربما لم يخمن طبيعة النص ذاته، فإنه، على الأقل قد عرف الفحوى التاريخية للأسماء الملكية المذكورة به.

وقام المتحف البريطانى فى عام ١٨٣٩ بشراء المخطوط؛ الذى نشره بالـ "فاكسميلى" بداية من سنة ١٨٤١ بـ: Select Papyri, t,I, pl.1-sqq. ونجد أن التعليق الذى قدمه "هوكينز" وقد حُرر قطعًا وفقًا لتعليمات "بيرش" قد ذكر اسم خصم "أبوفيس" الذى لم يكن "شامپليون" قد قرأه؛ ولكنه يعزو خرطوش "أبوفيس" إلى الملك "ببى" بالأسرة السادسة. ولا شك أن "م. دى روچيه" هو الذى عرف فعلاً ما كانت تتضمنه الصفحات الثلاث الأولى بالبردية. وهكذا، فبداية من عام ١٨٤٧ يُلاحظ أن الدراسة النقدية التى أجراها على المؤلف الضخم الخاص بـ"M.Busen" .. قد مكنته من تحقيق ومطابقة شخصية "سقننرع" .



فى عام ١٨٥٤، أشار إلى وجود اسم "خع ور" ونشر تحليل المقطع فى Athenaeum Francais, 1854,p.532 وشاع الاكتشاف شيوعًا شعبيًا فى ألمانيا؛ بفضل "بروجش" الذى حاول أن يترجم حرفيًا الأسطر الثلاثة:

- Aegptische Studien, II, Ein Aegyptisches Datum übeer die Hyksos Zeit, p.8-21, im-80, Leipzig, 1854 (Separat-Abdruck aus dem IX ten B.der Zeitschr, der D. M. G).

ثم، بعد ذلك فى إنجلترا، بفضل "جودوين" الذى خاطر وقدم الترجمة كاملة فى الـ :

- Hieratic Papyri, Cambridge Essays, 1858, p.243-245.

منذ ذلك الحين، تُرجم النص بواسطة كل من: "شاباس" (الرعاة فى مصر، أمستردام، ١٨٦٨، in-40، ص ١٦-١٩). ثم:

- Lushigtou Fragment of the First Sallier Papyrus dans les transcations of the Society of Biblical Archaeologie, t.Iv, P.263-266, reproduit dans: les Recordds of the Past.

بعد ذلك، من جانب "بروجش" أيضًا ..

- Geschichte Aegyptens, Histoire d'Egypte, in-80, 1878, p.222-226.

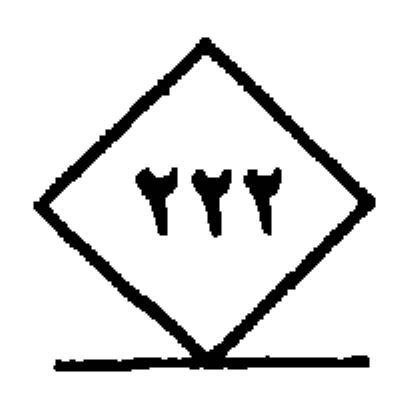
وفى مذكراته :

- Tanis und Avaris Zeits fur allg, Erdkund, Neue Folge, t, XIV, p.81 sqq.

بواسطة "إيبرس" ..

- Aegypten und die Bucher Moses, 1868, p.204 sqq).

يبدو لى إذًا، أن الأجزاء المتبقية، تسنح بإعادة تكوين الصفحتين الأولين بأكملهما .. تقريبًا. وربما أن محاولة إعادة التكوين التى اقترحها، قد تبدو جريئة وجسورة، حتى بالنسبة لعلماء المصريات !! ولكن، على أية حال، سوف يُلاحظ، أننى لم أتخذها بلا تروٍّ أو تفكر. كما أن الدراسة الدقيقة لنصى هذا، قد مهدت لى السبيل إلى نتائج .. سوف أُخضعها للنقد.



الصراع بين أبوفيس وسقننرع

(الأسرة السابعة عشرة)

فى وقت ما، وقعت أرض مصر تحت سيطرة المدنسين(1). وفى هذه الآونة لم يكن هناك ملك فوق العرش. ففى ذاك اليوم، بُوأ الملك "سقننرع"(2) على عرش بلاد الجنوب. وكان نجساء مدينة رع(3) تحت سيادة "أبوفيس"، فى أواريس(4). وكانت "الأرض قاطبة" تؤدى له الضرائب من منتجاتها المصنعة، كما تغدق عليه أيضًا من كافة الأشياء الطيبة فى تميرا(5) وعندئذ، اتخذ الملك "أبوفيس" من سوتخ ربًا له. ولم يتعبد ويبتهل لأى إله آخر فى "الأرض قاطبة".. سوى "سوتخ" وشيد معبدًا، ممتاز البناء، وأبديًا عند باب الملك "أبوفيس". وكان يستيقظ كل يوم لكى يضحى بأضاحٍ يوميًا من أجل "سوتخ" .

---

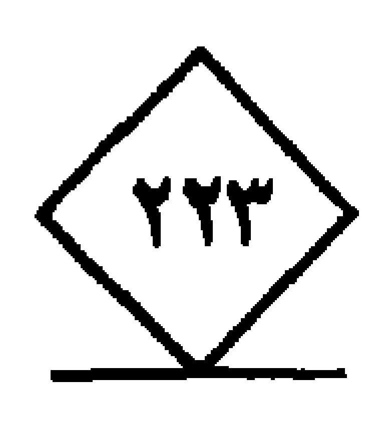
(1) أحد أوصاف السب التى كانت مشاعر الكراهية فى نفوس الكتبة توجهها إلى "الرعاة"، والشعوب الأجنبية الأخرى التى احتلت مصر.

(2) يُعد نطق هذه الكلمة بمثابة الأكثر احتمالاً للاسم الذى يُكتب عادة Roshenen ولقد تسمى ثلاثة من ملوك مصر بهذه الاسم العلم: اثنان منهم باسم "تاعا" وواحد باسم "تاعا قن"، ويُحتمل أن الأمر يتعلق هنا بأكثرهما قدمًا.

(3) مدينة رع، هى هليوبوليس؛ "أون" الشمال.

(4) "حرون" هى "أفاريس" كما ذكر "مانيتون" قلعة الغزاة الرعاة فى مصر. ولقد أثبت "م.دى روچيه" أن حرون هو أحد أسماء تانيس الدارجة قديمًا.

(5) مصر السفلى، "بلد القنوات" c.f.p.131 nole 2.



وحضر المقطعون التابعون للملك، ومعهم أكاليل الزهور؛ تمامًا مثلما يتم من أجل معبد "رع حورآختى". وفكر الملك "أبوفيس" فى إرسال خطاب، ليعلن بذلك الملك "سقننرع" وأمير مدينة الجنوب (١). بعد ذلك، مرت أيام عديدة. وهنا، استدعى الملك "أبوفيس" كبار قادته .. ..

* * *

توقف النص هنا، ولم يتتابع إلا فى بداية الصفحة رقم (٢). وعند استهلاله، بعد ثغرة كاملة مداها خمسة أسطر ونصف .. تطالعنا بعض الجمل التى تتعلق قطعًا برسالة الملك "أبوفيس". وهنا، نجد أمثلة عديدة، مقتبسة من النصوص الروائية، والتاريخية أيضًا، تحيطنا علمًا: بأن أية رسالة يُعهد بها لشخص ما، يتحتم عليه ترديدها كلمة كلمة. ولذا، علينا أن نؤكد أن السطرين الموضوعين بالصفحة رقم (٢) على لسان المراسل، كانا، من قبل بالأسطر الموجودة فى الصفحة رقم (١).

ويتبين أن هذه النسخة الأولى من الرسالة قد لُقن بها مستشارو الملك. ولكن، تُرى من كان هؤلاء المستشارون ؟! ..هل كانوا كبار الأمراء الذين استدعاهم الملك عند النقط التى أُوقف فيها النص؟ كلا؛ فإنه من خلال الأجزاء المحفوظة من السطر السابع، يمكننا قراءة أسماء الكتبة العلماء. ثم عند السطر الثانى بالصفحة رقم (٢)، نتأكد بكل تأكيد أن "أبوفيس"، قد أرسل إلى "سقننرع" الذى قال له عنه كتبته العلماء. علينا إذًا، أن نقر: بأن "أبوفيس"، قد استشار قادته المدنيين والعسكريين .. فنصحه هؤلاء بأن يتوجه لكتبته. ونجد أن حديث هؤلاء الأخيرين يبدأ عند نهاية السطر السابع مع علامة التعجب اللازمة: أيا مولاى !.. سيدنا !

جملة القول، بالنسبة لهذا الجزء الأول من الثغرة، سوف نجد أمامنا مداولة متشابهة تمامًا بتلك التى سنقابلها بعد ذلك، فى بلاط "سقننرع"؛ وأيضًا فى "قصة الأخوين" عندما أراد الفرعون أن يعرف، لمن كانت خصلة الشعر التى عطرت بياضاته وملابسه الداخلية.

* * *

(١) مدينة الجنوب : "طيبة" .

حقيقة أن كبار زعمائه، وأيضًا ضباطه وقادته كانوا مطّلعين فطنين. ولكنهم، مع ذلك لم يفلحوا فى أن يقدموا له عبارات طيبة لإرسالها للملك "سقننرع"، زعيم بلاد الجنوب. عندئذ، أمر الملك "أبوفيس" باستدعاء كُتَّابه السحرة. فقالوا له: "أيا مولانا !.. وسيدنا(١)!..". ثم قدموا للملك "أبوفيس" الكلام الذى كان يرغبه: "فليتوجه أحد المراسلين إلى زعيم مدينة الجنوب ليخبره" أن الملك "أبوفيس"، يرسل إليك قائلاً: "فليتم إخلاء قنوات البلد من حيوانات فرس النهر، إلى المستنقع .. حتى تتركه ينعم بالنوم، مساء ونهارًا ..".

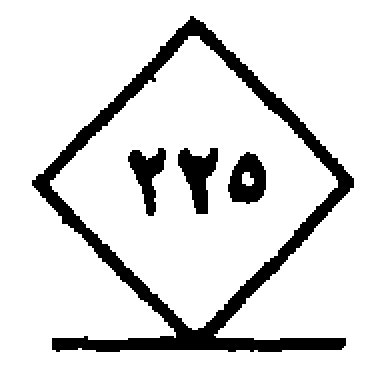
* * *

ها هو جزء من الفجوة التى سُدت أكيدًا .. على الأقل فيما يتعلق بالمضمون ولكن، تبقى فى نهاية الصفحة، سطر ونصف، أو ربما سطران وأكثر لشغلها ..

وهنا كذلك، نلاحظ أن بقية النص تسمح باستعادة جزء مما نقص من النص ذاته. فبالفعل، نرى أن الملك "سقننرع" بعد أن تلقى الرسالة المذكورة عاليه: قد جمع أفراد مجلسه؛ الذين شملتهم الحيرة .. ولم يجدوا ما يجيبون به. وهنا، بعث الملك "أبوفيس" بخطاب جديد ..

ولا شك مطلقًا، أن الحيرة والصمت، كانت أمرًا منتظرًا تمامًا من جانب كتبة "أبوفيس". وكذلك أن الجزء المتضمن لحديثهم الذى حُفظ لنا حتى الآن بأعلى الصفحة (٢)، قد استوعب نهاية الرسالة الثانية التى يُفترض أن "أبوفيس" قد بعثها .. فى حالة عدم وصول رد على الأولى!

وفى نطاق مثل هذه القصص، حيث يتعلق الموضوع بأمر خارق للطبيعى، يتحتم على أحد الملكين .. الإعلان عن العقوبة التى سوف يخضع لها الآخر فى حالة إخفاقه؛ أو: المكافأة التى قد ينالها فى حالة نجاحه. ولا شك أن الأمر سار على هذا المنوال ذاته فى قصتنا هذه. وها أنا أقترح التصويب التالى:



(١) يُحتمل أن هذا السطر كان قد دُونت به بعض عبارات المدح والتقدير.

"لم يعرف بماذا يجيب؛ لا مدحًا ولا سوءًا! إذًا عليك أن تبعث إليه برسالة أخرى؛ كما يلى: الملك "أبوفيس" يقول لك فى رسالته هذه: إذا كان زعيم الجنوب لا يستطيع الرد على خطابى، فعليه ألا يعبد آلهة أخرى خلاف "سوتخ". أما إذا أجاب عليه، وأنجز ما قلت له أن يفعله(١)؛ ففى هذه الحال، لن آخذ منه شيئًا، ولن أنحنى أبدًا أمام إله آخر فى مصر، سوى "أمون رع"، ملك الآلهة!".

بعد مرور أيام عديدة على هذا الحدث، بعث الملك "أبوفيس" إلى أمير الجنوب بالرسالة التى كان كتبته السحرة قد سلموها له. ووصل مراسل الملك "أبوفيس" لدى أمير الجنوب. فقال هذا الأخير لمراسل الملك "أبوفيس": أية رسالة أتيت بها إلى بلد الجنوب؟ ولماذا قمت بهذا السفر؟". فقال له المراسل: "فلتطارد نحو المستنقع حيوانات فرس النهر القائمة فى قنوات البلد. حتى تتركنى أنام نهارًا وليلاً..". حينئذ، أُصيب زعيم الجنوب بالذهول، ولم يعرف ما يجيب به مراسل الملك "أبوفيس"، فقال: "هذا بالنسبة لسيدك .. بعث من أجل .. .. زعيم بلد الجنوب .. إن الكلمات التى بعثها إلىّ .. أملاكه..".. ثم أمر زعيم الجنوب بمنح كافة أصناف الأشياء الطيبة، واللحوم، والفطائر والحلوى، وال.. ..، والنبيذ، للمراسل. ثم قال له: "ارجع وقل لسيدك: .. .. كل ما قلته، أوافق عليه .. ..". بعدئذ، استهل مراسل الملك "أبوفيس" مسيرته إلى قصر سيده.

عندئذ، استدعى زعيم الجنوب كبار زعمائه، وضباطه وقادته المطلعين الفطنين. وردد على مسامعهم كل الرسالة التى بعثها إليه الملك "أبوفيس". وهنا .. لم يعرفوا بماذا يجيبون؛ خيرًا أو شرًا !!

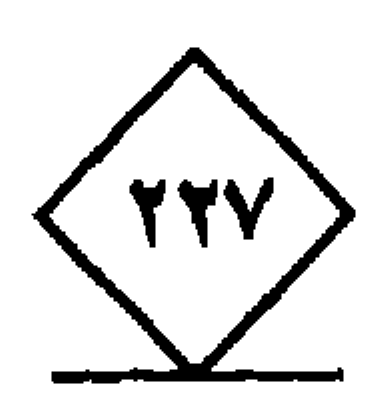
بعث الملك "أبوفيس" إلى زعيم الجنوب بالرسالة الأخرى التى كان كتبته السحرة قد سلموها له .. .. .



(١) الجزء الذى حُفظ من النص يبدأ من هنا.

حقًا من المؤسف أن يتوقف النص، بالضبط فى هذا المكان. ولا شك أن الكاتب الذى دَوَّن مخطوط "ساليه رقم ١ "كان يزمع فعلاً إكمال حكايته. حيث كان قد نسخ أسطرها الأخيرة بظهر إحدى الصفحات. وتأهب للاستمرار فى سردها. ولكن ربما أن حادثًا ما قد وقع، فأوقفه عن العمل .. أو ربما أن "الأستاذ" الذى كان يملى عليه النص .. لم يكن يعرف، هو نفسه النهاية !! .. عمومًا، لقد ذكرت من قبل فى المقدمة، نمط الخاتمة المحتملة؛ أى:

الملك "سقننرع"، بعد أن تردد طويلاً، نجح فى أن يخرج من
المأزق المحير؛ حيث أزمع خصمه القوى أن يحاصره به.
وحقيقة أن إجابته قد انتظرت لأمد طويل؛ وبالتالى،
ربما لم تكن أقل غرابة وشذوذًا من خطاب
"أبوفيس". ولكن، ليس هناك
أبدًا ما يجعلنا نتكهنها !



ثلاث قِطع
من حكاية عن الأشباح

ثلاث قطع من حكاية عن الأشباح

(الأسرة العشرون)

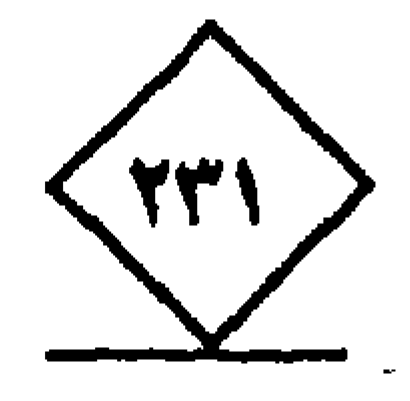
لقد حُفظت لنا هذه الأجزاء الثلاثة فوق ثلاث شقافات فَخَّارية؛ منها واحدة فقط بمتحف اللوفر. أما الاثنتان الأخريان فهما بالمتحف المصرى فى فلورنسا.

وعن الشقفة القائمة فى باريس فهى تتكون من قطعتين تم إلصاقهما ثانيًا معًا، وسُطرت عليهما بقايا أحد عشر سطرًا. ولقد تُرجم النص؛ ولكنه لم يُنشر. حيث ترجمه "ديفيريا"، وهو كتالوج خاص بالمخطوطات المصرية بمتحف اللوفر؛ فى باريس ١٨٧٢، ص ٢٠٨. أما عن الخرطوش الذى يتضمنه، فقد قام بتحليله ودراسته:

- Linke, Uber einem noch nicht erklaerten koenigsnamen auf einem Ostrakon, des ouvre dans le Recueil de Travaux,

باللوفر، من خلال مجموعة الأعمال المتعلقة بعلم اللغات؛ وعلم الآثار المصرية والآشورية، ١٨٨٠، t.II ، ص ٨٥-٨٩ . وبقى النص بدون نشر.

وبالنسبة للجزأين الموجودين فى فلورنسا، فقد رُقّما، من خلال كتالوج Migliarini برقمى ٢٦١٦، و ٢٦١٧. ولقد تم تصويرهما فى عام



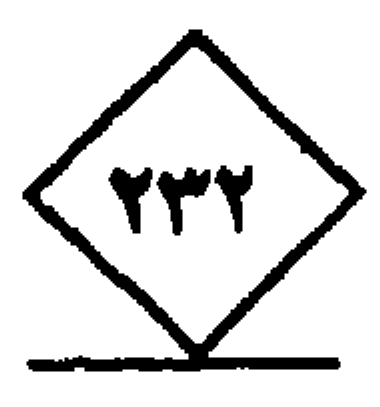
١٨٧٦ من جانب "م. و. جولينشيف". ثم استُنسخا بشكل غير مكتمل بواسطة "م. إرمان" فى الـ Zeitschrift (3e fax-1888)-١٨٨٨. وأخيرًا، نُشرا بطريقة "الفاكسميلى"؛ ونُسخا وتُرجما من جانب جولينشيف؛ "موجز لشقفة هيراطيقية بمتحف فلورنسا" (بواسطة لوحتين)، من خلال "المجموعة"، عام ١٨٨١، t.III ، ص ٣-٧.

ولقد أرفقت مع مذكرة "م. جولينشيف" ملحوظة إضافية (Recueil, t.III, p.7) ، تتضمن عدة تصويبات. وفى واقع الأمر أن الجزأين الموجودين فى فلورنسا، لا يقدمان سوى نص واحد. فعلى ما يبدو أن الشقفة رقم ٢٦١٧، هى مجرد نسخة من الشقفة رقم ٢٦١٦ .

وكذلك، ليس من السهل معرفة المعطى الرئيس بالحكاية. فها هى مجموعة من الأفراد، يقوم، من خلالها كل منهم بدوره. فنرى أحد كبار كهنة "آمون ـ طيبة"، ويُدعى "خونسو إم حب" ثم ثلاثة رجال بدون أسماء؛ وكذلك شبحًا ما، يتحدث فى عبارات حسنة جدًا عن حياته الماضية. ونجد أن شقفة باريس قد حفظت لنا جزءًا من بداية القصة. ويتراءى أن الكاهن الأكبر "خونسو إم حب" يُشغل باله كثيرًا بفكرة العثور على مكان مناسب لإعداد مقبرته.

* * *

بعث بأحد أتباعه إلى المكان الذى تنتصب به مقبرة ملك مصر العليا والسفلى "رع حتبو". وقد رافقه عدد من الأفراد بأمر من كبير كهنة أمون، ملك الآلهة. فقد ذهب معه ثلاثة أشخاص، فيكون المجموع: أربعة أشخاص. وصعد هذا الأخير معهم إلى متن المركب. وأبحر. وقادهم إلى المكان المحدد، على مقربة من قبر الملك "رع حتبو". واقتربوا منه جميعًا معها. ودخلوا به: وأخذت هى تتعبد فى خمسة وعشرين .. .. ..(؟) .. .. بالـ .. .. الملكية (؟) .. .. المنطقة. ثم وصلوا إلى الساحل. وبدؤوا يبحرون نحو "خونسو إم حب" كبير كهنة "أمون- رع"، ملك الآلهة. فوجدوه وهو يتغنى ويشدو ثناء ومديحًا للإله فى معبد مدينة أمون.



وقال لهم: "هيا فلنبتهج. فإننى قد حضرت، ورأيت المكان مناسبًا لكى أعد به إقامتى الأبدية !!". هنا، قال له الرجال الثلاثة فى صوت واحد: "لقد وُجد المكان ملائمًا لكى تعد به إقامتك الأبدية". وجلسوا أمامها؛ وأمضت يومًا سارًا، وامتلأ قلبها بهجة. ثم قال لهم: "فلتكونوا مستعدين غدًا صباحًا، عندما يخرج قرص شمسى من بين الأفقين". وأمر وكيل معبد أمون بأن يسكنهم هؤلاء الأشخاص. ثم قال لكل منهم؛ ما يجب عليه أن يفعله. بعد ذلك جعلهم يعودون إلى المدينة، مساء، لكى يناموا.

بالجزء الموجود فى فلورنسا، يتقابل كاهن أمون الأكبر، وجهًا لوجه مع الشبح. فربما أنه عندما أمر بحفر المقبرة، قد وجد، صدفة، قبرًا آخر أكثر قدمًا .. أخذ ساكنه يتحادث معه !!.. عمومًا، قد يبين مدى تفهمنا للنص .. أن الذى يتحدث هنا، هو "نبى ـ أمون".

* * *

"كنت أتقدم فى العمر، ولكننى لم أكن أشاهد أشعة الشمس، ولا أستنشق نسمات الهواء. ولكن، كان الظلام فى مواجهتى كل يوم؛ ولا أحد يأتى لمقابلتى". فقال له الشبح:

"بالنسبة لى أنا، عندما كنت فى قيد الحياة فوق الأرض، كنت أشغل وظيفة رئيس خزائن الملك "رع حتبو". كما تبوأت أيضًا رتبة الملازم الأول فى فرقة المشاة (بجيش الفرعون). ثم، بعد ذلك، أصبحت المتقدم على القوم؛ والسائر خلف الآلهة. وتُوفِّيتُ فى العام الرابع عشر، خلال أشهر "شمو"[1]، خلال حكم الملك "منتوحتب". وقد أمر جلالته، بأن أحظى بأغلفتى الأربعة، وتابوتى المنحوت من المرمر. بل أمر بأن يُجهز من أجلى، كل ما يُعد لأى إنسان رفيع الشأن. كما قدم لى العديد من القرابين ..!

* * *

(١) قُسم العام المصرى إلى ثلاثة فصول، يتكون كل منها من أربعة أشهر. "شمو"، كان فصل الحصاد.

ربما قد يبدو كل ما يلى فائق الغموض والإبهام. فها هو الميت يتأسى ويشكو من بعض الحوادث التى وقعت له شخصيًا، أو لمقبرته. ولكننى، مع ذلك، لا أتبين تمامًا ما سبب سخطه وعدم رضائه؟! وعندما انتهى حديثه، بدأ "الحى" يفيض ويكثر فى كلامه.

فقال له نبى أمون رع الأول، ملك الآلهة، "خونسو إم حب":

"آه !!.. أعطنى نصيحة ممتازة لما يجب أن أفعله، وسوف أنفذه من أجلك. أو على الأقل، فلتسمح بإعطائى خمسة رجال وخمسة عبيد؛ أى إجمالاً عشرة أشخاص، لكى يحضروا إلىّ المياه. وعندئذ، سوف أوفر الحبوب كل يوم. وسيعمل ذلك على إثرائى، وستقدم لى تكريمًا بإراقة المياه كل يوم". فأجابه الشبح "نوت بوسوخن"(١):

"ماذا عساك فعلت؟ .. إن عدم ترك الخشب تحت أشعة الشمس .. لا يجعله يجف. فإن الحجر الموغل فى القدم، ليس الذى سوف يُحضر.. ..".

* * *

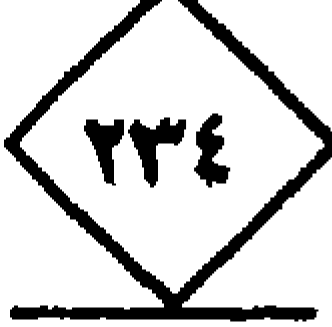
لا أعرف عما إذا كان العرف السائد عند جميع الأشباح المصريين، أن يجعلوا كلامهم فائق الغموض!!.. وهذا الشبح، لا يبدو مطلقًا أنه يعمل على توضيح عباراته !!. وها هو حديثه أيضًا يتوقف فجأة فى منتصف جملة ! وربما إذا لم يكتشف "م. جولينشيف" بعض الشقفات الأخرى فى أحد المتاحف ..

فليس هناك أية فرصة أمامنا،

لكى نعرف النهاية ..

نهاية الحكاية.

(١) يعنى هذا الاسم: أن المنزل لم يعد يحويه. وربما قد لا يكون اسم المتوفى، بل عبارة نوعية تعبر عن الأشباح.

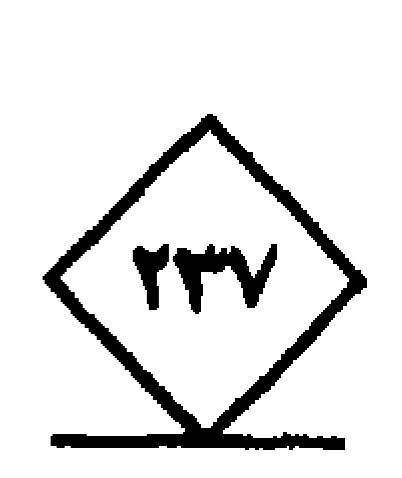


قصة البحّار

اقتُطف هذا الجزء من البردية الديموطيقية الكبرى بالمكتبة القومية. وقد أُحضرت هذه البردية إلى فرنسا، فى بداية القرن، بواسطة أحد أعضاء بعثة مصر. وكانت، حتى عام ١٨٧١ تُعتبر مفقودة. ولكن، عُثر عليها أخيرًا فى ثنايا حزمة من الورق لدى إحدى العائلات. وقد أعطتها مكتبة "ميزونوف" إلى المكتبة القومية بباريس؛ التى امتلكتها بثمن بخس لا يزيد على (١٠٠٠ فرنك)!!

ولقد دُونت عليها كتابات بوجهتيها. كما تتضمن الكثير من التكوينات ذات سمة خاصة؛ قد تتراءى كأنها تاريخية؛ ومع ذلك، يُلاحظ أن الخيال، فى نطاقها، يحتل مكانًا أكبر من التاريخ، ويُلاحظ أن الجزء الذى يشغل مكانة واضحة فى إطار هذه المجموعة، هو الذى قدمت ترجمته فى الصفحات التالية. ولا شك أن الفضل فى اكتشاف النص ونشره يرجع إلى "م. أوجين ريفيوت" نائب المحافظ بالمتحف المصرى فى اللوفر.

النبذة الأولى عن "الوقائع الديموطيقية" بباريس: الملك "أمازيس" والجند المرتزقة؛ وفقًا للمعطيات التى قدمها "هيرودوت"، ومعلومات "الأحداث" فى "المجلة الإيچيبتولوچية" I.t ، ص ٤٩-٨٢؛ ولوحة ٢، in-1، باريس، ١٨٨٠، "آ. ليرو".



يتـراءى، أن الملك "أمـازيس" كـان يلهم كـثيـرًا الرواة المصـريين. وهو ينحدر أساسًا من أصل متواضع. ويتسم بفكر ساخر لاذع. وأبدى سياسة شجاعة جسورة إزاء الإغريق. ولا شك أن ذلك كله، قد أثار ضده، من ناحية، كراهية وحقدًا دفينًا من جانب البعض؛ أما من الناحية الأخرى فقد حظى بإعجاب شديد. وها هو "هيرودوت"، يجمع عنه الكثير من المعلومات المتناقضة المتباينة تمامًا عن بعضها بعضًا !!

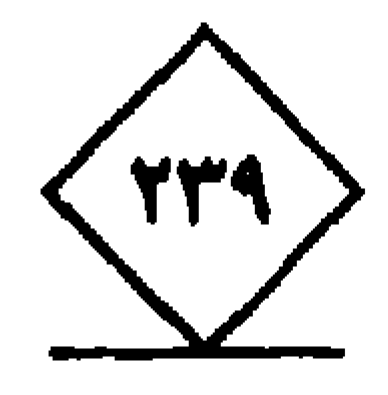
وتأخذنا ثانيًا رواية "البحَّار" إلى الشكل الأصلى. إنها إحدى النوادر التى حُكيت عنه: حيث يقول المؤلف: إن الملك "أمازيس"، قد ثمل وانتشى فى ليلة ما؛ ولذا، فإنه، عند استيقاظه فى صباح اليوم التالى، شعر بثقل شديد فى رأسه. ولذلك لم يجد نفسه مستعدًا لمعالجة المشاكل الجادة الخطيرة. فسأل جلساءه، عما إذا كان أحدهم يعرف بعض الحكايات المسلية. وهنا، انتهز أحد الحاضرين هذه الفرصة؛ فأخذ يقص .. مغامرات أحد البحارة. ونرى أن النص قد أُوقف لمرات كثيرة، وبذلك قد لا يمكننا الحكم على الاتجاه الذى يتخذه السرد. وربما، قد يتبادر إلى أذهاننا تمامًا، أن الراوى قد استمد من هذه الحكاية مغزى وعظة يمكن تطبيقها على الملك "أمازيس".

ولذا، يبدو لى، أن الواقعة المذكورة فى البداية، لا تعدو أن تكون سوى حجة لسرد الحكاية. وربما إننى، بدون أن أشير إلى فقرة بكتاب "إستر" حيث يُحكى أن "إسويروس" لم يكن يستطيع أن ينام، فأمر بأن تُقرأ عليه الحوليات الخاصة بحكمه؛ فلا شك مطلقًا أن الرواية المصرية فى "سان بطرسبرج"، تُستهل تقريبًا، بالطريقة ذاتها: فها هو الملك "سنفرو" قد جمع أفراد مجلسه، وطلب أن تُحكى له قصة !!.. والآن، اسمحوا لى ألا أوجه لهذا السرد، الأهمية ذاتها التى أوليها لقصة "سنوهى"؛ أو "تحوتى".

قصة البخار

يُحكى، فى عهد الملك "أحمس" أن الملك قال لكبار موظفيه: "يحلو لى كثيرًا أن أشرب من عرق نبيذ مصر!". فقالوا: "أيا مليكنا العظيم، إنه لصعب جدًا شرب عرق النبيذ". فقال لهم: "هل تجمعون على معارضة ما أقوله[1]؟!". فقالوا: "أيا مليكنا العظيم، فليفعل الملك ما يروق له". فقال الملك: "فليُحضر عرق النبيذ من مصر عبر النهر!". وتصرفوا وفقًا لأمر الملك. وقام الملك بالاستحمام؛ وكذلك أبناؤه. وبعد ذلك، لم يكن معهم أى نبيذ فى العالم .. سوى عرق نبيذ مصر. وتلذذ الملك وابتهج مع أبنائه. واحتسى كمية كبيرة من النبيذ .. بسبب نهمه الشديد فيما يتعلق بعرق نبيذ مصر. ثم نام الملك على مقربة من مياه النهر، فى هذا اليوم .. حيث كان قد أمر بإحضار سرير للاسترخاء تعلوه كرمة معترشة، عند ضفاف النهر.

فى صباح اليوم التالى، لم يستطع الملك القيام من نومه، لشدة سُكْره ونشوته التى غاص فيها. ومضت ساعة أخرى؛ ولم يستطع أيضًا القيام؛ وهنا، نطق الجلساء بهذه الشكوى قائلين: "هل يمكن عندما يسكر الملك وينتشى كأى إنسان فى العالم .. فإن أى إنسان فى العالم لن يستطيع



(١) حرفيًا: "هل ما قتله لكم رائحته كريهة"؟

أبدًا الدخول عند الملك، لعرض أى موضوع أو مشكلة (١)؟!". وعندئذ، دخل الجلساء بالمكان الذى ينام به الملك؛ وقالوا: "أيا سيدنا العظيم، ما الرغبة التى تتملك الملك؟". فقال الملك:

"يروق لى الانتشاء والسُّكْر كثيرًا .. ألا يوجد أحد بينكم يمكنه أن يقص علىَّ قصة .. حيث يساعدنى ذلك على الاستيقاظ؟". فى هذا الحين، كان هناك "أخ ملكى"(٢)، ضمن الجلساء، ويُدعى "بى ون"(٣). وكان على علم بالكثير من الحكايات. فتقدم أمام الملك. وقال: "أيا سيدنا العظيم .. ألا يعرف الملك المغامرة التى وقعت لبحار شاب؛ كان يُسمى .. .. ..؟!".

يُحكى فى عهد الملك "بسمتك"(٤)، أنه كان يعيش بحار؛ متزوج. وكان هناك أيضًا بحار آخر غير متزوج، اسمه .. .. .. وقد هام حبًا بزوجة الأول، التى كانت تُدعى "تاعنخ"(٥). وكانت تحبه، وهو يحبها كذلك.

وفى يوم ما، استدعاه الملك .. .. .. فى هذا اليوم .. .. .. وبعد الاحتفال استبدت به رغبة عارمة .. .. . وكان قد أعطاه له. فقال: ".. .. ..". وأدخل إلى مقام الملك. وحضر إلى بيته واغتسل مع زوجته. ولم يستطع .. .. .. أن يحتسى الشراب كالمعتاد. وعندما حان موعد نومهما معًا؛ فلم يستطع التعرف عليها، بسبب شدة ما انتابه من ألم. فقالت له: "ما الذى حدث لك عند النهر؟!!".

* * *

(١) "هل هذا أمر يمكن حدوثه؛ هذا؛ إذا سكر الملك مثل أى إنسان فى العالم؛ لا يمكن لأى إنسان فى العالم أن يدخل لمشكلة ما نحو الملك؟"

(٢) القراءة هنا مثيرة للشك. عمومًا، فإن لقب "الأخ الملكى"، كان نادرًا فى مصر. ويعبر عن مرتبة رفيعة فى إطار تدرجات الأمراء والنبلاء.

(٣) قراءة هذا الاسم غير أكيدة، ولقد استعنت، ضمن العلامات المعروفة، بالعلامة التى يتقارب شكلها من ذاك الذى قدمته "الفاكسميلى".

(٤) يحتل هذا الاسم نهاية أحد الأسطر. وهو مدمر تدميرًا فائقًا. واعتقدت أن العلامة الأولى مثل حرف الـ "P"، كما بدا بالـ "فاكسيملى". وهكذا، اقترحت اسم "بسمتك".

(٥) حرفيًا: استحوذ حبها عليه، التى تُنادى "تاعنخ".



ربما أن نشر "فاكسميلى" دقيق وصائب تمامًا، قد يسمح لى، فى يوم ما بترجمة الأسطر الأخيرة ترجمة كاملة. وسوف أحاول إذًا، انتظارًا لذلك، أن أفسر وأشرح المشهد الأول بالبداية ..

فها هو الملك "أحمس" أو بالأحرى "أمازيس" لدى الإغريق، قد أراد أن يحتسى نوعًا من الخمور؛ قد عرفها النص دائمًا باسم "كولوبى" مصر؛ لاختلافها قطعًا عن الخمور الأجنبية: التى كانت تُجلب إلى مصر بواسطة التجارة .. ويرى "م. ريفيوت"، أن "كولوبى مصر"؛ ربما قد يكون، سواء نبيذ الفيوم اللاذع، أو نبيذ "مريا"(١). وقد يُعتقد أن الكولوبى لم يكن يُجهز من العنب؛ وإلا فى هذه الحال، قد يُقارن بنوع من الجعة التى كان الإغريق يسمونها: "كوبى"(٢)..

عمومًا. إننى أميل كثيرًا إلى الاعتقاد أن هذا المشروب، القوى الطعم للغاية .. والذى يصل مفعول نشوته إلى درجة تجعل الملك عاجزًا عن العمل .. لم يكن نبيذًا طبيعيًا !!.. ربما قد يكون نبيذًا غريب الشأن وغير مألوف، تحدث عنه "بلين"(٣). واسمه الإغريقى هو: "إكبولوس"؛ الذى قد يكون بمثابة سجع وتقفية بعيدة الأمد للكلمة المصرية: "كولوبى". بل قد يكون أيضًا نمطًا من النبيذ المخلوط، بكمية فائقة بالكحول.. لدرجة تسمح بإشعاله؛ مثلما نفعل الآن بـ"عرق ماء الحياة". عمومًا، إننى تقبلت عدم تسمية الكولوبى، بهذه العبارة غير الصائبة.

المشهد هنا يقع على ضفة بحيرة ما. ولكننى لا أعتقد أبدًا أنها بحيرة مريوط (٤)، أو أى من البحيرات بالدلتا. وبالنسبة لكلمة "شى" أى بحيرة،

(١) Revue égyptologique, t,I,p.65,note 1.

(٢) Dioscoride, "De la matièr medicale", 1, II, ch. 109 et 110.

(٣) H.N., XIV, 18.

(٤) Révillot, Op.t., p.65 note 2.

فقد تتطابق دائمًا، فى الكتابات المصرية، بمساحات المياه الصناعية التى كان كبار الشخصيات المميزين، مولعين جدًا بأن يزينوا بها حدائقهم.

وغالبًا ما يُرجى للمتوفى، هذه الحظوة العليا: أن يستطيع التنزه فى سلام على ضفاف البحيرة التى حفرها لنفسه فى حديقته. وربما لا يستدعى الأمر أن يكون المرء قد أمضى وقتًا طويلاً فى مصر، لكى يتفهم مدى مناسبة مثل هذه الأمنية. فها هى الرسوم الملونة بمقابر طيبة، تبين لنا المُتوفَّى، جالسًا على ضفة بحيرته. ثم هناك أيضًا الكثير من المناظر التى تؤكد أن هذه البحيرات، كانت تُقام أحيانًا، على مقربة مباشرة للكرمات والأشجار المثمرة بالفاكهة.

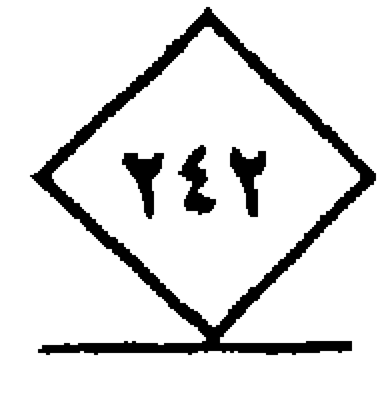
إذًا فإن مؤلف الرواية، قد أشار هنا إلى مظهر بسيط فى إطار الحياة العادية؛ وهو يقدم لنا "أحمس" أثناء احتسائه بعض النبيذ على مقربة من بحيرة أو قصره. ثم يقضى ليلته تحت كرمة معترشة على ضفة المياه (١).

* * *

يقول "بلوتارخ" فى إحدى الفقرات؛ إن الملك "بسمتك"، كان أول من احتسى النبيذ؛ وبذا، يتبين أن أحمس ليس أول من عُزِيَت إليه، مثل هذه العادات. ويؤكد كتاب "هيرودوت" أنه كان من أكثر المعتادين على ذلك: وربما أن ذلك كان بمثابة استتباع طبيعى للكراهية التى كان يضمرها له رجال الكهنوت، والموالون للأسرة الصاوية القديمة.

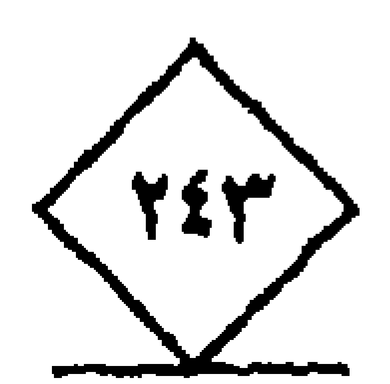
تُرى، هل كان لهذه الأقاويل أساس فى الواقع؟!.. وأن القصص التى جمعها "هيرودوت"، ما هى فى الحقيقة، سوى مغالاة خبيثة .. لنقطة

(١) Wilkinson, "A popular Account of the Ancient Egyptians", t,I,p.25, 38, 42.



ضعف هذا الملك؟!!.. عموماً، ليس هناك فى إطار النصب والمنشآت المعروفة ما يسمح لنا بتأكيد ذلك.

إذاً والحال هكذا، وحتى إشعار آخر، سوف أسمح لنفسى باعتبار:
أن المعطيات والمعلومات التى تقدمها لنا القصة الديموطيقية
والحكايات التى جمعها "هيرودوت" عن صفات "أمازيس"
ليست صحيحة أو حقيقية. وكذلك الأمر فيما يقدمه
تاريخ "سنوسرت"، أو "خوفو"، عن أخلاقيات
"رمسيس الثانى".



حكاية الحيلة الخبيثة

التى قام بها النحات "بيتيزيس" ضد الملك "نختانبو"

إن البردية التى حفظت لنا هذه القصة، كانت أساسًا ضمن مجموعة "أنستازى". ثم حصل عليها متحف "ليدن" فى عام ١٨٢٩. وقد تم اكتشافها وتحليلها بواسطة:

- Reuvens: "Letters à M. Letronne sur les Paprus bilingues et grecs, et sur quelques autres monuments gréco-égyptiens du Musée d'antiquités de Leyde, Leyde, 1830, in-4,p.76-79.

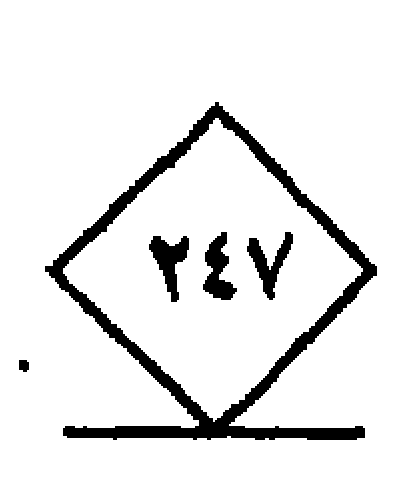
ثم تم نشرها وتفسيرها من جانب:

- Leemans, Papyri Graeci Musaei antiquari publici Lugduni Batavi. Lugduni Botavorum. p.122-129.

ولم تتم دراستها منذ ذاك الحين.

ويبدو واضحًا أن شكل الأحرف، وسياق الكلام بهذه البردية، قد أقنعت "م. ليمان" بأن يحدد وقت تحرير البردية بالنصف الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد.

ويتكون الجزء المحفوظ بالنص من خمسة أعمدة، تتفاوت أطوالها عن بعضها بعضًا. فالعمود الأول، يبدو ضيقًا للغاية، وبه اثنا عشر سطرًا؛ ولم يتبق منها سوى بضع كلمات: تسمح، تخمينًا وظنًا بتحديد عنوان الحكاية. أما العمودان الثانى والرابع؛ فبكل منها واحد وعشرون سطرًا.



وفيما يتعلق بالعمود الثالث، فيه أربعة وعشرون سطر ولا يحوى العمود الخامس سوى أربعة أسطر فقط: بعدها، يتوقف السرد بغتة فى منتصف إحدى الجمل، كمثل الحال فى قصة "النزاع بين أبوفيس وسقننرع"، فى بردية "ساليبه رقم ١".

وأخيرًا، نجد أن الكاتب كان يتسلى برسم رجل مشوه الشكل أسفل الكتابة .. وترك حكايته غير مكتملة !!

قطعًا، نحن لا نعرف شيئًا عن النحات "بيتيزيس". وعن الملك "نختانبو"، الذى كان اسمه يُكتب دائمًا "نختونابو". وقد اشتهر عند الإغريق بالعصر السكندرى، كساحر متمكن، وعالم فلك. إذًا، والحال هكذا، فقد كان لائقًا جدًا لدور الإنسان الحالم الخيالى الذى أضفته عليه الحكاية. ويُلاحظ أن المؤلِّف الديموطيقى الذى اقتُطفت منه "قصة البحار" يتضمن الكثير من اللعنات الطويلة المدى .. الموجهة ضده !!

ونجد أن "رواية الإسكندر"، التى كتبها بعد ذلك بزمن بعيد المدعو "كاليستين"؛ قد جعلته والدًا للقائد الغازى: الإسكندر؛ بدلاً من "فيليب المقدونى". ويتبين أن حكاية "ليد"، التى حُررت بعد موته بحوالى مائتى عام: تُعتبر، حاليًا، الأولى التى عُرفت من القصص، وتتسم بالسمات التخيلية الخيالية التى شاعت عنه فى العصور القديمة، وخلال العصور الوسطى.

حكاية الحيلة الخبيثة

التى قام بها النحات "بيتيزيس" ضد الملك "نختانبو"

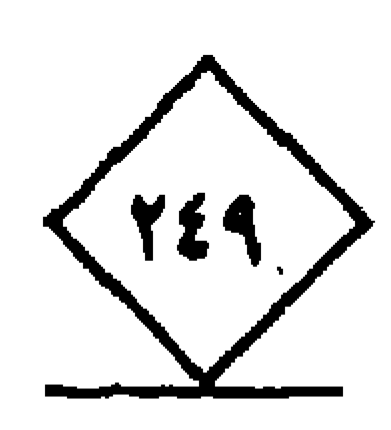
(العصر البطلمى)

فى العـام السـادس عـشـر، بليلة ٢٢/٢١ فـارمـوثيس، أُعلن أن الملك "نختانبو" الذى كان يقيم وقتئذ فى منف: بعد أن قدم أضحية وابتهل إلى الآلهة لكى تفصح له عن المستقبل، قد رأى منامًا إلهيًا. فقد هُيِّئَ له أن سفينة البـردى المسـماة "رعوبس"(١) بالمصرية قد رست فى منف. وفوق متن هذه السـفينة، استقر عرش عظيم، وعلى العرش، جلست المعظمة، الخيِّرة، الموزعة المحسنة لثمار الأرض، ملكة الآلهة جميعًا، "إيزيس"!.. وكان كافة آلهة مصر يقفون حولها، يمينًا ويسارًا ..

وتقـدم أحـدهم فى وسط الجمع. إن قـامـته تُقدر بحوالى عـشـرين ذراعًـا. إنه مَنْ يُسمى "أنوريس" بالمصرية (٢)، "مـارس" عند الإغريق. ثم، سجد، وقال: "تعالى إلىّ، أنت يا من تملكين أكبر سطوة وقوة بين الآلهة

(١) العبارة الهيروغليفية المطابقة لهذه الكلمة، لم يُعثر عليها بعد فى النصوص.

(٢) الكتابة المتبعة حاليًا لهذه الاسم، هى: انحور او انحورى. ويُمتبر بمثابة أحد الأشكال المتعددة لإله الشمس. وكان يُعبد، ضمن غيره، فى مقاطعة "ثنى" وفى "سمنود" أيضًا.



جميعًا. أنت يا من تهيمنين على كل ما فى الكون؛ أنت يا من تحافظين على كل الآلهة. أيا إيزيس، أنصتى إلىّ بكل رحمتك وشفقتك. فإننى، وفقًا لما نظمته، قد حرصت على البلد بدون أى تراخ. وحتى الآن، فإن الملك "نختانبو" قد أنجز كل شىء لصالحى. أما بالنسبة لـ"داماوس" الذى هُيئت السلطة بين يديه .. فقد أهمل معبدى، ولم ينفذ أوامرى. إننى الآن بخارج معبدى الخاص. وأعمال المعبد لم يُنفذ سوى نصفها ..بسبب "شر الحالم". وعندما استمعت ملكة الآلهة إلى ما قيل .. لم تجب بكلمة واحدة.

حالما تلاشى الحلم، استيقظ الملك؛ وأمر بأن يبعث إلى سمنود فى داخل الأراضى، لاستدعاء الكاهن الأكبر، ونبى أنوريس ..

وعند وصولهما إلى القصر، سألهما الملك قائلاً: "ما الأعمال التى يجب إكمالها فى المعبد المسمى بـ"برسما"(1)؟". فقالا له: "لقد أُكمل كل شىء، بخلاف نحت النصوص الهيروغليفية فوق الجدران الحجرية". وهنا، أصدر الملك أمره سريعًا: بأن يكتب للمعابد الرئيسة بمصر لطلب النحاتين المقدسين. وعندما وصل هؤلاء الأخيرون وفقًا للأمر الذى تلقوه، سألهم الملك "من هو بينكم جميعًا الأكثر براعة، الذى يمكنه بكل سرعة إتمام الأعمال التى يجب إنجازها بالمعبد المسمى Phersos ؟".

عندما قيل ذلك، قام رجل من مدينة "أفروديت" بمقاطعة "أفروديتوبوليس" وقال إنه يستطيع إتمام كافة الأعمال فى خلال مائة يوم !.. وبالمثل، سأل الملك جميع الآخرين، فأكدوا أن "بيتيزيس" قال الحق. وأن البلد كلها ليس بها رجل يمكن أن يدانيه فى براعته!.. وبذلك، قرر الملك أن يرسى عليه الأعمال المذكورة؛ وخصص مبالغ ضخمة؛ وأمره بأن يبدأ العمل، فى خلال بضعة أيام؛ لأنه ملتزم بإتمام العملية، وفقًا

(1) برسما: التطابق الهيروغليفى لهذا الاسم لم يُعثر عليه بعد فى النصوص.

لإرادة الإله. وعندئذ، بعد أن تلقى "بيتيزيس" الكثير من الفضة، توجه إلى سمنود لكى يلهو ويتسلى بل البدء فى العمل.

وفى ذاك الحين، عندما كان الملك يتنزه بالجزء الجنوبى من المعبد، وفقاً .. ... فى الخامس من أمشير رأى فتاة ما. إنها الأجمل بين الأربع عشرة اللاتى هن يقمن بالخدمة .. .. ..

يتبين أن القصة تتوقف فى اللحظة ذاتها التى يبدأ خلالها سير الأحداث !! ولا شك أن المقابلة التى وقعت من جانب الملك فى الجزء الجنوبى من المعبد، تعيد فورًا إلى الذهن ذكرى المقابلة التى فوجئ بها "ساتنى" عند فناء المعبد المكرس لـ"بتاح".
ويمكننا أن نستنتج إذا أردنا: أن المؤلف قد أدخل فى روايته هذه، بطلة على غرار "تبوبوى". وأعتقد أنه من الأسلم عدم التوقف عند أى تخمين. وأن نقر بأن هذه الأجزاء التى حُفظت، لا تسمح لنا بأن نحزر ونخمّن التغيرات الفجائية .. بالأحداث أو.. الخاتمة !

المترجمة فى سطور

فاطمة عبد الله محمود

حاصلة على ليسانس الآداب، لغة فرنسية بدرجة جيد جدًا - جامعة القاهرة؛ وتعمل مترجمة أولى برئاسة الجمهورية.

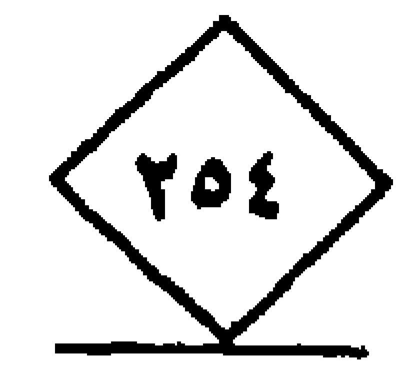
لديها خبرة كبيرة فى ترجمة الكثير من الكتب، منها العديد من كتب الحضارة الفرعونية العريقة، مثل: "المرأة الفرعونية" لكريستيان ديروش نوبلكور، و"حتشبسوت الملكة الفرعون"، لسوزان راتيه، و"السحر والسحرة عند الفراعنة" لإيڤان كوننج، و"الحياة اليومية للآلهة الفرعونية" لأندريه ميكس، و"غرام الفراعنة"، لڤيولين فانويك، و"رمسيس الثالث .. قاهر شعوب البحر"، و"الإسكندرية ملكة الحضارات"، لمجموعة من كبار علماء المصريات الفرنسيين، و"موسوعة الرموز والأساطير الفرعونية"، لچاك تيبو، و"حب وبطولات فرعونية"، لڤيولين فانويك، و"الفن والحياة فى مصر الفرعونية"، لكلير لالويت، و"حتشبسوت .. عظمة وسحر وغموض" لكريستيان ديروش نوبلكور، و"رمسيس الثانى، فرعون المعجزات" لكريستيان ديروش نوبلكور، و"الموسوعة الشاملة للحضارة المصرية"، لجى راشيه؛ و"أسرار معابد النوبة"، لكريستيان ديروش نوبلكور، و"ميراث مصر الأسطورى"، لكريستيان ديروش نوبلكور.



المراجع فى سطور

د. محمود ماهر طه

- حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة ليون بفرنسا فى الآثار المصرية عام ١٩٨٢ .
- تولى مناصب علمية عديدة فى المجلس الأعلى للآثار منذ عام ١٩٦٣، منها رئيس مركز المعلومات ورئيس مركز تسجيل الآثار المصرية.
- قام بالتدريس بالجامعات المصرية خاصة جامعة حلوان بكلية السياحة والفنادق للتاريخ الفرعونى والديانة المصرية القديمة باللغتين الفرنسية والعربية، وكذلك بكلية الفنون الجميلة وجامعة الزقازيق (المعهد العالى لدراسات الشرق الأدنى القديم).
- قام بالإشراف ومناقشة العديد من رسائل الدكتوراه والماچستير عن الآثار المصرية.
- قام برئاسة بعثات علمية مشتركة يمثل فيها الجانب المصرى مع المركز القومى للبحوث الفرنسى فى تسجيل آثار النوبة والأقصر.
- قام بإلقاء العديد من المحاضرات العامة فى باريس ولاهاى وكندا عن الحضارة المصرية.



- أشرف على العديد من المعارض الدولية عن الآثار المصرية فى باريس وميونخ وشيكاغو وفينسيا.
- كان مقررًا للمؤتمر الدولى الخامس للآثار المصرية المنعقد بالقاهرة عام ١٩٨٦ .
- قام بتأليف وترجمة ومراجعة أكثر من خمسين كتابًا عن الآثار المصرية بالعربية والفرنسية والإنجليزية، بالإضافة إلى العديد من المقالات.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص.ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org. eg
E - mail : info @egyptianbook.org. eg



حكايات شعبية فرعونية

الأدب المصرى القديم، أدب أصيل يجمع بين التأمل والسحر، وبين طلاقة اللسان والبلاغة، وبين الفكر السامى والآداب العامة، وبين الفكاهة والجد.

ويتكون الأدب المصرى من أنواع عديدة، أهمها الأدب القصصى، والأدب الغنائى أو العاطفى، يليه الأدب السياسى، والحكم والأمثال والتأملات.

ولا ريب أن الاكتشاف الذى تم فى عام ١٨٥٢ لنمط من الروايات الوجيزة المصرية، المشابهة لقصص ألف ليلة وليلة، كان بمثابة مفاجأة حقيقية لمعظم علماء أوروبا.

وترجع أهمية هذا الكتاب، إلى أنه يُعد أول نموذج واضح وسليم لترجمة نماذج أدبية من الحكايات الشعبية فى مصر القديمة، كما أنه من الأعمال الكلاسيكية المهمة التى لم تترجم من قبل.

جاستون ماسبيرو

من أشهر علماء المصريات فى القرن التاسع عشر، وهو ابن مهاجرين سياسيين إيطاليين، التحق بدار المعلمين العليا، وقام بدراسة المصريات. وصل إلى مصر فى الخامس من يناير عام ١٨٨١ وتولى منصب مدير مصلحة الآثار المصرية، وأمين المتحف المصرى للآثار ببولاق، وكان أول مدير للمعهد الفرنسى للآثار بالقاهرة. توفى فى ٣٠ من يونيو عام ١٩١٦.



ISBN# 9789774202350



١١ جنيهاً

